بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة آل البيت

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

الحكاية الشعبية في محافظة المفرق

Folk Tales in Mafraq Governorate

إعـــداد:

عائشة سعود عواد السرحان

٠٤٢٠٣٠١٠١٦

إشراف الدكتور:

محمد الخزعلي

١٤٣٠هـــ-٢٠٠٩م

الحكاية الشعبية في محافظة المفرق

Folk Tales in Mafraq Governorate

إعداد:

عائشة سعود عواد السرحان

٠٤٢٠٣٠١٠١٦

إشراف:

الدكتور محمد الخزعلي

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
الدكتور محمــد الخزعلــي	(رئيساً ومشرفاً)	
الدكتور حامــد العيســى	(عـضـواً)	
الدكتور نبيــل حــداد	(عـضـواً)	
الدكتور عبد الرحمن الهويدي	(عـضـواً)	

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة آل البيت.

نوقشت وأوصي بإجازتها بتاريخ ٢٠٠٩/٥/٢١

الإهـــــداء

أهدي هذه الدراسة إلى والديّ وزوجي وإلى ابـنـتـي روز

يحفظهم الله جميعاً

الشكـــر والتقدير

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة والتسليم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه أجمعين.

أقدم شكري وتقديري لجميع أساتذتي الذين ما بخلــوا يومـــاً فـــي بـــث الحماس في نفسي، وكما أخصّ الدكتور محمد الخزعلي بالشكر والتقدير على الجهد الذي بذله معي من تقديم النصائح والملاحظات لي.

كذلك أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى الإنسان الأب الذي ما بخل بجهده وعلمه ومعرفته يوماً، إلى الدكتور شكري الماضي، مع المحبة والتقدير.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى لجنة المناقشة الذين تفــضلوا بقبــول مناقشة الرسالة.

قائمة المحتويات

فهرس الملحق

الملحق **رقم الصفحة**

الملخص باللغة العربية

الحكاية الشعبية في محافظة المفرق

بحثت الدراسة الحكاية الشعبية في محافظة المفرق لما لقيته الحكاية الشعبية من اهتمام كبير من قبل الباحثين والدارسين، فتم البحث عن معنى الحكاية الشعبية من بين ذلك الكم من أنواع التراث والفولكلور الشعبي. وقد بينت الدراسة الفرق بين الحكاية الشعبية وبين الأنواع الشعبية الأدبية الأخرى، فحصرت الدراسة مفهوم الحكاية الشعبية لبيان ماهية الحكاية الشعبية وأهميتها.

قامت الدراسة ببيان مصادر الحكاية الشعبية وأصولها، وهي الشعب. ويتضمن الرجل والمرأة، المثقف والأمي، الشيخ المسنّ وربة البيت، ثم تأتي كتب التراث مثل ألف ليلة وليلة وسيرة بني هلال والزير سالم. وبيّنت الدراسة بعضاً من أصول الحكاية الشعبية، ومن هذه الأصول الأساطير. فقد عرضت الدراسة الآراء حول الأساطير، وقد كانت الأراء مختلفة بدرجة قليلة حول أصول الحكايات. فتحديد أصول الحكايات الحقيقية يحتاج إلى عمل مكثف وجهود جبارة وميدان واسع.

بينت الدراسة أنماط الحكاية الشعبية وتصنيفاتها تبعاً للمادة التي اعتمدت عليها الدراسة، وصُنفت الحكاية الشعبية في محافظة المفرق إلى حكايات الواقع الاجتماعي، وحكايات الشطّار.

وتناولت الدراسة أهم موضوعات الحكاية الشعبية من نواحٍ متعددة مثل الناحية الاجتماعية والإنسانية والأخلاقية والاقتصادية والسياسية والخيالية والغرائبية. ومن خلال ذلك، وضحت الدراسة دور الحكاية الشعبية من ناحية ثقافية وتعليمية وتربوية ونفسية واجتماعية.

وفي الفصل الثالث قامت الدراسة بتوضيح البناء الفني للحكاية الشعبية في محافظة المفرق، فتناولت العناصر الفنية، كالاستهلال ودلالاته والأحداث وطبيعة الشخصيات والإطار الزماني والمكاني ولحظة التنوير ولغة الحكايات الشعبية. وقد كان هذا التوضيح من خلال نصوص الحكايات الشعبية الواردة ضمن الدراسة.

وقد وازنت الدراسة بين نصوص الحكاية الشعبية في محافظة المفرق ونصوص حكائية شعبية أخرى، فتوصلت الدراسة إلى مواضع التشابه والاختلاف بين هذه النصوص، فبينت الدراسة أن جميع الحكايات الشعبية في البيئات الأردنية حكايات بسيطة تتسلسل فيها الأحداث بخط واضح، فالتشابه واضح والاختلاف يكاد يزول.

وزوّدت الرسالة بملحق يتضمن نصوص الحكاية الشعبية في محافظة المفرق بلغة عربية مبسّطة تتضمن بعض الألفاظ الشعبية لتبقى الحكاية محافظة على شعبيتها وعفويّتها، مع ورود بعض الحكايات كما وردت عن ألسنة الرواة بلغتها العاميّة البسيطة.

مقدمة

"كان يا ما كان في قديم الزمان". بهذه العبارات استهل شعبنا كثيراً من حكاياته الشعبية التي عبّرت عن آماله وطموحاته، حيث تعد الحكاية الشعبية جزءاً من الأدب الشعبي، ذلك النتاج الفكري الذي انتقل من جيل إلى جيل آخر بالرواية الشفوية، وقد دفعتني الرغبة لدراسة ذلك الجزء من الأدب الشعبي، وقد ازدادت الرغبة بعد اطلاعي على عدد من الدراسات الشعبية في مختلف أنحاء العالم العربي.

لمست أهمية التراث وحاجته للدراسة، ولمست عن قرب أن حكايات شعبية عديدة ما تزال تتداول في محافظة المفرق وهو أمر أثار في نفسي العديد من الأسئلة من مثل:

- ما الحكايات التي يتم تداولها بين الناس؟
- ما موضوعاتها، ما الدور الذي تقوم به؟
- ما الحاجات التي تقوم بتلبيتها؟
- ما خصائصها الفنية؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة، قمت بجمع عدد كبير من الحكايات وتدوينها، كما قمت من ناحية ثانية بالاطلاع على عدد من الدراسات التي وقفت على الأدب الشعبي بعامة، والحكايات الشعبية بخاصة. وقد قوّت هذه الدراسات من قناعاتي بأهمية الحكايات الشعبية وضرورة دراستها، وقد زودتني الدراسات التي دارت حول الحكاية الشعبية بكثير من المفاهيم والتصورات، فمصطلح الحكاية الشعبية يستوعب حشداً كبيراً من السرد القصصي الذي تراكم على مر الأجيال؛ فقد حقق الإنسان بوساطته كثيراً من مواقفه ورسم جانباً كبيراً من معارفه.

ويعد موضوع الحكاية الشعبية في محافظة المفرق موضوعاً جديداً لا توجد دراسات حوله، وهذا ما زاد في نفسي الحماس لدراسة الحكاية في هذه المحافظة، ومما زاد في نفسي حب الدراسة هو محبتي لهذا النمط من التراث وتعلقي به منذ طفولتي، وكذلك الخوف من ضياع التراث الإنساني الهام. فهذه أسباب جعلتني أذهب في أنحاء المحافظة بحثاً عن رواة للحكاية الشعبية، وقد أمضيت فترة ليست بقصيرة في الجمع والبحث وما يزال الكثير ينتظر باحثين آخرين لجمعه ودراسته.

وقد فرضت طبيعة الظاهرة المدروسة والأسئلة التي ولدتها، تقسيم الدراسة إلى مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة.

أما الفصل الأول فقد جاء عنوانه (مفهوم الحكاية الشعبية وحدودها)، فهو يوضح مفهوم الحكاية الشعبية ويعرض عدة آراء حول الحكاية الشعبية ومفهومها.

في الفصل الثاني الذي جاء بعنوان (الموضوعات والدور) فيعالج أهم قضايا الحكاية الشعبية في محافظة المفرق، والموضوعات التي تناولتها، من مواضيع اجتماعية وسياسية وأخلاقية وغرائبية.

أما الفصل الثالث فقد جاء بعنوان (البناء الفني للحكاية الشعبية) فقد تناولتُ فيه عدة عناصر هي الاستهلال والحدث والشخصيات والإطار الزماني والمكاني ولحظة التنوير واللغة.

في الفصل الرابع، تقف الرسالة عند الموازنات بين الحكاية الشعبية في محافظة المفرق وبين نصوص حكايات شعبية أخرى في المحافظات الأردنية، وبعض الدول العربية.

أمّا المنهج الذي سارت عليه الدراسة فتمثل في الخطوات الآتية:

- جمع الحكايات الشعبية المتداولة في مدينة المفرق والمناطق التي تشملها المحافظة، وتدوين المعلومات حول كل راوٍ وتاريخ رواية الحكاية ومكانها.
- استخلاص مفهوم الحكاية الشعبية من النصوص نفسها.
- تصنيف الحكايات الشعبية استناداً إلى موضوعاتها وأغراضها.
- العكوف على النصوص واستخلاص البنية الفنية، والخصائص والسمات العامة وقد وردت بعض الحكايات في الملحق كما أخذت عن ألسنة الرواة.
- التحليل والتعليل والموازنة بين الحكايات الشعبية في المفرق والمحافظات الأخرى والحكايات الشعبية في الأقطار العربية.

فطبيعة الدراسة اقتضت الإفادة من المنهجين.

تمهيد (محافظة المفرق)

الموقع، السكان، التاريخ، المساحة

تقع محافظة المفرق إلى الشمال الشرقي من مدينة عمان، عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية، وتتمتع المحافظة بموقعها الاستراتيجي الهام لكونها تجاور ثلاث دول عربية هي: من الشمال الجمهورية العربية السورية، ومن الشرق العراق، ومن الجنوب المملكة العربية السعودية. وتتمتع محافظة المفرق بموقعها الاستراتيجي الهام كمنطقة حدودية مع سوريا، ففيها (مركز حدود جابر السرحان)، أما مع العراق فهناك (مركز حدود الكرامة)، أما ما يجاورها من محافظات المملكة الأردنية الهاشمية فيحدها من جهة الشمال الغربي (محافظة إربد)، ومن الجنوب الغربي (محافظة جرش)، ومن الجنوب (محافظة الزرقاء).

لموقع محافظة المفرق أهميته الكبيرة في تاريخ البشرية قبل الميلاد وبعد الميلاد وفي زمن ظهور الإسلام وأيام الفتوحات الإسلامية، وقيام الدول الإسلامية كالأمويين والعباسيين والفاطميين والمماليك والعثمانيين.

فقد كان لموقع محافظة المفرق أثر واضح من خلال الآثار الموروثة في منطقة المحافظة لموقعها المميز كونها منطقة الوسط ما بين الحضارات التي قامت في (عمان وعجلون وجرش والبتراء وأم قيس ومعان والشوبك وتدمر وبصرى والشام وبغداد والبصرة ومكة المكرمة). وقد كانت محافظة المفرق محطة من محطات الحج، وطريقاً آمناً للقوافل التجارية فمنطقة المفرق هي الوسط بين كل الحضارات والمدن الكبيرة والقديمة، وطريقها مع تلك المدن آمنة، فأكسب تعدد الطرق أهمية لهذه المنطقة التي تؤدي إلى دول الخليج العربي والعراق شرقاً وجنوباً، وإلى سوريا شمالاً وإلى فلسطين غرباً إضافة إلى سكة الحديد التي تربط سوريا مع الأردن[١].

تبلغ مساحة محافظة المفرق (٢٦٤٣٥)[٢] كيلو متراً مربعاً بنسبة ٢٩,٦% من مساحة المملكة الأردنية الهاشمية، حيث تعتبر محافظة المفرق ثاني محافظات المملكة الأردنية الهاشمية من حيث اتساع رقعتها، أما عن لغة أبناء محافظة المفرق فهي العربية والديانة هي الإسلام والمسيحية، وكان يطلق على مدينة المفرق اسم (الفدين) ويعني القصر المشيد وسميت لاحقاً (بالمفرق) لموقعها على مفترق الطرق الدولية فهي بوابة الأردن على الجيران.

---

(١) سلطان طريخم المذهن، **موسوعة محافظة المفرق**، ط(١)، دائرة المطبوعات والنشر، عمان، ٢٠٠١، ص ص١٧-١٨.

(٢) سلطان طريخم المذهن، **موسوعة محافظة المفرق**، مرجع سابق، ص١٩.

عندما يدخل الزائر قلب محافظة المفرق يظهر رويداً رويداً جمال الامتداد الصحراوي من الجانب الشرقي للأردن الذي يصله بالعراق وبعض أطراف الجزيرة العربيـة، وتعـد المفـرق (عروس الصحراء) فهي مدينة أردنية غنية بالموارد الطبيعية والأثرية وسط صحراء متراميـة الأطراف حيث تنفرد محافظة المفرق بآثارها وقصورها وقلاعها الجذابـة منهـا (أم الجمـال، الدفيانة، دير الكهف، بلعما، رحاب، سما السرحان، وقلعـة الـصفاوي التـي تعـرف بقلعـة (الأجفايف)"، وكنائس أم القطين التي تحتضن أربع كنائس تاريخية، كما تحتضن أقدم كنيسة في العالم، لذلك تعد محافظة المفرق متحفاً أثرياً مفتوحاً يضم في جنباته تراكمات الحضارة الإنسانية ومكانة الفن ورحلة للتفاؤل الإنساني الدؤوب عبر الزمن.

أما عن الموارد الطبيعية فقد تم اكتشاف كميات من الغاز الطبيعي مـؤخراً فـي منطقـة الأثني القريب من حدود الكرامة، والمفرق غنية بالمياه الجوفية وبساتين الخـضروات البعليـة والمروية فهي سلة الغذاء الثانية للأردن، وهي غنية أيضاً بالثروة الحيوانية على رغـم غلبـة الطبيعة الصحراوية على أراضيها، وتحتضن المفرق كهوفاً بركانية تعتبر ثروة بيئية وسياحية، حيث وجد العلماء في تلك الكهوف هياكل وجماجم بشرية من قبل الإنسان القديم، كما عُثر على قطع صوانية وفخارية من العصر الحجري الحديث.

يسود في محافظة المفرق المناخ الصحراوي، ففي الصيف يكون الجو جافاً وحاراً نهـاراً وبارداً ليلاً، أما في الشتاء فيكون بارداً وجافاً وأمطارها قليلة، فمعدل هطول الأمطار في العادة يكون ١٥٠ملم حيث نجد فيها أحواض الضليل والعاقب وسما السرحان وتحتل المفرق المرتبـة الثانية في عدد الآبار الارتوازية، وتتمتع محافظة المفرق بشبكة من الطرق المعبدة في المـدن والقرى والبلدات وللمحافظة نصيب من الخط الحديدي لمرور سكة الحديد فيها، التي تعمل على نقل الركاب والبضائع ما بين المملكة الأردنية الهاشمية والجمهورية العربية السورية.

تتألف أرض محافظة المفرق من هضاب وجبال وسهول وأوديـة متباينـة التـضاريس والمميزات لا مجال للحديث والتفصيل عنها. حيث يقسم السكان الذين يعيـشون علـى أرض محافظة المفرق إلى ثلاثة أقسام هي: الحضر وهم أولئك الذين فضلوا حياة الاستقرار في السكن بالبيوت المبنية من الطين أو الحجارة أو الإسمنت، وكانوا يفضلون حيـاة المدينـة المـستقرة والمترفة.

ثم البدو المستقرون وهم أولئك الذين يفضلون العيش في بيوت الطـين والحجـر، مـع احتفاظهم بتربية الأغنام والماعز والبقر والخيول والاعتناء بالزراعة، كزراعة الأشجار المثمرة والحبوب. ثم البدو الرحّل وهم أولئك الذين يسكنون بيوت الشعر ويعتنـون بتربيـة الأغنـام والماعز والإبل، ويفضلون التنقل من مكان لآخر تبعاً للماء والكلأ لمواشيهم.

وتتكون محافظة المفرق من ثلاثة ألوية هي لواء قصبة المفرق، ولواء البادية الشمالية الغربية، ولواء البادية الشمالية الشرقية.

وقد كانت محافظة المفرق هي الطريق والمعبر والقاعدة للبعض من القبائل التي برزت فيما بعد، كالمناذرة والغساسنة ومن ثم الأمويين والعباسيين والمماليك والعثمانيين، وقد خضعت محافظة المفرق للممالك التالية ونفوذها، وهم الأنباط والرومان والغساسنة والأمويين والعباسيون ومن ثم العمانيون والهاشميون، الذين كان لهم دور كبير في المشرق العربي، حيث بدأها أحد أحفاد الرسول –صلى الله عليه وسلم– وهو الشريف الحسين بن علي العوني الهاشمي أمير الحجاز وملك العرب هادفاً إلى تحرير الأمة العربية من الاستعمار الأجنبي، لذا كانت محافظة المفرق شاهدة على كل هذه الحضارات والتطورات على مر الأزمان والعصور.

وقد ترك كل هذا أثراً واضحاً في التراث الشعبي لهذه المحافظة عموماً، وفي الحكاية الشعبية خصوصاً، حيث تعود مصادر بعض القصص إلى أزمنة مختلفة في القدم وهذا واضح في الملحق.

الفصل الأول

الحكاية الشعبية مفهومها وحدودها

المبحث الأول:

مفهوم الحكاية الشعبية وحدودها

الأدب الشعبي هو ذلك النتاج الشفاهي الذي يتجلى في الأغـاني والأمثـال والحكايـات والشعر والألغاز والأساطير والخرافات وغير ذلك، فهو ثمرة من ثمـرات التـراث الـشعبي، ووسيلة التعبير في الأدب هي الكلمة، فالأدب الشعبي هو القول الذي يعبـر بـه الـشعب عـن مشاعره وأحاسيسه أفراداً وجماعات فهو من الشعب وإلى الشعب، يتطور بتطوره، وهو غذاؤه الوجداني الذي يلائمه كل الملائمة[١].

والأدب الشعبي هو الثقافة الشعبية المتوارثة؛ فهو حكمة الشعب التي تنتقل من جيل إلـى جيل، وهو كل ما هو معروف من أشكال التعبير الشفوي والذي ينتقل عبر العصور والأزمنة[٢].

ويقوم الأدب الشعبي بدور فعّال في الحفاظ على طابع الشخصية ومقوماتها، فقـد حمـل الرواة والحكاؤون تراث الأمة المتمثل في السير الشعبية والقـصص والحكايـات ومغـامرات الأبطال بلغة تجمع بين الفصاحة واللهجات المحلية.

والأدب الناتج عن الشعب هو إبداع عفوي أصيل يحمل ملامح الشعب ويحفـظ سـماته ويؤكد عراقته ويعبر بصدق عن همومه اليومية، ومعاناة أفراده على مختلف مستوياتهم، وهـو صورة لروحهم وشعورهم المشترك، وإن وجود تراث يعني وجود أمة بكاملها ولا بد من اهتمام أكبر بكل الجوانب التراثية وخاصة الأدب.

ووجود الأدب الشعبي عند أمة معينة يدل دلالة كاملة على قدرات إبداعية فنية عند تلـك الأمة وذلك الشعب، وهو يلجأ إلى الكلمة البسيطة كوسيلة للتعبير عن العالم الذي يحلم به، وهذا الأدب هو أدب جميع الناس فكما يرى رشدي صالح "أن الأدب الشعبي هو أدب الفلاحين وأدب جمهور المدينة والطبقة الوسطى"[٣].

والأدب الشعبي يصدر من الشعب ويعود للشعب وهذا ما أكده عبد الحميد حواس حيـث يرى "أن الثقافة الشعبية هي التي ينتجها العامة وتكتسب صفتها الشعبية نتيجة لأن العامـة مـن الشعب هم الذين ينتجونها ويستهلكونها فإنجازات الثقافة الشعبية هي إبداع جمعي ينتمـي إلـى

---

(١) عبد الحميد يونس، **الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي**، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٥، ص٣.

(٢) عبد الرحمن سعود مسامح، **ألوان من التراث الشعبي**، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيـروت، ٢٠٠١م، ص٣٠٨.

(٣) أحمد رشدي صالح، **الأدب الشعبي**، ط٣، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧١، ص١٨.

جموع هؤلاء العامة ولا ينسب إلى أفراد بذواتهم"[١]، وبالتالي فإن أكثر نصوص الأدب الشعبي لا يعرف مؤلفوها على وجه التحقيق، وإذا عرفت أسماؤهم اختلف العلماء حول شخصياتهم.

وللأدب الشعبي أهمية لا تقل عن أهمية الآثار التي لاقت وتلاقي الاهتمام الكبير، فالأدب الشعبي له دور هام في حفظ التراث، فهو صادر عن الشعب وموجه إليه كما سلف القول، فليست الغاية هي التعبير فقط وإنما التأثير، لذا يجب أن لا يستهان بقدرته على تغيير حياتنا وتفكيرنا، وإذا أردنا معرفة حقيقة شعب وعذابه وآلامه وأحلامه، وطموحاته، وأفراحه، وشقائه، وكفاحه، فإنه يجب علينا العودة إلى أدبه الشعبي.

ولا بد من التأكيد هنا على أن الدراسات التي قامت حول الأدب الشعبي جاءت للتأكيد على ربط الوجدان الأمه بتراثه ووطنه ونفسه حيث تمده هذه الدراسات بالمعرفة والخبرة عن ماضيه القريب، وهذا ما جعل دراسات الأدب الشعبي هدفاً من أهداف قومية عديدة؛ فهو يوسّع وعي الشعب بآدابه المنبثقة من لهجته، لذا كانت دراسة الأدب الشعبي خطوة جريئة لتوحيد العقلية العامة والذوق العام، ولا تعني دراسة الأدب الشعبي تغليب لهجة العامية على الفصحى وإنما هي دراسة كغيرها من الدراسات.

وقد شكل الأدب الشعبي والتراث الشعبي بشكل عام دعامة إنسانية في حياة الأقدمين والمحدثين، فقد كانت الحقائق من حولهم قليلة نادرة، فنسجوا الكثير من الأوهام حول الوقائع التي أدركوها، وكذلك الإنسان في الحضارة الحديثة مهما بلغت به وسائل الرفاهية من راحة يظل بحاجة إلى ناحية روحيةّ يجدها في تلك الحكايات الشعبية والأدب الشعبي.

ويشمل الأدب الشعبي أبواباً كثيرة أهمها الحكايات الشعبية التي تم تناولها بشكل كبير وباهتمام جاد ومحافظ على أصالتها وعراقتها وأهميتها التي لا تقف عند حد معين، فالحكايات الشعبية بقيت زمناً طويلاً في صدور الرواة وفي ذاكراتهم، إلى أن كتب لها الخروج للنور والحفظ في كتب والتدوين بشكل جاد على الرغم من أن تدوين التراث أمر في غاية التعقيد وذلك لأن أكثر نصوص الأدب الشعبي بأنواعها المختلفة لا يعرف مؤلفوها على وجه التحقيق[٢].

ومصطلح الحكاية الشعبية له عدة تعريفات ففي لسان العرب تحت "فصل الحاء باب الواو والياء" نقرأ في مادة حكي: "حكيت فلاناً وحاكيته فقلت مثل فعله أو قلت مثل قوله سواءً لم

---

(١) عبد الحميد حواس، **أوراق في الثقافة الشعبية**، ط١، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٣، ص٧٣.

(٢) انظر: عوض سعود عوض، **دراسات في الفولكلور الفلسطيني**، د.ط، منظمة التحرير الفلسطينية، دائرة الإعلام والثقافة، د.ت، ص٥.

أجاوزه، وحكيت عنه الحديث حكاية، ويقال حكاه وحاكاه والمحاكاة المشابهة ونقول: فلان يحكي الشمس حسناً ويحاكيها"(١).

والحكاية مشتقة من المحاكاة، أي محاكاة الواقع واسترجاعه وهذا الوصف مشتق من شكلها المعروف والمتداول وكما يؤكد الساريسي بأن الحكاية لا تكتفي بمحاكاة الواقع وإنما قد تطمح إلى نقده وتغييره(٢).

وقد أوردت نبيلة إبراهيم تعريفاً للحكاية فقالت إنها "الخبر الذي يتصل بحدث قديم ينتقل عن طريق الرواية الشفوية من جيل لآخر أو هي خلق حر للخيال الشعبي ينسجه حول حوادث مهمة وشخوص ومواقع تاريخية."(٣)

والملاحظ أن الحكاية مرتبطة ارتباطاً كبيراً بالشعب وخياله ففي الحكاية يتم إطلاق العنان للخيال ليسير وينطلق بحرية ليعبر عن مكنونات ذلك الشعب الذي أوجد الحكاية وتمسك بها كوسيلة للشعور بالحرية المطلقة، وقد لقيت الحكاية محور اهتمام العديد من الدارسين المتخصصين والباحثين، فقد تناول الساريسي الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني وهو يرى إن "للحكاية الشعبية لها تعريفاً خاصاً وهو ما يُحكَى شفوياً بين الناس، بشكل خاص الحكايات التي تتصل بالواقع الاجتماعي الذي يعيشه الناس العاديون في حياتهم اليومية وأحداثهم التاريخية التي ليست فيها خوارق أو أعمال تخرج عن المألوف"(٤).

والباحث هنا عرّف الحكاية الشعبية تعريفاً خاصاً بها لأنه يرى أن للحكاية مصطلحين أحدهما عام واسع يشمل كل ما يروى شفوياً بين الناس وهذا المعنى يرادفه اصطلاح القصص الشعبي، أما الثاني فهو خاص ضيّق وهو التعريف الخاص بالحكاية الشعبية الوارد سابقاً فكأنه يريد القول بأن الحكايات التي تروى ويتم تناقلها بين الناس ويطلق عليها حكايات شعبية هي فقط التي تتناول وقائع حياتهم اليومية وما يتصل بها من أحداث وحوادث أي تخص البشر فقط أي كأنه يخرج الخيال ومبتكراته من ذلك الواقع البشري البحت.

ويعد شوقي عبد الحكيم من أهم الباحثين في الفلكلور المصري وله جهود عديدة في جمع الأدب الشعبي من أفواه الناس في أنحاء عديدة من مصر، ويؤكد الباحث في موسوعته

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، تحقيق: علي شيري، ج٣، ط١، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٨، ص٢٧٣.

(٢) عمر عبد الرحمن الساريسي، **الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني**، ط٢، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠٠٤، ص١٢١.

(٣) نبيلة إبراهيم، **أشكال التعبير في الأدب الشعبي**، ط٣، مكتبة غريب، الفجارة، د.ت، ص٩١.

(٤) عمر الساريسي، **الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني**، مرجع سابق، ص١٢١.

الفلكلورية أن الحكاية الشعبية هي تلك الحكايات والمأثورات التي اعتدنا سماعها من جيل إلى جيل عن طريق التواتر بالحكي أو الرواية الشفهية"[١]، وهو يؤكد كذلك أن الحكايات الشعبية يمكن أن تكون بلا فائدة تذكر ما لم يكن تاريخها قد تقرر من خلالها الفحص والاستقصاء.

أما معنى الحكاية الشعبية عند هاني العمد فهي أوسع مما أوردناه سابقاً فهي "التي تحكي الواقع الاجتماعي للمجتمع، وتتميز بقدم عناصرها ودورانها حول أحداث أو أشخاص معنيين ومعروفين لدى المجتمع ويقوم الخيال الشعبي فيها عادة بدور رئيسي حيث يترجم ما يتمناه المجتمع أو الرأي العام وما تلبث وقائعها الخيالية أن تصبح حقائق رغم خروجها عن الحقائق العلمية، ومعروف أن طابع الحكاية إقليمي وأنها تروى شفاهة."[٢]

والواضح من خلال هذا التوضيح للحكاية بأن الباحث بيّن أن الخيال الشعبي يلعب دوراً رئيسياً في الحكاية، لأنه له وظيفة هامة فهو ينقل ويترجم مكنونات النفس عند ذلك الشعب فتلك الأحداث التي أوردها الخيال أصبحت حقيقة والسبب أنها نبعت من داخل الشعب وعبرت عن أحلامه وطموحاته وآلامه، لذا أصبحت حقيقة موجودة ومرئية، ويؤكد العمد أيضاً أن الحكاية الشعبية هي التي تحكي وتتكلم عن واقع مجتمع بأكمله، عن خيره وشره وخياله وأحلامه وطموحاته وأحزانه وآلامه كحكاية بقرة اليتامى، تلك البقرة التي تمثل الأمل ومرفأ الأمان لمحمد وأخته من شر زوجة الأب، التي لا تترك أقل فرصة لإيذائهم والتخلص منهم[٣].

الحكاية الشعبية هي اللسان الناطق باسم الشعب الذي لجأ لقول الحكاية بكل حكمة وبلاغة فنية، وهو ايضاً يستريح عند سماع الحكايات لكونها تنفسياً عن مكبوتات داخل أعماق النفس البشرية، فالمجتمع أو الشعب قالها وسمعها لأنها كالدائرة التي تجتمع حولها الناس، أحياناً تراهم يقولون لغيرهم ثم يذهب غيرهم لينقل ما سمعوه عنهم وهكذا.

أما نبيلة إبراهيم فقد عدت القصص الشعبي ظاهرة من ظواهر الحياة الشعبية[٤]، فالقصة الشعبية مرتبطة ارتباطاً كاملاً بالشعب والمجتمع وبكل ما يجري فيه من تغييرات، وهذا ما يجعل الشعب يرتاح للحكاية؛ فعندما دخل الإنسان في صراع مع الواقع الذي يعيشه اصطدم بعدة معوقات عرقلت مسيرته، ومنعته من تحقيق أحلامه وطموحاته التي يسمو إلى تحقيقها، عندها شعر بالحاجة إلى متنفس لمشاعره المكبوتة بداخله وإلى طريقة يشعر من خلالها أنه مرتاح وقادر على الكلام بكل حرية، دون تصنع أو خوف، أو تفكير مسبق فلم يجد سوى الحكاية.

---

(١) شوقي عبد الحكيم، **موسوعة الفلكلور والأساطير العربية**، د.ط، مطبعة أطلس، القاهرة، د.ت، ص٢٤٣.

(٢) هاني العمد، **الأدب الشعبي في الأردن**، د.ط، لجنة تاريخ الأردن، د.ت، ص٢٦.

(٣) انظر ملحق الحكايات، ص١٢٧.

(٤) نبيلة إبراهيم، **قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية**، د.ط، مكتبة غريب الفجالة، د.ت، ص١٣.

والحكاية الشعبية تعرف بأنها إنشاء أدبي فني يقدم الراوي من خلاله صيغة مقبولـــة لمـــا يحفظه عن السلف أو مما يعرفه من معرفة مسبقة ماضية يفترض أنها موروثة من قديم الزمان، ويقوم الراوي بدور الوسيط في نقلها(١)، وهذا يؤكد أن الحكاية الشعبية تتضمن أحداثاً فهي ليست مجرد أخبار أو حوادث تسرد وتنقل، وإنما هي تراث شعبي شكّل إبداعاً فنياً صادقاً يعبر عــن أزمان ماضية متواصلة مع أزمان وأيام حاضرة وتناجي مستقبلاً لا يمكن أن يكمل ويتحقق بدون ذلك التراث الشعبي، فالحكاية الشعبية تنتقل من جيل لآخر للمحافظة على تراث الأجداد وحفظها من الضياع والتزييف، فالأدب جزء من التراث، وإذا ضاع ذلك التراث فقــدت الأمـــة بعــض جوانب هويتها الثقافية.

والحكاية الشعبية التي وردت باللهجة العامية غنية بألوان البلاغة التي تتمتع بهـــا اللغـــة العربية الفصحى وفيها جوانب فنية متعددة وهذا ما أكده العلامة عبد الرحمن بن خلـــدون فـــي مقدمته "بأن الفنون الكلامية التي يتناقلها الناس بلهجاتهم غير الفصحى لها بلاغتها كما للفصحى تماماً، فالبلاغة عنده مطابقة الكلام للمقصود ولا عبرة لقوانين علم النحو في ذلك"(٢)، وهذا مـــا أدى إلى إثارة النحاة عليه ودعوتهم إلى ضرورة عدم المساس بالفصحى.

ويرى الباحث في الحكاية الشعبية والأدب الشعبي عبد الحميد يونس، أن: "الحكاية الشعبية صورة أكثر بساطة وسذاجة من الملحمة، انفرطت عنها كما أنها انحدرت بحكم التطور إلى سفح الكيان الاجتماعي، وأصبحت لها وظائف تربوية إلى جانب التغير الأسطوري للظواهر"(٣).

فالباحث هنا يؤكد على أن الحكاية الشعبية هي تلك الحكاية القديمة المتطورة تنتقل بحرية بالرواية والتلقين، وهي تلك التي تمد المجتمع بما يحتاج إليه من فنون العارف، والباحث يؤكـــد بأن الأدب الجاهلي وهو الذي كان يصدر عن البداوة إنما كان أدباً مثقفاً، لأن بداوة الجاهلية لـــم تكن همجية وبدائية وإنما كانت مرحلة حضارية دون مرحلة التمدين، بمعنـــى الاســـتقرار فـــي المدن.

ويرى أحمد محبك أن الحكاية الشعبية "أحدوثة يسردها راوية في جماعة من المتلقين وهو يحفظها مشافهة عن راوية آخر ولكنه يؤديها بلغته، غير متقيد بألفاظ الحكاية وإن كـــان يتقيـــد بشخصياتها وحوادثها ومجمل بنائها العام"(١).

---

(١) أمل سالم عواودة، محمد عبد الكريم محافظة، **صورة المرأة في الأدب الشعبي الأردني والفلسطيني**، د.ط، ٢٠٠٠، ص١٣٥.

(٢) عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**، تحقيق: علي عبد الوافي، ج١، ط٣، دار نهضة مصر للطبـــع والنـــشر، القاهرة، د.ت، ص١٧٨.

(٣) عبد الحميد يونس، **دفاع عن الفلكلور**، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣، ص١١٥.

ومن ذلك جميعاً يتأكد لنا أن الحكاية الشعبية تنتقل بحرية من شخص إلى آخر، ولا يزعم أحد أن الفضل يعود إليه وحده في أصالتها ويكون هذا الانتقال في الغالب الأعم عـن طريـق الرواية الشفاهية، فهي تُسمع وتُردد بقدر ما تسعف ذاكرة الراوي فربما يحكيها كما سمعها وربما يضيف إليها أو يحذف منها، أو تعدل عباراتها ومضامينها وعلاقتها على لسان الراوي الجديـد تبعاً لمزاجه أو موقفه أو ظروف بيئته الاجتماعية، وعلى سبيل المثال نذكر إحدى الحكايات التي قمت بجمعها حيث سمعت قصة محمد وحمده بأكثر من شكل فهناك أحداث متـشابهة وأحـداث مختلفة ربما ذلك يعود للراوي ولظروف بيئته ومزاجه.

(١) أحمد زياد محبك، **من التراث الشعبي**، ط١، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ٢٠٠٥، ص١٩.

المبحث الثاني

مصادر الحكاية الشعبية وأصولها

يمكن القول إن أول أشكال الحكاية تعود إلى مراحل الإنسانية الأولى عندما كان البشر يحاولون أن يجدوا لكل ما يكتشفون مع الأيام من غرائب الطبيعة قصة، وسرعان ما انتشر البشر على الأرض وانتشرت معهم الحكايات والتفسيرات، فراحوا يتناقلون تلك الحكايات خلفاً عن سلف مطورين بها حيناً حتى انتهت إلى ما هي عليه الآن.

ومن أهم مصادر الحكاية الشعبية الشعب، لذا اكتسبت صفتها من مصدرها، فالشعب ينتجها ويستهلكها، فالأدب الشعبي هو إبداع جمعي والحكاية جزء من ذلك الأدب وهي نتاج المثقف والأمي، والصغير والكبير، والمرأة والرجل، فكلهم أفراد مجتمع تدور فيه حكاياتهم التي هي جزء لا يتجزأ من تراثهم وتاريخهم.

والحكاية الشعبية تعبر عن نفسية المجتمع، وتمس الحياة الاجتماعية من جميع جوانبها وهذا ما جعل الشعب من مصادر الحكاية، وتعد المرأة مصدراً رئيسياً من ذلك الشعب، حيث تجمع الجدة أحفادها وأبناءها فتقوم بسرد الحكايات المتتالية أمامهم، لذا فالمرأة تشارك الرجل في القصص والرواية، كما هو دورها في بناء الأسرة وتربية الأطفال، وقد لاحظتُ من خلال جولتي الميدانية ومعرفتي ببيئة محافظة المفرق أن المجتمع النسوي يتميز بأن العجائز هن اللواتي يمسكن زمام السرد والحديث بينما يستمع الأطفال –وأحياناً الكبار– وهنّ يروين بصوتهن ما كنزته الذاكرة من أحداث ووقائع.

وفي الواقع إن جانباً كبيراً من الحكايات التي جمعتها إنما سمعتها من متقدمين في السن ولكن للأسف اندثر ذلك الجيل أو يكاد، وهنا تواجهنا مسألة هي بحد ذاتها من معوقات البحث، وهي قلة مصادر الحكاية الشعبية، لأن الكثير من الحكايات ضاعت من ذاكرة الرواة، فهي عرضة للتغير المستمر وأيضاً طبيعة الحياة المعاصرة أصبحت تقلل من أهمية الرواة والحكايات وأهمية ذلك المخزون الفكري الهام، وهذا ما أكده عبد الحميد حواس: "بأن الأدب الشعبي يخضع لقانون الصيرورة والتغير الدائم"(١).

وهنا تظهر أهمية تدوين الحكايات الشعبية والمحافظة عليها، وقد لمست من خلال تجربتي الميدانية أن مصدر الحكايات ليست فقط المسنين والمسنات، وإنما نجد كثيراً من الصغار يروون الحكايات، فرواية الحكاية لم تقتصر على العجائز وإنما يرويها غير العجائز على الرغم من أن رواية الحكايات في الأغلب لا تكون إلا ليلاً في أجواء خاصة يتم التحضير لها مسبقاً.

---

(١) عبد الحميد حواس، **أوراق في الثقافة الشعبية**، مرجع سابق، ص٧٩.

وقد أخذتُ الحكايات من المثقف والمتعلم والموظف والشيخ والمسن وربة البيت والعجوز، وكل من مثّل الأنماط الاجتماعية في داخل مجتمع بسيط، ولكن للأسف لم أجد مصدراً مدوناً فيه حكايات شعبية تعود لمحافظة المفرق، ولهذا كان كبار السن من الرجال والنساء يمثلون مصدراً هاماً ورافداً أساسياً في هذا المجال وذلك من خلال مخالطتي لأفراد مجتمعي ومعرفتي بحياتهم الاجتماعية.

ومن مصادر الحكاية الشعبية كتب التراث القومي مثل ألف ليلة وليلة وسيرة بني هلال والزير سالم، نستطيع القول أن هناك تداخلاً بين الحكايات الشعبية والحكايات المدونة وذلك لأن الراوي اعتمد كثيراً على ذاكرته ومحفوظه من تلك الحكايات المكتوبة التي جاءت عن طريق التجار والمسافرين وبخاصة إن محافظة المفرق هي مفرق طرق ونقطة عبور للتجار بين الشام ومصر والعراق وجزيرة العرب.

وتعتبر كتب التراث من مصادر الحكاية، فقد جمعت عدداً من الحكايات التي أبطالها من الحيوانات والطيور وهي تنهج المذهب الرمزي الذي نهجته حكايات كليلة ودمنة وهو أحد كتب التراث، ولو أردنا إجراء مقارنة بسيطة بين حكاية (أبو الحصين) المروية وحكاية (فروة أبو الحصين المكتوبة) لوجدنا أنهما تتفقان على أن الثعلب يلقي الجزاء نتيجة مكره وتلاعبه بالآخرين، فالحكاية المروية تتحدث عن غراب وثعلب كانا أصدقاء فقام الثعلب بدعوة الغراب للطعام، ووضع له الطعام على حجر ليأكله فتكسر منقار الغراب، فقام الغراب بدعوة الثعلب أيضاً ووضع الطعام على شجرة شوك فتجرح لسان الثعلب(١). أما الحكاية المكتوبة فتتحدث عن ثعلب ونسر عاشا فترة في الغابة حيث يلتف الشجر حيث يضع الثعلب الطعام للنسر على الشجر فيدخل النسر بين الشجر، وأدى ذلك إلى تساقط ريشه ولم يبق على جسمه ريشة واحدة(٢). ونلاحظ الاختلاف في النصين كان في الأسماء والأبطال والحدث وكأنهما يتفقان في النتيجة النهائية والمصير المحتوم للمكر والخداع.

ونجد أيضاً حكايات عديدة جداً تتحدث عن البطولة والفروسية ومحاربة الشر والقضاء على الأشرار كالذي نجده في ملحمة (عنترة) و(تغريبة بني هلال) والزير سالم، فالشعب العربي بشكل عام يهوى البطولة والفروسية، فالمضمون واحد بالرغم من اختلاف الشخصيات والعناصر والأسماء، فحكاية (غزوة نواف) تتحدث عن البطولة الفردية التي قام بها الشيخ نواف وحقق العدل ونشر الأمان بين أفراد قبيلته(٣)، وكذلك حكاية (الشاطر محمد) (١) الذي قام بشجاعة كبيرة وخلص الناس من الخطر الذي يهددهم، فالتأثير واضح بتلك الحكايات التراثية ومضمونها.

---

(١) انظر ملحق الحكايات، ص١٢٣

(٢) فايز علي الغول، **أساطير من بلادي**، د.ط، جمعية عمال المطابع الأردنية التعاونية، عمان، د.ت، ص٨٤.

(٣) انظر ملحق الحكايات، ص١٠٩

ومن مصادر الحكايات المعتقدات الإسلامية، حيث حصلت على عدد من الحكايات التي تتناول الأفكار الإسلامية كالإيمان بالقضاء والقدر والرضا بالمكتوب، فالأفكار الإسلامية استأثرت باهتمام الرواة وقصاصي الحكاية، فحكاية (الجرة)[٢] التي تتحدث عن مجموعة من الأفكار الإسلامية كالأمانة وذهاب مال الحرام بسرعة وعدم بقائه، تؤكد على التأثر الكبير بالدين والقرآن الكريم.

وهناك حكاية (حميميصة)[٣] التي تتحدث عن عجوز طال انتظارها لكي يرزقها الله بطفل فانتظرت لأن أصبحت عجوزاً لا رجاء منها، لكن كرم الله كبير ورحمته أكبر، فرحم حال المرأة ورزقها بابنة بقدر حبة الحمص، فشكرت الله على ذلك الكرم. وهناك كثير من الحكايات تتناول كل منها جانباً معيناً من الدين، فهذا مصدر من مصادر الحكاية.

ويقال إن الحكاية ترجع بأصولها للأساطير، ومن الذين يرون ذلك عبد الحميد يونس حيث يرى "أنها انفرطت عن الملحمة والأسطورة فهي صورة أكثر بساطة وسذاجة من الملحمة انفرطت عنها كما أنها انحدرت بحكم التطور إلى سفح الكيان الاجتماعي"[٤] والكاتب هنا يؤكد على أن الأسطورة هي أصل الحكايات الشعبية، ويونس ليس هو الوحيد الذي يرى ذلك فهناك من يؤكد على أن كثيراً من حكاياتنا ما هي إلا حكايات وأساطير مهاجرة من بلاد الهند وبلاد فارس بسبب العلاقات المستمرة بين شعوب العالم القديم، وربما استدل على ذلك بالاكتشاف لكثير من الكلمات التي نستخدمها اليوم في حياتنا بنفس اللفظ والمعنى، تعود لأصول أشورية بابلية مثل: بنت، جمل، أب، ورق، عقرب، ملك، ليل، ولد، صرخ، وغيرها[٥].

والتأكيد على الأصل الأسطوري، واضح، لكن الباحث الأخير وضح أن تلك الحكايات المتداولة اليوم انتقلت عن طريق التجار، وأنا أوافقه الرأي فالمنطقة العربية كانت ولا زالت منطقة تجارية تستقطب العديد من التجار من مختلف الأجناس، فالتبادل لم يكن تجارياً فقط وإنما كان ثقافيا ولغوياً وعلى كافة الجوانب والمستويات.

ويذكر شوقي عبد الحكيم أن (الأخوين جريم) يؤكدان على أن الحكايات الشعبية حطام أساطير أوبقاياها وأشلائها المتأخرة[٦]، ولهذين الأخوين دراسات حول الفولكلور فقد أسسا المنهج

---

(١) انظر ملحق الحكايات، ص١١٩

(٢) انظر ملحق الحكايات، ص١١٧

(٣) انظر ملحق الحكايات، ص١١٤

(٤) عبد الحميد يونس، **دفاع عن الفولكلور**، مرجع سابق، ص١١٥.

(٥) عوض سعود عوض، **دراسات في الفولكلور الفلسطيني**، مرجع سابق، ص٥.

(٦) شوقي عبد الحكيم، **الحكايات الشعبية العربية**، ط١، دار ابن خلدون، بيروت، ١٩٨٠، ص٨.

التاريخي اللغوي، فأصدرا كتباً عدة في هذا المجال لذا يمكن اعتبار قولهما صحيحاً، إذ اعتبـرا الأسطورة مرادفة للدين.

ويؤكد هاني العمد على وجود صلات متينة بين الحكايات والأساطير[١]، ولهذا نـستطيع القول إن الأساطير مغرقة في القدم فهي شكل من أشكال الأدب الشعبي، والأشكال قابلة للتشكيل من جديد، فالتغير سنة من سنن الحياة، فلا شيء يبقى على حاله، فيمكن أن تكون الحكاية نبعت من الأساطير كشكل جديد مواكب للتغيرات، وملائم لظروف الحياة الجديدة ومتطلباتها، فقد تكون الحكاية ملائمة ومقنعة أكثر من الأسطورة.

فالتأكيد واضح على أن أصول الحكايات ترجع إلى منابع أسطورية قديمة، فكثيـر مـن حكاياتنا مرتبطة بأساطير مختلفة، فقد وجدت كثير من الحكايات مرتبطة بأسطورة الغول التـي تعيش بأماكن معنية وتظهر بأوقات معنية. تلك الأسطورة التي لا زالت حتى يومنا هذا عنصراً جذاباً لمستمعي الحكاية الشعبية ومحبيها.

وقد تناولت حكاياتنا الشعبية أشكالاً متعددة للغول منها الشرير الذي يؤذي الناس، ومنهـا الطيب الذي يساعد الناس في الوصول لمبتغاهم وتحقيق أحلامهم حتى أن أفلاطون عندما أدرك ماهية النفس كان أفضل من إدراك العديد من الأشخاص المعاصرين الذين يريـدون تعـريض أطفالهم إلا إلى الأشخاص الحقيقيين والوقائع اليومية لذا اقتـرح أن يكـون المواطنـون فـي جمهوريته المثالية معدين للتثقف عن طريق سرد الأساطير[٢].

إن الإنسان منذ بداية حياته أراد أن يجد لكل ما يكتشفه مع الأيام من غرائب الطبيعة سبباً أو قصة أدت إليه أو يؤدي إليها، فانتشرت التفسيرات والحكايات؛ فالحكاية كما يؤكـد عيـسى جراجرة أنها "تعود إلى المراحل الأولى للإنسانية، فراح البشر يتناقلون الحكايات خلفاً عن سلف مطورين بها حيناً أو متطورة ومتغيرة بهم حيناً آخر حتى انتهت وانتهوا إلى ما هم عليه الآن[٣].

والحكاية كانت رفيقة الإنسان في مراحل حياته الأولى عندما كان يحاول جاهداً أن يجـد لكل ما يكتشفه من الغرائب والغوامض سبباً أو قصة تفسر تلك الغرائب، وفي ذلك التفسير نجد مكانة الحكاية الشعبية.

---

(١) هاني العمد، **الأدب الشعبي في الأردن**، مرجع سابق، ص٢٣.

(٢) برونوبتلهايم، **التحليل النفسي للحكايات الشعبية**، ترجمة: طلال حرب، د.ط، دار المروج للطباعة والنـشر والتوزيع، ١٩٨٥، ص٥٧.

(٣) عيسى جراجرة، **عشق حتى الموت**، د.ط، دائرة الثقافة والفنون، عمان، ١٩٨٥، ص١٤.

ويؤكد (فون ديرلاين) أن الأسطورة والحكاية نبعتا من أصول واحدة، وعاشــتا إحــداهما بجانب الأخرى ولم يحدث الانفصال بين النوعين إلا في عصور متأخرة فهو يبين أن الحكايات البدائية كانت حكايات تعليمية أي إجابة مفاجئة من سؤال مفاجئ أو حكايات طويلة تجمع كثيراً من مثل تلك الحكايات التعليلة الصغيرة[١]، فالباحث يريد القول على أن تكوين الحكايــات كــان على مراحل بدأت من نقل التصورات والتجارب المختلفة إلى بطل مــن الأبطــال أو تــصوير الصراع بين بطلين من أجل ثروة ذات قيمة، فنمت الحكاية عن طريق تكرار الموضوع ثــلاث مرات أو أكثر من ذلك.

ربما يكون رأي الكاتب أقرب إلى الصواب أكثر من غيره لأننا نجد الآن لكل شيء قصة ولكل ظاهرة حكاية، فالإنسان منذ البداية نسج الكثير من الأساطير والحكايات حــول الحقــائق والتغييرات التي توصل إليها، ولكن عندما تقل الحقائق وتتضاءل ينشط الخيال فيملأ كل شــيء ويبدع له قصة وحكاية لها بداية ونهاية.

وأخيراً يصعب علينا تحديد أصول الحكايات الحقيقية، لأن الحكايات تنتقل من راوٍ لمتلقٍ ومن منطقة لأخرى، وتحديد أصولها يحتاج أيضاً إلى عمل مكثف وجهود جبارة وميدان أوسع.

---

(١) فريدرسن فون ديرلاين، **الحكاية الخرافية**، ترجمة: نبيلة إبراهيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٦٥، ص ص١١٨-١٢٠.

المبحث الثالث

أنماطها وتصنيفاتها

إن التاريخ الحقيقي لحياة الشعوب يكمن في طبيعة تفكيرها ونمط تعبيرها وأشكال انفعالها وأساليب فعلها وفي همومها وآمالها وطموحاتها وشقائها، وأفراحها وكفاحها، فقدم الشعب نتاجاً كان منبوذاً من أكثر الباحثين والدارسين، لأنه كما يوصف نتاج (العامة) على الرغم من أهميته وقيمته، فظهر هذا النتاج واستمر في أشكال مختلفة، فنجد الأغنية الشعبية والأسطورة والملحمة والسير الشعبية والأمثال والألغاز والحكايات، وقد شعرت في بداية جمع المادة بذلك التنوع داخل أذهان الناس، حيث اختلط الأمر عليهم فهم لا يميزون بدرجة كبيرة بين الحكايات والأساطير أو بين قصص الأمثال والحكايات، فقد واجهتني صعوبة كبيرة بتوضيح مفهوم الحكاية الشعبية لعدد كبير من الرواة، وخاصة أن بعضهم كانوا أميين وهذا ما جعل هناك بطئاً في الحصول على مادة الدراسة إلا أن الصعوبات بدأت بالزوال شيئاً فشيئاً، وهنا سنوضح الحكاية الشعبية والأسطورة والسيرة وغيرها من الأشكال الأدبية الشعبية.

إن الحكاية محددة بمكان ولا يتاح لها أن تهاجر أو ترتحل فهي قصيرة تنتهي بكارثة أو نجاة البطل بمعجزة، وجزئياتها قليلة العدد ومتكررة. أما الأسطورة فهي تعبر عن الخوارق والخرافات والحيوانات الأسطورية مثل الغول وهناك عدد من الباحثين تناولوا الأسطورة أمثال فايز الغول، هاني العمد، أحمد كمال زكي، وغيرهم.

وتضم السير أيضاً حديثاً عن أيام العرب وهي تلك الوقائع الحربية التي كانت تدور في الجاهلية بين القبائل العربية مثل حروب الأوس والخزرج. فسيرة عنترة التي تعد أطول السير الشعبية احتوت على جانب كبير من أيام العرب وأبرزها (يوم داحس والغبراء) بين قبيلتي عبس وذبيان(١). وسيرة عنترة تبدأ أحداثها قبل ولادة البطل بزمن طويل جداً، ثم تتابع الأحداث في مراحل التكوين والفروسية، لذا فهي غير مقيدة بفترة معينة من الزمان وغير مقيدة أيضاً بحدود مكانية، فهي تتجاوز ذلك كله وهي تزخر بالشعر لدرجة أن أبياتها تجاوزت عشرة آلاف بيت، وهنا نلاحظ مدى اختلافها التام عن الحكايات الشعبية.

وقد يختلط على الإنسان الذي ليس لديه خبرة واسعة بالأدب الشعبي، الحكايات بقصص الأمثال، فالأمثال تعبر عن تجربة حقيقية مألوفة، صيغت بأسلوب مختصر، فكثير من الأمثال لها قصص، فالمثل جاء نتيجة تجربة أو موقف مرّ به الإنسان، أو حادثة حصلت له فنتج المثل عن ذلك الفرد لتميزه ربما بالإبداع أو نتيجة إحساسه وانفعاله لما حصل له، فراج المثل وقصته بين

---

(١) ضياء الكعبي، **السرد العربي القديم**، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥، ص١٦٥.

جمهور الناس، فالمثل ينعقد الإجماع على أنه حكمة شعبية شفهية مجهولة القائل لها طابع تعليمي من حيث الموضوع، ولون من التركيز من ناحية الصياغة[١]، وهذا ما يساعد المثل على الشيوع والانتشار وللمثل بلاغة وسحراً عجيبين ففيه تجربة أجيال بكاملها.

وقد صيغت قصص هذه الأمثال بأسلوب سهل مختصر بعيد عن التعقيد والمبالغة والتهويل، والحقيقة التي تعبر عنها الأمثال صادقة، فهي تميل إلى مدح الفضائل وتشير إلى مشكلات، وتسخير من مواقف معينة، وتحذر من الخطأ والغلو، والملاحظ على الأمثال وقصصها أنها تصلح لأن تكون تجربة يملكها أي شخص أو يعيشها.

وأطرح هنا قصة مثل سمعتها من أحد الرواة أثناء عملي الميداني في الجمع وذلك لأن كثيراً من الرواة لا يفرقون بين قصص الأمثال والحكايات الشعبية، وهذا المثل هو جزاء المغربي لابن طلفاح[٢] والقصة هي أن ابن طلفاح كان تاجراً يأتي بالتجارة من الشام إلى الأردن، وفي طريقه وهو عائد من الشام للأردن، وجد شخصاً مرمياً بجانب الطريق، وكان هذا الرجل جندياً من جنود جيوش تركيا فقد كان جريحاً ومصاباً، فحمله ابن طلفاح معه إلى بيته، وعالجه حتى شفي من جرحه، وبعدما شفي، طلب الرجل من ابن طلفاح، أن يجعله يذهب إلى أهله في المغرب، فحمله على فرس إلى حيفا في فلسطين حيث كانت وسائط النقل في ذلك الوقت هي البواخر، وفي الطريق قبل وصولهم إلى ميناء حيفا، أراد ابن طلفاح أن يستريح، وقد كان يحمل معه بندقية، فنام واستراح، وفي أثناء ذلك قام الرجل المغربي وقتل ابن طلفاح، وسبب قيامه بذلك الفعل هو اعتقاد كان منتشراً عند أهل المغرب في ذلك الوقت، بأنه إذا رجل قتل رجل، في الآخرة سيحمله على ظهره طيلة الحياة في الآخرة، وهذا جزاء معروف ابن طلفاح للمغربي.

أما الحكاية الشعبية فهي تقدم قصة لها بداية ونهاية متكاملة، وتمتاز بالتماسك وقوة الحبك والبناء وتعتمد على حوادث كبيرة فاصلة، وغالباً ما تكون غريبة ونادرة، وهي تمتد طويلاً في الزمان أحياناً، وتشغل حيزاً كبيراً في المكان فتتغير فيها المواضع وتتبدل العهود، ولا تنتهي الحوادث حتى يستقر كل شيء، وينال كل ذي حق حقه كحكاية غزوة الشيخ نواف والتي تبين صراع قبيلة مع إحدى القبائل لاسترداد حقه وفك أسر ابنته وإرجاع الأمور كما كانت عليه[٣]

---

(١) خليل إبراهيم حسونة، **المثل الشعبي في ليبيا وفلسطين**، ط١، دار ابن خلدون للنشر والتوزيع، غزة، فلسطين، ٢٠٠٣م، ص١٦.

(٢) الراوي: الوالد أبو عبد الله سعود عواد، ٦٣ سنة، المفرق، مغير السرحان مقابلة شخصية بتاريخ ٢٠٠٧/٢/٤م.

(٣) انظر ملحق الحكايات، ص١٠٩

وأحياناً تكون النهاية في بعض الحكايات هي الموت بعد السعادة والاستقرار، وتتميز الحكاية بأن الزمان والمكان فيها غير محدداً بشكل كامل، لذا هي تخترق حواجز المكان والزمان، وهذا ما حقق لها شعبيتها واستمرارها في الذاكرة الجماعية، فظاهرة التجهيل والتعميم فيها واضحة محددة بارزة، فالزمان هو "قديم الزمان، وسالف العصر والأوان"، والمكان أحياناً هو "بلاد الله الواسعة" ويتم تجاوز الأبعاد الزمانية والمكانية بسرعة هائلة، فالأيام تمر بسرعة هائلة، كالظلال، فالحديث عن ميزات الحكاية سيتم تناوله لاحقاً، ولكن أردت التوضيح لحصر ذهن القارئ بشكل أكبر حول الحكاية الشعبية حتى تزداد الفكرة وضوحاً وحتى يميزها أكثر عن بقية الأنواع الشعبية الأدبية.

أما الشخصيات فواضحة محددة وتتحدد غالباً حسب مكانتها وموقعها في المجتمع كالأب والأبن والزوجة والتاجر والملك والخادم وغير ذلك، والحكايات تقدم شخصياتها بغنى وتنوع كبيرين، كالأب الظالم والأم العطوف، زوجة الأب الظالمة والأخ الغادر، والزوجة اللعوب والجار الغني، وهذا ما سنلاحظه في كثير من الحكايات في الملحق في نهاية الدراسة، وتقدم الحكايات الشعبية شخصيات غير بشرية أحياناً ذات دور فريد ومتميز أو قد تقدم شخصيات بشرية مسخت بفعل السحر وحولت إلى حيوان أو نبات أو جماد، كما تقدم الحكايات شخصيات أخرى غريبة كالغول والجني والعفريت، وأكثرها يخدم الإنسان ويساعده، فالجمع فيها بين الواقعي والخيالي واضح بطريقة فنية محكمة وتتضمن الحكايات أمثلة وحكماً ومواعظ ومووايل.

وما يميز الحكاية أيضاً تلك البساطة التي اقتضتها وظائفها وأغراضها فكما قالت نبيلة إبراهيم "أن البساطة ليست مراوغة للتسطيح الذي لا يحرك الفكر أو العواطف بل هي ضد التعقيد والغموض فقانون البساطة مطلوب في عملية التوصيل الجماعي[١].

وبعد هذا أصبح مفهوم الحكاية الشعبية واضحاً لامعاً وبارزاً عن غيره لكن موضوعنا هنا تحديد أنماط الحكاية الشعبية المتداولة وهل تتشابه مع غيرها من الأنماط الأخرى المتداولة في الدول العربية الأخرى وغير العربية؟ وإن تشابهت فمن أي ناحية من حيث الغرض أو الموضوع؟

إن التساؤلات كثيرة والإجابة عنها تحتاج إلى تمعن طويل وبحث جاد والعمل يحتاج إلى جهود جبّارة، لكني قدر المستطاع حاولت الوصول إلى أنواع أجدها متشابهة مع بعضها وأنواع أخرى جديدة فكل باحث كان له تصنيفاته يراها هي الأصح عن غيرها.

---

(١) أمل سالم العواودة، محمد محافظة، **صورة المرأة في الأدب الشعبي الأردني والفلسطيني**، مرجع سابق، ص١٣٧.

ومن أهم الباحثين الذين تناولوا تصنيف الحكاية الشعبية "عمر الساريسي" حيث صنف حكاياتــه حسب موضوعاتها ووظائفها إلى حكايات الواقع الاجتماعي وحكايـــات خرافيـــة وحكايـــات حيـــوان وحكايات معتقدات وحكايات تجارب شخصية وحكايات الشطار، وبيّن أيضاً أنه اتّبع هذا التصنيف تبعاً لوجودها في المجتمع(١) فالباحث هنا اعتمد في تصنيفه هذا على الدور والوظيفة التي تنهض به الحكاية الشعبية للفرد في مجتمعه الذي يعتبره بؤرة البحوث الاجتماعية والإنسانية.

ولعلني هنا أوافق الباحث في تصنيفه هذا في اتباعه المنهج الوظيفي في تصنيف أنماط الحكايـــة الشعبية بسبب الدور العظيم الخفي الذي تقوم به الحكاية دون أن نشعر بذلك الدور الهام، فالحكاية كشفت على مدى طويل عن وجود حي معبر في أذهان الناس وثراء فني بسبب حكمة الشعب وبلاغته.

ومن الذين صنفوا حسب الوظيفة التي تقوم بها الحكاية الشعبية "هاني العمد" وبين أيضاً صعوبة تصنيف الحكايات بشكل فاصل وقاطع بسبب تشابك أحداثها واستعارة بعض الحكايات مـــن حكايـــات أخرى، وهذا في حقيقة الأمر من الصعوبات التي واجهتني في تصنيف الحكايات التي جمعتها، ونجـــد عند العمد الحكاية المرحة وحكاية الحيوان، وحكاية المعتقدات الشعبية(٢)، وهذا التصنيف وهذه الأنـــواع نجدها بكثرة عند كثير من الباحثين مثل عمر الساريسي كما ذكرنا آنفاً.

ومن الباحثين محمد خالد رمضان الذي ألف كتاب "حكايات شعبية من الزبداني" جمع فيه ثلاثاً وثمانين حكاية شعبية امتازت بالإثارة والتنوع صنفها إلى الأنواع التالية: حكايا الخـــوارق والخرافة، وحكايا الحيوان والحكاية المرحة وحكايا الأطفال(٣) ويعتبر الباحث من أهـــم بـــاحثي الأدب الشعبي السوري حيث جمع الحكايات وصنفها تبعاً لدورها الهام فـــي المجتمـــع. ومـــن الباحثين في الأدب الشعبي السوري أحمد بسام ساعي(٤) الذي جمع مائة وست حكايات شـــعبية بعنوان "الحكايات الشعبية في اللاذقية"، حيث كانت الحكايات حصيلة جهد استمر خمسة أعـــوام حيث صنف حكاياته إلى حكايات الحيوان وحكايات دينية وحكايات خرافيـــة وحكايـــات الجـــان وحكايات الألغاز والواضح أنه اعتمد في تصنيفه على المـــنهج الموضـــوعي، لأنـــه يـــرى أن الحكايات صورة لمجتمعها وهو يؤكد أيضاً على الجانب الوظيفي للحكايات فهو يرى في أخلاق المجتمع صورة لما يمكن أن تكون عليه حكاياته، لذا تنشأ الفكرة التربوية في الحكايـــات فهـــي تسعى إلى تحقيق المثل الأعلى الذي تسعى الأمة إلى تحقيقه.

---

(١) عمر الساريسي، **الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني**، مرجع سابق، ص٣٤٠.

(٢) هاني العمد، **الأدب الشعبي في الأردن**، مرجع سابق، ص٢٦.

(٣) رشدي الأشهب، **الحكايات والأساطير الشعبية في الخليل**، د.ط، جمعية الدراسات العربية، القدس، د.ت، ص٣٨.

(٤) أحمد بسام ساعي، **الحكاية الشعبية في اللاذقية**، د.ط، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٤م، ص٢٧.

والباحث هنا مصيب في منهجه لأن المنهج الوظيفي من أفضل المناهج التي حققت نتائج عديدة في مجال دراسة الحكاية الشعبية.

فالباحث هنا اتبع في تصنيف حكاياته حسب الموضوعات، فقد رتَّب حكاياته إلى خمسة أبواب واثنين وثلاثين مدخلاً، ونجد أيضاً رشدي الأشهب الذي جمع حكايات مدينة الخليل وقسمها إلى حكايات الصالحين والأنبياء وحكايات الجان وحكايات السحر وحكايات الأم والحكايات البدوية وحكايات الحيوان[١]، حيث اتبع الباحث هنا مناهج من سبق من أمثال كراب، فقد راعى في التصنيف الموضوع وألوان السلوك الإنساني، ويمكن القول أن الباحث أضاف هنا لوناً جديداً اسمه حكايات الأم. ولا أعرف إن أراد الباحث القصد هو تلك الحكايات التي تتناول واقعاً اجتماعياً بحتاً يتناول جوانب عائلية أسرية ويعالج مشاكل خاصة بالمجتمعات وعلاقاتها الداخلية.

وفي الحقيقة هناك تسميات لأصناف من الحكايات جديدة وهذا هو الذي نحتاجه اليوم لتجديد الروح في أعماق الحكايات الشعبية وإحيائها من جديد.

أمّا عن الجهود الغربية في تصنيف الحكايات فهي عديدة فنجد (الكسندر كراب) قسم الحكايات الشعبية إلى الأنواع التالية: حكايات الجان والحكاية المرحة وحكاية الحيوان والخرافة المحلية والخرافة المهاجرة[٢]، حيث نلاحظ أنه قدم الحكاية المرحة على ما هو أهم منها وهو لم يخصص قسماً للحكايات الدينية والأساطير، وهناك أيضاً عالم الفولكلور الأمريكي (سيث تومسون) فقد قسم الحكاية حسب موضوعاتها أمثال حكايات الجان والعفاريت وحكايات هزلية وحكايات الحياة اليومية[٣].

وقد حاول الباحث الألماني "فوندت" أن يتوسع في التصنيف النوعي للحكايات فقد قسم القصص الشعبي إلى حكايات السحر الخرافية الصرف والخرافات والفابولات البيولوجية وفابولات الحيوان وحكايات أصول القبائل والشعوب وحكايات هزلية خرافية[٤].

ونلاحظ في هذا التصنيف تنوعاً كبيراً لأنه من الممكن أن تحتوي حكايا الحيوان أحداثاً خرافية وخيالية ويمكن أن تحتوي أيضاً تلك الحكايات التي تتحدث عن القبائل والشعوب بعض الأحداث الهزلية، وقد بذلت المدرسة الجغرافية التاريخية جهوداً كبيرة في تصنيف الحكايات إلى

---

(١) رشدي الأشهب، **الحكايات الشعبية والأساطير في الخليل**، مرجع سابق، ص٣٦.

(٢) المرجع ذاته، ص٣٦.

(٣) شوقي عبد الحكيم، **الحكايات الشعبية العربية**، مرجع سابق، ص١١.

(٤) نبيلة إبراهيم، **قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية**، مرجع سابق، ص١٦.

نماذج أو أنماط، واستخلاص ما فيها من وحدات صغيرة أو كبيرة، لذا حقق أصحاب هذه المدرسة تسهيلات كثيرة للباحثين في الحكايات الشعبية.

ومن الباحثين "فلاديمير بروب" الذي وصف الحكايات وفقاً لأجزاء محتواها وعلاقة الأجزاء مع بعضها البعض، وقد اكتشف الباحث وحدة أساسية جديدة للحكايات، سماها بالوحدة الوظيفية وقد درس فيها، الحكايات الروسية، واهتدى إلى أن عدد الوحدات الوظيفية التي تتحكم في جميع الحكايات الروسية تبلغ إحدى وثلاثين وظيفة، من هذه الوظائف وظيفة رقم (٨) وتقع تحت عنوان الشخصية الشريرة التي تسبب الأذى لأحد أفراد الأسرى وسأتناول هذه الوظائف لاحقاً لأنها تمثل وظائف كثير من شخصيات حكاياتنا الشعبية[١].

ومن الجهود الغربية أيضاً ما قام به الأخوين جريم حيث كان لهما دور رائد في معالجة الحكايات الشعبية معالجة مدرسية واضحة فقد دارت الحكايات الشعبية الألمانية التي جمعوها عن التقاليد والعادات والمعتقدات الألمانية وكذلك ما أسموه بحكايات الأطفال[٢]، ونذكر هنا أنهما أسسا المنهج التاريخي اللغوي الذي كان له دور كبير في دراسة الحكاية الشعبية والفولكلور الشعبي.

إن التطور سمة واضحة في الحياة، وتتطور معها أنماط القصص والحكايات الشعبية، فقد وجدت نفسي مقيدة وحرة في الوقت نفسه، مقيدة بتلك التصنيفات التي وجدتها عند كثير من الباحثين، وحرة في الوقت نفسه، لأنني باحثة ويطلب مني تقديم الجديد والتعبير عن وجهة نظري، لذا أرى أنه لا بد من تصنيف جديد للحكايات التي جمعتها لأنه بحث جديد في مجال الدراسة، وسأتطرق لذلك التصنيف لاحقاً بعد أن أتناول كيفية جمع مادة الدراسة في مجتمع الدراسة.

---

(١) المرجع السابق، ص٢٧.

(٢) رشدي الأشهب، **الحكايات والأساطير الشعبية في مدينة الخليل**، مرجع سابق، ص٣٤.

المبحث الرابع

كيفية الجمع والتصنيف

يعتبر العمل الميداني في الدراسات الشعبية من مستحدثات القرن العشرين، وأول من زاوله المتخصصون بالدراسات اللغوية والأنثروبولوجية في أوروبا وأمريكا[1]، وقد كان علماء العرب الأوائل في ممارسة العمل الميداني، ولكن علماء العرب الأوائل لم يخصوا العمل الميداني بمؤلفات مستقلة تبين منهجهم في البحث.

ونجد البحث الميداني عند علماء البصرة والكوفة قديماً وكان يقوم في مراحله الأولى على الأخذ من الأعراب الذين يفدون من البادية لقضاء حوائجهم في سوق المربد عند البصرة أو الكناسة عند الكوفة، لكن البحث الميداني عند العرب لم يستمر على هذا النمط بل اتجه وجهة أخرى، إذ أخذ العلماء يشدون الرحال إلى جوف الصحراء ويتغلغلون في أعماق المجتمع البدوي لجمع اللغة والشعر والأمثال من فصحاء العرب، ولم ينظر العلماء إلى أفراد هذا المجتمع نظرة تكبر واستعلاء أو على أنهم أعراب أميين وبدو، بل كانوا يجلونهم ويحترمونهم، وقد حرص العلماء العرب في بحوثهم الميدانية على جمع المعلومات الضرورية عن الرواة، ورحلتهم في البادية مكنتهم من التعرف على طبيعة الصحراء والمجتمع البدوي وبنيته الاجتماعية.

ونلاحظ هنا أن العلماء العرب اتفقوا مع علماء الفلكلور المعاصرين في طريقة الجمع ومنهج العمل لكنهم يختلفون عنهم في الأهداف والغايات، فالدوافع عند العلماء العرب كانت دوافع دينية لخدمة القرآن وهذا ما جعلهم لا يهتمون بدراسة اللهجات العامية وآدابها لأنها لا تخدم غرضاً دينياً، لكن علماء الفلكلور كان لهم اهتمامات عديدة في جمع التراث وخدمته، جاءت من وراء عوامل وطنية بحتة.

وقد بدأت تلك الاهتمامات بالدراسات الشعبية في بلادنا العربية في عهد الاستعمار الغربي عندما أخذت شعوبها تتململ من مخططاته الرامية إلى طمس تراث هذه الشعوب وإظهارها في صورة من الذل والخنوع والتبعية للأجنبي، وتعرض العرب للنكبات العديدة في حروبهم مع الحركة الصهيونية والاستعمار الغربي هو ما جعلهم يشعرون بأهمية التراث الشعبي ولعلنا نجزم بأن ضعفنا في نواحي عديدة نابع من عدم التزامنا إزاء تراثنا وعاداتنا وسلوكنا الشعبي، لذا أدى ذلك إلى الضعف العام بين الشعوب العربية، وكذلك أثر الثقافة التقليدية والآداب الفصحى

---

(١) سعد العبد الله الصويان، **جمع المأثورات الشفهية**، ط١، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، ١٩٨٥، ص٥٠.

وغلبتها على الآداب الأخرى أدت أيضاً إلى الابتعاد عن الأدب والتـراث الـشعبي والعـادات والتقاليد وما شابه ذلك[١].

وفي الحقيقة أن تدهور الثقافة الشعبية عند العرب اقترن بـأول تمـاس بـين الحـضارة الأوروبية العلمية والمجتمع العربي، ولكن تقبل المجتمع العربي للحضارة كان بطيئاً، وقد ساعد هذا على الإبقاء على ظواهر وعادات وتقاليد وآداب شعبية لفترة طويلة، وإذا ما بقي شيء مـن التراث الشعبي فهو في البيئات التي ما زالت بعيدة عن التماس الحضاري المباشر وأكثر تلـك المناطق كانت المجتمعات القروية الريفية والبدوية الأصيلة.

أما عن الدراسات الشعبية في المجتمعات العربية فقد تنوعت وتعددت ومنها في العـراق، فقد قام "أحمد الصوفي" بجمع الحكايات الشعبية في الموصل "حكايات الموصل الشعبية"[٢]، وقـد كانت جهوده هي أقدم الجهود العربية في هذا المجال، وهناك أيضاً الحكايات التي نشرها "يوسف أمين قصير" في كتاب "الحكاية والإنسان" عام ١٩٧٠ حيث ذكر في مقدمة الكتاب أنه "طلب إلى تلاميذه أن يدونوها له مما يسمعونه في بيوتهم أو خارجها حتى حصل على مجموعات مختلفـة منها من مناطق متعددة"[٣].

وقد بين أنه حوّر في حوادثها غير المنطقية ليجعلها متسلسلة لذيذة أو أضاف أجزاء فيهـا أو حذف منها أجزاء أخرى.

وفي السودان قام "مراد كامل" بجمع مجموعة من القصص السودانية أسـماها "مجموعـة قصص سودانية" صدرت عن دار المعارف عام ١٩٦٣، وعن مكتب النشر بـالخرطوم كتـاب آخر بنفس العنوان وهو يضم حكايات جمعها وصاغها عبد الله أحمد محمد عوض[٤] وقـد أدار "عز الدين إسماعيل" كتابه "القصص الشعبي في السودان" حول هذه الكتب، فحلل ودرس حوالي ثلاثين حكاية منها[٥].

وفي السعودية نشر "عبد الكريم الجهيمان" مجموعات من الحكايات الشعبية المعروفة هناك في كتاب "أساطير شعبية من قلب الجزيرة العربية"، هي ليست بأساطير وإنمـا هـي حكايـات

---

(١) داود سلوم، **أبحاث في التراث الشعبي**، د.ط، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ١٩٨٦م، ص٤٢.

(٢) عمر الساريسي، إبراهيم عبد الهادي، **حكايات شعبية مـن فلـسطين والأردن**، د.ط، دار الينـابيع للنـشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٢، ص١٣.

(٣) يوسف أمين خضير، **الحكاية والإنسان**، د.ط، وزارة الإعلام العراقية، ١٩٧٠، ص٤.

(٤) عمر الساريسي، إبراهيم عبد الهادي، **حكايات شعبية من فلسطين والأردن**، مرجع سابق، ص١٤.

(٥) عز الدين إسماعيل، **القصص الشعبي في السودان**، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافـة والإعـلام، العراق، د.ت، ص٢٠٤.

شعبية. وقد حصلت على هذا الكتاب ووجدت فيه بعضاً من الحكايات الشعبية المتداولة في الأردن بالإضافة إلى المتعة التي يشعر بها القارئ أثناء قراءة هذه الحكايات والأساطير الموجودة في ذلك الكتاب.

أما في لبنان فقد صدرت مجموعة "حكايات لبنانية" التي جمعها كرم البستاني وفي سوريا "أحمد بسام ساعي" حيث قدم رسالة جامعية بعنوان "الحكاية الشعبية في اللاذقية" جمع من خلالها ما يعادل الثلاثمائة حكاية صاغها بالفصحى باستثناء بعضها نقلها بلهجتها العامية، لتمثل لهجة أهالي اللاذقية وتوالت الدراسات التي تناولت الحكايات الشعبية، ففي فلسطين نذكر "نمر سرحان" في "موسوعة الفولكلور الفلسطيني"، التي نشرها في الثمانينات وكذلك "فايز علي الغول"، من أهالي قرية سلوان في القدس أصدر "سلسلة الدنيا حكايات" حيث جمع كثير من الحكايات عن طريق طلاب المدارس الثانوية.

وهناك أيضاً "رشدي الأشهب" أنجز بحثاً حول "الحكايات والأساطير الشعبية في منطقة الخليل" نال به درجة جامعية عام ١٩٨٣ وقد احتوى على حكايات ذات طابع شعبي واقعي وخرافي وأسطوري.

ومن الأعمال الرسالة التي قدمها "عمر الساريسي" حول "الحكاية الشعبية الفلسطينية".

أما في الأردن فقد وضع "عيسى جراجرة" مجموعة من القصص الشعبية للأطفال ومجموعات أخرى منها "عشق حتى الموت" حيث بين فيها أقسام القصص والحكايات الشعبية الأردنية وتصنيفاتها[١] وحيث تحتوي هذه المجموعة على سبع وثلاثين حكاية ذات طابع واقعي أو خرافي فقد كانت دراسة نظرية ومجموعة قصص شعبية أردنية.

وقد وظف "طه الهباهبة" الحكاية الشعبية المحلية توظيفاً جيداً وقد قام بجمع الحكايات الشعبية في محافظة معان، وجعل الحكاية الشعبية في "معان" موضوعاً لأطروحته الجامعية، وهناك جهود أردنية عديدة في هذا المجال، فهناك "توفيق أبو الرب" حيث نجد له دراسات عديدة في الفولكلور الأردني.

أما عن الجهود الغربية في هذا المجال، فقد ظهرت أقدم مجموعة للحكاية الشعبية في القرن الحادي عشر الميلادي والتي جمعها الشاعر "سومادیوا" بعنوان "ملتقى التيارات لمختلف الحكايات"[٢]، وظهرت مجموعات الحكايات التي دونت باللغات الشعبية المحلية مثل مجموعة

---

(١) عيسى حسن الجراجرة، **عشق حتى الموت**، مرجع سابق، ص٣١.

(٢) نقلاً عن: فون ديرلاين، **الحكاية الخرافية**، ترجمة: نبيلة إبراهيم، مرجع سابق، ص١٧.

"الديكاميرون" "لبوكاتشيو" في القرن الرابع عشر[١]، وقد وضع الفرنسي "شارل بيرو" عام ١٦٩٧ موسوعة بعنوان "حكايات أمي الأوزة" حيث احتوت على حكاية سندريلا وحكاية الجمال النائم المشهورتين[٢].

وفي القرن الثامن عشر حيث جمع "موزويس" حكايات طبعت ونشرت بأسلوب ساخر وهادئ وهناك "جوتيه" الذي أغرم بالحكايات القديمة وشغل بتقليدها و"نوفاليس" الذي كان يرى أن الحكاية الخرافية تعد أسمى صورة للأدب بوجه عام[٣].

وقد قام الأخوان "يعقوب وولهلم جريم" بجمع بعض نصوص الحكاية الشعبية الألمانية القديمة عن مخطوطات قديمة جداً وعن الرواية الشفوية عن العجائز والمسنين حيث ظهر الجزء الأول من كتابهما "حكايات الأطفال والبيوت" عام ١٨١٢ والجزء الثاني بعد عامين[٤].

كانت هذه لمحة بسيطة وجدت فيها بعض الدراسات والاهتمامات العربية والغربية حول الحكاية الشعبية، تلك الثروة المدفونة في أذهان الرواة والمسنين، والتي تحتاج المزيد من المتابعة والاهتمام فقد بذلت أقصى قدرتي في هذا الميدان الذي آمل أن يجد المزيد من العمل والحماس والاهتمام أكثر من قبل القادرين المؤهلين في الأردن في بقية أرجاء وطننا العربي عامة.

إن التجربة التي خضتها في هذا المجال والبحر الواسع كانت تجربة في حقيقتها تستحق ذلك العزم وتلك الإرادة التي كانت في داخلي، فقد قطفت من ذلك الحصاد الزاخر الغني ما استطعت وجمعت عدداً مهماً من الحكايات الشعبية المنتشرة في المحافظة التي هي محور الدراسة، فدراسة تلك الحكاية توسع وعي الأمة بآدابها المنبثقة من لهجاتها، بالإضافة لما تمده من المعرفة والخبرة عن ذلك الماضي القريب، لذا أصبحت دراسة أدب الشعب هدفاً قومياً.

وقد أدركت وأنا أمضي في جمع نصوص الحكايات الشعبية، أنه جهد لا أستطيع أن أفيه حقه وحدي، ومن هنا لجأت إلى أصدقائي، ليساعدوني في الوصول إلى الرواة، وكذلك ساعدني طلابي في الوصول إلى الرواة من خلال أهاليهم وأقاربهم، وقد وجدت حماسةً من الصغار قبل الكبار، فقد وجد الطلاب هذا العمل ممتعاً ومفيداً في الوقت نفسه، والتقيت أيضاً ببعض الرواة المسنين، فقدموا لي كل ما تختزنه ذاكرتهم من حكايات لا زالت عالقة في أذهانهم بسبب ما تركته من أثر في نفوسهم، وقد كان لهذه الحكايات طابع خاص فبعضها صادر عن بيئة قبلية

---

(١) نقلاً عن: عمر الساريسي، إبراهيم عبد الهادي، **حكايات شعبية من فلسطين والأردن**، مرجع سابق، ص٦.

(٢) المرجع السابق، ص٧.

(٣) نقلاً عن: فون ديرلاين، **الحكاية الخرافية**، مرجع سابق، ص١٩.

(٤) نقلاً عن: فون ديرلاين، **الحكاية الخرافية**، مرجع سابق، ص٢٤.

حيث كان يعيش أفرادها فيها بأسلوب مختلف عن بقية البيئات، فالذي يغلب على مجتمع الدراسة هو أنه مجتمع بدوي قبلي متمسك بعاداته وتقاليده الأصلية، وهذا ما ميز حكاياته بأنها صـــادقة وأصيلة ومعبرة عن مشاعر أفراد عاديين بسطاء.

أما عن طريقة الجمع التي انتهجها، فهي الطريقة المتبعة لدى الباحثين في جمع التـــراث الشعبي، فقد بدأت بالاستماع للرواة المسنين والمسنات الذين ساعدوني في هذا المجال حيث بدأت بمن تربطني بهم علاقة قرابة أو معرفة وصداقة وجوار، وبالتأكيد في هذا الأمر، استغرق وقتاً كونه يحتاج لمسألة إقناع بأهمية ما لديهم من ثروة وطنية أدبية، وقد تكون هذه إحدى المشكلات التي واجهتني أثناء الجمع، فالوقت لم يكن في صالحي لأن الموضوع هو للحصول على درجـــة الماجستير، ولكن أقنعت نفسي أن لا أجعل الوقت هو معياري، فقررت أن أتناساه هو ونتيجتـــه وأستمر في عملي بكل إخلاص وصدق، بالرغم من أن الأمر ليس في صالحي.

وقد قمت بجمع عدد جيد من النصوص من خلال الاستماع للرواة والاستعانة بالأصـــدقاء والتلاميذ والالتقاء بالمهتمين بالتراث الشعبي، وبعد أن فرغت من جمع النصوص قمت بفرزها وتنسيقها فوجدت تشابهاً في بعض النصوص، مختلفة من حيث العنوان لكن المضمون متـــشابه في نواحٍ كثيرة، ولا أستطيع الجزم بأنني لن أحاول الحصول على المزيد من النصوص، فلـــن أترك فرصة تضيع من يدي إن كان هناك نص جديد من نصوص الحكايات الشعبية المتوفرة في ذاكرة الرواة.

أما عن لغة الحكايات الشعبية، فهي بحد ذاتها مشكلة حيّرت كثيراً من الدارسين، فالمسألة هنا لها أكثر من جانب، الأول هو إن دونت الحكايات باللهجة المحليّـــة العاميّـــة التـــي ولـــدت وترعرعت فيها، هل يستعصي على الجميع فهمها وقراءتها؛ والثاني وهو إن دونت بالفـــصحى هل ستفقد تلك الحكايات أصالتها الشعبية وبريقها وسماتها المميزة؟

إن الآراء كثيرة في هذا المجال فبعضهم يميل إلى الفصحى، ويرى ما لها من مكانة قوميّة ودينيّة، وبعضهم ليميل إلى اللهجة المحلية وذلك للمحافظة على خصوصيتها ومضامينها وهناك من مزج بين العامية والفصحى ومنهم من حوّل تلك الحكايات من العامية إلى اللغـــة الفـــصحى المبسطة.

الأمر في حقيقته محير أحياناً فجميع وجهات النظر نجدها أحياناً مقنعة وأحياناً مبالغة في بعضها، والرأي في هذا المجال هو أنني عندما أردت دراسة الحكايـــة الـــشعبية شـــدني لـــذلك شعبيتها، أكثر من أي جانب آخر، وكذلك أصالتها وتعبيرها عن مجتمع بسيط بعيد عن التـــصنع والتكلف متمسك بجذوره مهما امتدت وكبرت.

ولكن في الوقت نفسه وجدت مصطلحات غريبة في لهجة تلك الحكايات بالرغم من أنني ابنة تلك المنطقة فقد أحسست بعدها أنه من الأفضل تبسيط اللغة بحيث تصبح لغة مفهومة للجميع، إلا أنه من الأمور الأساسية التي تجب مراعاتها دائماً في دراسة الأدب الشعبي هو عدم التصرف بنصوص الأدب الشفهي إلا في حالات الضرورة القصوى وفي حدود الأمانة العلمية، وبعد هذا توصلت إلى أنني لا بد أن أدوّن الحكايات التي جمعتها بلغة مفهومة للجميع، فصيحة مبسّطة مع المحافظة على الطابع الشعبي، وذلك من خلال بعض العبارات الشعبية الواردة في الحكايات والمحافظة على أسماء الأشخاص والأماكن كما وردت من أفواه الرواة.

أما عن الحكايات المدروسة في هذا البحث، فقد قسمتها وصنفتها تبعاً لأسس معينة أهمها المضمون الذي تحويه تلك الحكايات في داخلها فالمضامين والمواضيع متنوعة داخل ثنايا الحكايات الشعبية التي جمعتها، فالحكاية الواحدة تحتوي عدة مضامين حيث نجد حكاية تتحدث عن واقع اجتماعي بحيث تعالج مشكلة اجتماعية هي الغزو والثأر بين القبائل وفي الوقت نفسه تحوي كلاماً كثيراً حول الخصال والأخلاق التي يعتز بها الإنسان داخل عشيرته ويتفاخر بها، فالغنى الموضوعي واضح فهو أساس اعتمدت عليه كثيراً في تصنيف الحكايات، وهذا أدى إلى وقوعي في حيرة كبيرة أين أضع الحكاية هل أضعها تحت الحكايات التي تعالج واقع اجتماعي أو أضعها تحت واقع اجتماعي.

ومن الأسس التي اعتمدت عليها في تصنيف الحكايات هو الدور والغرض الذي تهدف إليه الحكايات فقد كانت تهدف إلى أشياء كثيرة أحياناً كانت واضحة وأحياناً كثيرة رمزية، فالرمز كان واضحاً في كثير من الحكايات، فالكلام وراء الرمز يطول فلا نعرف بالتحديد ما الذي يقصد إليه الرواي وما المغزى وراء ذلك الرمز هل هو لهدف اجتماعي أو سياسي أو أخلاقي أو ديني، فالأهداف في الحكاية كثيرة فالتنوع موجود من حيث الغرض والمضمون.

فالحكايات الشعبية تناولت المرأة والقيم والمعتقدات والحيوانات والخوارق والخير والشر والمكر والخداع والعادات والتقاليد لذا صنفت الحكايات إلى الأصناف التالية:

- حكايات الواقع الاجتماعي.
- الحكايات المرحة.
- حكايات الشطار.
- حكايات الحيوان.
- حكايات الخوارق.

أما عن الحكايات التي تتعلق بالواقع الاجتماعي فهي كثيرة حيث قصدت بها تلك الحكايات التي تعالج الواقع وما يتعلق به من مشكلات وعوائق وعادات وتقاليد ومعتقدات صنفتها تبعاً لما تحتويه من مواضيع تتعلق بذلك وتبعاً لما تهدف إلى تحقيقه لإصلاح ذلك الواقع وما يتعلق بـه وما يعكس ذلك الواقع من عوائق ومشكلات اجتماعية وإظهار طبيعة تفكير أبناء ذلك المجتمع، أما عن حكايات الحيوان فهي تلك الحكايات التي تعبر عن الحيوانات وتدور على ألسنة الحيوانات وهي بالتالي ترمز لشيء معين بالداخل لا يستطيع فهمه إلا ذلك الشخص الثاقب النظر.

وحكايات الخوارق تتناول تلك الخرافات والمخلوقات الخارقة التي يعتقد الناس بوجودها وحضورها في أماكن معينة كالغول والجن والعفاريت، والهدف من هذه الحكايات إبراز ذلك الضعف الديني داخل نفوس بعض الناس وتمسكهم ببعض المعتقدات التي تناقلوها الناس والأجيال عن بعضهم وربما أنها ترمز أيضاً إلى أشياء معينة لا نراها إلا بعد تمعن طويل وبذل جهد عميق في التفكير والبحث.

أما الحكايات المرحة فهي ذلك الجانب الترفيهي الممتع الذي لا غنى عنه مهما اشتدت الظروف وتعدد الحالات وتعقدت الجوانب والأمور، فهذه الحكاية ترتبط بوظيفة جمالية إمتاعية بالإضافة إلى جوانبها النفعية في حياة المجتمع.

أما عن حكايات الشطّار فقصدت بها تلك الحكايات التي كانت معبراً لتمثيل ذلك الجانب اللاشعوري داخل كل إنسان، تلك الحكايات التي تعبر عن حلم الإنسانية بحياةٍ أفضل وهذه الحياة هي في الواقع حلم، يعوض عن الفشل والمعاناة، فقد قصدت بها تلك الحكايات التي نشعر منذ القراءة الأولى لها أنها خيالية غير موجودة في واقعنا مستحيلة التحقيق لأن حكايات الشطار تمثل ذلك البطل المفقود في عالمنا اليوم فهو يحمل حلم صعب التحقيق وصعوبة تحقيقه تكمن في أنه شيء غير متوفر في الواقع لكن مع العمل والإرادة يسهل تحقيقه، وقصدت بها أيضاً أنها تلك الحكايات التي تهدف إلى تغيير الواقع الذي نعيشه ودفعه للأمام ليكون عالماً جميلاً خالياً من المنغصات والمنعطفات الخطرة والكوارث البشرية.

والحكايات التي تحمل الأحلام كثيرة لو نظرنا إلى الحكايات الأخرى من جانب آخر أي لو حاولنا أن نصيغها بطريقة أخرى أي بجعلها تلمس داخلنا جانباً جميلاً نتمناه جميعاً أن يكون حقيقة ليس مجرد حكاية نقرأها ثم تذهب لحالها، لذا لا بد أن لا نطمس تلك الحكايات لأنها برهان على أصالتنا ووجودنا، فلا بد من حفظها وتسجيلها لأنها تراث لا يمكن تعويضه فهو تعبير صادق عن همومنا ووجداننا، فالشجاعة مطلوبة أيضاً في العلم، فالسرعة في تسجيل

وحفظ التراث هو حفظ للحضارة لتكون منارةً تهتدي من خلالها أجيالنا القادمة، فيكفي ما افتقدناه، فقد فقدنا الكثير ولم يبق إلا القليل.

فالحكاية هي ذلك المعلم المفقود في كثير من دراساتنا ومدارسنا وجامعتنا، نحتاج إليه أكثر من أشياء كثيرة هي لدينا فهل تلعب الحكاية ذلك الدور الذي نحن بحاجة إليه؟ وإلى ما تصل بنا الحكاية في نهاية المطاف؟ فهل لها تلك الأهمية التي نفتقدها لو لم تكن موجودة في حياتنا؟ وإن كانت موجودة فهل هي تلمس فينا شيئاً داخلياً يعنينا ويسلط الضوء على مشكلات نعاني منها لنقوم بحلها والتخلص منها؟

الفصل الثاني

الحكاية الشعبية: الموضوعات، الدور

المبحث الأول: الموضوعات

المبحث الثاني: الدور

الفصل الثاني

الحكاية الشعبية: الموضوعات، الدور

إن استعادة الحكاية الشعبية وقراءتها على الأجيال من جديد الآن هي شكل من أشكال استعارة صورة الماضي وصورة الوطن واستحضارها في الذاكرة، فالحكايات الشعبية ترتبط في الذاكرة بتلك الأيام الأولى من العمر عندما كنا نستمع إليها من أفواه الأم والجد والجدة، فهذه الحكايات مرتبطة بملامح عديدة، فكل إنسان يستمع للحكاية كان يحاول أن يربط بين ما فيها من موضوعات وأحداث وبين ما هو موجود في الواقع، فالحكايات الشعبية لو لم تكن منسجمة مع واقعنا وعاداتنا وتقاليدنا لما كانت من الممكن أن تستمر في الذاكرة وأن تظل محل الاهتمام وأن تنتقل شفوياً من جيل إلى جيل.

الحكاية الشعبية متنوعة من ناحية الموضوع فهي نتاج حضاري عالمي يعتبر تراثاً غنياً يمد الإنسان بعدة أساليب لفهم أسرار الطبيعة ومظاهرها فهي – الحكاية الشعبية – عصارة لأفكار وهموم وأحاسيس الأهالي، وهي تقدم لهم حلولاً لمشاكل كثيرة وهي بنفس الوقت قوة تدفع المجتمعات للتحلي بالقيم السامية كعزة النفس وصون الكرامة والشجاعة والكرم وحب الخير، وبالتالي فهي متحف يضمن الخلود للعادات والتقاليد والطقوس التي عاشتها المجتمعات الإنسانية على مر العصور والأزمان.

وقد جاءت الحكاية الشعبية متنوعة في أهدافها وموضوعاتها وهذا التنوع يشكل منها شبه مدرسة تحمل أفكاراً ووصفاً لعالم الحيوان والخرافات والوعظ والإرشاد، فجاءت معبرة عن الحياة الشعبية التي يعيشها الشعب العربي اليوم فهي تمثل عدة جوانب سواء كانت اجتماعية أو أخلاقية أو سياسية أو تلك الحكايات التي تعبر عن موقف الإنسان من الخوارق والسحر والجن والعفاريت وعلى ضوء هذه الأفكار سنحاول في هذا الفصل حصر أهم الموضوعات التي عالجتها الحكاية الشعبية معتمدين في ذلك على نصوص الحكايات المدروسة.

وتنوعت الحكاية الشعبية في وظيفتها، ولكن يمكن القول إلى أنه مهما تعددت وظائف الحكاية الشعبية إلا أنه هناك وظيفة تشترك فيها مع وظائف التراث الشعبي وهي المحافظة على الحضارة واستمرارها على مر العصور.

المبحث الأول

الموضوعات

تناولت الحكاية الشعبية موضوعات متعددة من جوانب متعددة سأحاول في هـذا الفـصل حصر هذه الحكايات ومنها سأحصر تلك الجوانب المتعددة ومن هذه الجوانب الجانب الاجتماعي والسياسي والديني والاقتصادي والإنساني وسنتعرف على بعض النماذج التي عبرت عن تلـك النواحي المتنوعة.

أولاً: الناحية الاجتماعية: تناولت الحكاية الشعبية من هذه الناحية مواضيع متعددة وأهمها المرأة، حيث حظيت المرأة باهتمام قصاص الحكايات الشعبية، إذ لا تكاد تخلو أي حكايـة مـن وجود للمرأة بدور رئيس و ثانوي يناط بها، وتلعب فيه الدور الذي يعكس واقعها الاجتمـاعي، فسنرى في الحكاية الشعبية الصفات المعنوية التي هي حصيلة الواقع الاجتماعي الذي تعيـشه، فنراها الأم الحنون، والزوجة المطيعة، والأرملة المغلوب على أمرها، والبنت المقهورة، ونجدها بنفس الوقت صاحبة ذكاء وخبرة بالإضافة إلى أنها أصل الكيد والغيرة والحيل.

ومن الأدوار التي لعبتها المرأة في الحكاية الشعبية دور الزوجة الثانية التي تحـل محـل الزوجة الأولى في مكانتها وأهميتها، حيث يظهر هنا كيد النساء الذي غلب كيد الرجال وغلـب كيد إبليس أيضاً(١). حيث تظهر زوجة الأب في كثير من الحكايات الشعبية تلك بدور المحتالـة الكائدة الشريرة التي تستخدم مكرها وحيلها للتخلص من كل شخص يقف أمامها كأولاد زوجهـا فهي دائماً تحاول التخلص منهم بأي وسيلة.

ومن هذه الحكايات التي أظهرت زوجة الأب المحتالة حكاية (مي والغولة) وحكاية (حمده ومحمد) وحكاية (الشاطر محمد)، فهذه الحكايات أظهرت تلك الزوجة بصورة قاتمة تدل علـى ذلك الجانب الشرير من شخصيتها.

ففي حكاية (مي والغولة)(٢) كان هناك فتاة تعيش مع والدها وبعد وفاة أمها تزوج أبوهـا من امرأة أخرى فأنجبت المرأة بنتاً، وكانت المرأة تميز بينها وبين ابنة زوجها، فأرادت التخلص منها بتزويجها من رجل كبير بالسن ففكرت الفتاة بالهرب، فهربت وسـارت طـويلاً إلـى أن وصلت إلى بيت قذر جداً خالٍ من السكان، فعاشت به مع أصحابه ومرت الأحـداث وسـارت الأيام بسرعة، وانتهت الحكاية نهاية سعيدة للفتاة، فهذه الحكاية تعكس ظلم زوجة الأب ومكرها وسيطرتها وبينت الحكاية أيضاً تطرف الفتاة المغلوبة على أمرها.

---

(١) نبيلة ابراهيم، **قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية**، مرجع سابق، ص١٨١.

(٢) انظر ملحق الحكايات، ص١٣٩

وبينت أيضاً حكاية "حمدة ومحمد"[١] سيطرة زوجة الأب وظلمها لأولاد زوجها ومحاولتها المستمرة التخلص منهم، ففي هذه الحكاية برزت صفة هامة للمرأة وهي الغيرة عند النساء، ففي الحكاية السابقة نجد غيرة زوجة الأب من جمال ابنة زوجها فحاولت التخلص منها لأجل الغيرة، فالغيرة نازع ومحرض كبير لصنع الشر ونسج الحيل، فالغيرة صفة أساسية من صفات المرأة.

وفي حكاية "حمدة ومحمد" نجد غيرة زوجة الأب من صحة أبناء زوجها بالمقارنة مع صحة أبنائها، فكانت تكنّ لهم العداوة والبغضاء وتحرمهم من أقل متع الحياة قدراً وأعظمها أهمية وهو الطعام، وتتشابه حكاية "حمدة ومحمد" مع حكاية "بقرة اليتامى"[٢] ففي تلك الحكاية أيضاً حرمت زوجة الأب أبناء زوجها من الطعام ووفرته لأبنائها في حين أن أبناء زوجها زاد وزنهم وزادت بشرتهم نوراً وإشراقاً، أمّا أولادها فكانوا شاحبي الوجه، ضعفاء الأجسام، فأصرت على معرفة السبب وكانت النتيجة حرمان أولاد زوجها من البقرة التي هي مصدر رزقهم وطعامهم وتتشابه قصة "حمدة ومحمد" أيضاً مع حكاية "الملكة حمدة" حيث تظهر الحكاية غيرة المرأة العمياء حيث تقوم زوجة الأخ وهي "حميدة" بالتخلص من "حمدة" لغيرتها منها، فأقنعت أخوها أن يأخذها، ويذهب بها لمكان بعيد ويتركها هناك ويرجع، وبذلك تكون تخلصت من حجر العثرة في بيتها، فعاشت حياة سعيدة مع زوجها ولكن سعادتها لم تكتمل، لأن الحكاية تقف غالباً إلى جانب الحق والعدل، وتدعو إلى نبذ الظلم والاضطهاد، حيث تمر الأيام ويفقد محمد كل الأموال التي أخذها من أخته حمدة ويصبح فقيرا، فيضطر إلى طلب المساعدة من أخته وتأخذه للعيش هو وزوجته في قصرها.

فجميع الحكايات السابقة صوّرت لنا صورة زوجة الأب بصفاتها المعنوية كالغيرة والحسد والظلم والمكر والكيد وصورة زوجة الأخ الحسودة الطماعه، لكن هذه الحكايات وضعت المرأة في موقف التضاد، فتارة تبرزها ذكية وقوية وقادرة كشخصية "مي" في الحكاية السابقة "مي والغولة" فقد كانت بالرغم من ضعفها أمام الظلم الذي تعرضت له، إلا أنها استطاعت بذكائها أن تخلص نفسها وتقدر على إنقاذ حياتها بأسرع وقت ممكن، وتارة تظهر المرأة على أنها محتالة كائدة شريرة كزوجة الأب في الحكاية التي وردت سابقاً.

وأظهرت الحكايات السابقة المرأة بشخصيتها المستقلة التي تتحمل مسؤولياتها في الحياة الاجتماعية، فهي تمتاز بالفراسة القوية والمعرفة التامة ورجاحة العقل وسداد الرأي، والتصرف الحسن، كما إن لها أهمية خاصة وذلك عندما تتولى إدارة كل شؤون ورعاية الأبناء فهي "عمود

---

(١) انظر ملحق الحكايات، ص١١٥

(٢) انظر ملحق الحكايات، ص١٢٧

البيت" فالمرأة تحتل مكانة هامة في المجتمع، ففي حكاية "الملكة حمده"[(١)] نجد حمدة هي المسؤولة عن البيت بعد وفاة أبيها الأعمى، ومسؤولة أيضاً عن "محمد" وتربيته، فحملت على كتفيها أعباء الحياة، فكانت تحضر الماء من بئر بعيدة جداً، وفي أحد الأيام وهي تحضر الماء فإذا بحجر صغير يضربها وتكرر ذلك أكثر من مرة، فقررت "حمدة" كشف السر وراء ذلك الحجر فأحضرت معها فأساً لترى ما بداخل ذلك الحجر، وبالفعل ضربت الصخرة أو الحجر فوجدت صندوقاً مليئاً بالذهب ففرحت بهذا الرزق واستغلته أحسن استغلال وتزوجت وأصبحت ملكة مسؤولة عن بلاد واسعة.

ومن الأدوار التي تلعبها المرأة أيضاً على صعيد الحياة الاجتماعية دور "الأم الحنون" التي تحافظ على بيتها وترعى أولادها وتخاف عليهم ونجدها تحت هذا الدور ففي حكاية "الغولة حسنة"[(٢)] حيث تبين الحكاية قصة عائلة مكونة من الأب والأم والأخ والأخت وتجري الأحداث فيضيع الابن مع والده فيتزوج حسن وينجب أولاداً، فتظهر الأم بدور الأم الحنون الصادقة، حيث تدرك "حسنة" بفراستها وحنان قلبها وصدق عواطفها أن المرأة التي تدّعي أنها عمة الأولاد ما هي إلاّ غولة تريد أكلهم، فحرصت المرأة كل الحرص على الخلاص منها، والهروب بأطفالها من شرور تلك المرأة.

فالمرأة هنا تظهر بصورة المرأة الصابرة صاحبة الحكمة وبعد النظر وتلعب المرأة أيضاً دوراً هاماً وهو تلك الزوجة المقهورة المهجورة التي تعكف على تربية أبنائها ورعايتهم فنجدها في حكاية "الشاطر محمد"[(٣)] تعكف على تربية ابنها الوحيد الذي اختلف عن أخوته أصحاب النعمة وهو ابن الزوجة المهجورة، فقد كان لوالد محمد أغنامٌ كثيرة، وفي إحدى السنين حصلت حادثة حيث أصبحت تختفي الأغنام واحدة بعد الأخرى كل يوم، فطلب الأب من أبناء زوجته الغالية أن يذهب أحدهم ويحرس الأغنام، لكن كل واحد من الأبناء الثلاثة كان يغلبه النعاس فينام وتختفي الأغنام واحدة بعد الأخرى.

ويضطر الأب أن يطلب من ولده محمد أن يذهب لحراسة الأغنام، فذهب الولد لأمه واستشارها، فكانت بالفعل الأم صاحبة الحكمة والخبرة، حيث صنعت الأم لابنها قربة وخرقتها بإبرة، وطلبت منه عندما يصل أن يملأها بالماء فكلما شعر بالنعاس نام تحت القربة عندها سوف تنزل عليه نقاط الماء من القربة فيصحو وبالفعل كان يتفقد الأغنام ثم ينام ويصحو وهكذا إلى أن

---

(١) انظر ملحق الحكايات، ص١١٠

(٢) انظر ملحق الحكايات، ص١٣٤

(٣) انظر ملحق الحكايات، ص١١٩

شاهد حيواناً كبيراً يتجه نحو الأغنام، فظل يراقبه حتى أخذ أحد الأغنام فسار محمد خلف الحيوان حتى دخل كهفاً كبيراً فقتل الحيوان وتخلص منه.

وتبرز بعض الحكايات السابقة كحكاية "الشاطر محمد" العلاقة الزوجية حيث ظهرت علاقة الزوج بزوجته على أساس الطاعة العمياء ونرى ذلك أيضاً في حكاية "بقرة اليتامى" أو "حمدة ومحمد" حيث أطاع الزوج زوجته في ذبح البقرة وتقديمها لزوجته كعلاجٍ شافٍ من المرض.

وجميع الحكايات كشفت عن مفهوم الزواج بأنه مسؤولية وعطاء وقدرة مالية وعقلية، وزواج الأقارب ظاهرة شائعة جداً في الأدب الشعبي الأردني وذلك ناتج عن الواقع الاجتماعي الأردني، فالأب يصور الواقع الأردني وخاصة ذلك المجتمع البدوي الذي يحرص دائماً على المحافظة على عاداته وتقاليده ومنها أن لا يتزوج الرجل من خارج عشيرته وكذلك أن لا تخرج الفتاة خارج القبيلة.

وتعكس بعض الحكايات شخصية المرأة العجوز، فقد رسمت الحكاية الشعبية للعجوز أشكالاً مختلفة وصوراً متعددة، ولكن الفكرة التي تمثلها العجوز في حكايتنا الشعبية هي الماضي، الخبرة، الحكمة، حيث نجد "طه الهباهبة" يقول "إن فكرة العجوز في الحكاية باتت أمراً حيوياً باعتبارها المحطة المنزوية التي لا بد أن يستريح فيها البطل بعد تجواله الطويل وبحثه الشاق عن حقيقة من الحقائق"(١).

لذا نرى أن العجوز في الحكاية تعد الآن جزءاً من التراث فلا غنى عنها فهي المرحلة التي توقف الزمن عندها، فأصبحت بحاجة ماسة لالتماس والتقاط أي شيء يعيدها ويرجع بها إلى الزمن الماضي، فعدت الحكاية الحلم المنتظر عندها فلجأت إليها لتعويض كل ما فقدته، وحاجتنا للعجوز في الحكاية بات أمراً ضرورياً كما هي حاجتنا للحكاية والتراث الشعبي، وتظهر العجوز في الحكاية بأوصاف معينة، فنراها الفقيرة المعدمة الوحيدة التي تسكن في أطراف القرية أو في آخر بيت من بيوت العشيرة.

ونجد العجوز بصور مختلفة في حكاية "حميمصية" وحكاية "حمدة ومحمد" و"شباط والعجوز" ففي حكاية "حميمصية"(٢) نراها تلك العجوز العاقر التي دعت ربها أن يرزقها بفتاة حتى ولو كانت بقدر الحمصة، فقد كانت المرأة العجوز الوحيدة الفقيرة المعدمة التي لا حول لها

---

(١) طه الهباهبة، **الحكاية الشعبية في محافظة معان**، ط١، دار الينابيع للنشر، عمان، ١٩٨٨، ص١٠٣.

(٢) انظر ملحق الحكايات، ص١١٤

ولا قوة، وقد رأيناها صاحبة التجارب والحنكة وبُعد النظر وذلك عندما نسجت الحيل والمواقف لتزويج ابنتها من الشاب الأمير الوسيم.

ومثلت في حكاية "بقرة اليتامى أو حمدة ومحمد"[١]، المرأة الشريرة التي أسدت المشورة والنصيحة لامرأة الأب وأغرتها بالتمارض ودهن جسمها بقشور الرمان لكي تبدو صفراء شاحبة اللون أمام زوجها وقالت لها: قولي لزوجك إن الحكيم وصف لي لحم بقرة اليتامى كدواء شافٍ من العلة.

ونجدها أيضاً في حكاية "شباط والعجوز"[٢]، تلك العجوز الشمطاء الماكرة التي لا تحب أحداً وتكره كل من يأتي لها وهي حكاية مرحة حيث تحكي قصة عجوز عندها ناقة وكلب وكمية من الطحين حيث مرت عليها شهور السنة من بدايتها حتى جاء شهر شباط، فكانت تقول جاء شباط وذهب شباط، وضربناه بالمخباط، أي تخلصنا منه، كأننا ضربناه بمطرقة فكأن شباط سمع كلامها، فحزن حزناً شديداً فجاء بمطر شديد أدى إلى موت ناقتها وكلبها وذوبان جميع ما لديها من طحين، وفي النهاية ماتت العجوز من القهر على رزقها.

فنلاحظ مدى التركيز على المرأة ودورها وصفاتها، فأغلب الحكايات التي عالجت ناحية اجتماعية من نواحي الحياة ركزت على المرأة والأسرة وما يدور فيها من ظلم وكيد ومكر وغيره حيث لعبت المرأة الدور الأبرز في هذا الجانب الاجتماعي، حيث عكست الحكاية الشعبية مدى المحافظة على بعض العادات والتقاليد المتعارف عليها عندهم، كطاعة الزوجة لزوجها، وصبرها، وزواج الأقارب والتخلص من العار وغسله والمحافظة على السمعة الطيبة عند العشائر.

والقبيلة من الظواهر الاجتماعية التي حاولت بعض الحكايات الشعبية إظهارها والمحافظة عليها هي القبيلة والقبيلة هي جماعة تنتمي إلى نسب واحد يرجع إلى حد أعلى، وتتكون من عدة بطون وعشائر فرعية، وغالباً ما يسكن أفراد القبيلة إقليماً مشتركاً يعدونه وطناً لهم، ويتحدثون لهجة متميزة ولهم ثقافة متجانسة وتضامن مشترك ضد العناصر الخارجية[٣]، والقبيلة حاضرة في الحكاية الشعبية في ترحالها واستقرارها وشيوخها وشبانها وبقطعان الماشية وبأعراضها وتقاليدها وأخلاقها.

---

(١) انظر ملحق الحكايات، ص١١٥

(٢) انظر ملحق الحكايات، ص١٣٠

(٣) عبد الله محمد المحسين، **تداعي الواقع في الحكايات**، د.ط، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٥م، ص٢٣٩.

وتبرز الحكاية صور عديدة متواجدة داخل تلك القبائل ففي حكاية "غزوة الشيخ نـــواف"(١) ظهرت صورة الشيخ المقدام وابن الشيخ الشجاع فالحكاية تصور مكانة الشجاع المقدام بين أفراد قبيلته، فهي تعكس أهمية الشجاعة، لأن حياة القبيلة في الصحراء محفوفة بالمخاطر وممتلكاتهـا معرضة للنهب والسلب، وشجاعة الرجال وبطولاتهم هي التي تقف أمام تلك الأخطار، فالـشيخ نواف تميز بشجاعته فقد كان خارج القبيلة هو وابنه مما أدى إلى تعرّض القبيلة للغزو والنهب، وبالفعل كان الشيخ صاحب الأولى كما يقال فقد استطاع بشجاعته وشجاعة ابنه استرجاع كل ما تم نهبه ومعاقبة الجاني ونشر الأمان بين أفراد القبيلة.

وبالفعل عبّرت الحكاية عن صور متعددة للقبيلة التي تعد المجتمع الأكبـر فـي الباديـة ومحافظة المفرق نعم المثال على هذا لأن نظام القبائل والعشائر بحكم المحافظـة منـذ زمـن وخاصة في المجتمعات القروية والبدوية والقبيلة نظام فرضته ضرورات الحياة فالإنـسان فـي الصحراء مثلاً غير قادر على مواجهة قسوة الصحراء لوحده، وقطعان الأغنام، بحاجة إلى من يحميها من اللصوص، وكذلك عندما تجف موارد المياه وتقل المراعي لا بد من البحـث عـن مراعٍ جديدة وبالإضافة إلى الاصطدام مع القبائل الأخرى التـي تحتـاج الـشجاعة والرجـال الأقوياء.

---

(١) انظر ملحق الحكايات، ص١٠٩

ثانياً: الناحية الإنسانية والأخلاقية

إن الحكاية الشعبية تعبر عن فلسفة بسيطة، لا تعقيد فيها ولا عمق، هي فهم الإنسان للحياة فهماً أولياً في أثناء بحثه عن التلاؤم مع الواقع ورغبته في تحقيق الراحة والاستقرار وهي فلسفة لا تخلو من ذكاء وتألق وتتميز بالبساطة والقدرة على التأثير.

وتعكس الحكاية الشعبية صوراً متعددة لإيمان الإنسان بالنظرية الكونية العامة وهي عدالة الطبيعة، فالشرير والظالم كلاهما يلقى الجزاء العادل في نهاية الحكاية وقد لمسنا هذا في جميع نماذج الحكايات السابقة، وقد أكد عز الدين إسماعيل مبدأ العدالة في الحكاية السودانية فهي تستهدف إشاعة نوع من الطمأنينة في نفوس المظلومين ومن أصابهم الضرر على أيدي الآخرين"[(١)].

فقد عبرت الحكاية الشعبية عن قضايا يعاني منها الفقراء والمحرومين وكذلك تحمل في ثناياها توقهم للحرية والعدل والسعادة المفقودة بينهم، فسنرى أن ذلك لا يتحقق لهم إلا بالمعجزات والخوارق ما يدل على إحساسهم بصعوبة الواقع وصعوبة الوصول للعدالة والحرية والسعادة في الواقع المعاش، فنجد مثلاً في حكاية "بنت البيت"[(٢)] تتعرض البطلة للظلم وتقع فريسة لحيلة زوجة الأب فتتهمها بأنها حامل فتجري الأحداث فتنجب الفتاة حمامتين وأفعى وتساهم الحمامات بإظهار الحق وتحقيق العدل ورجوع الفتاة لأبيها بعد غياب طويل، فالعدل لن يتحقق إلا بعد حصول تلك المعجزة بإنجاب الحمامتين والأفعى اللواتي ساهمن في رجوع الفتاة وإظهار افتراء زوجة الأب وإبراء هذه الفتاه من التهمة الشنيعه.

وهذا الجانب الإنساني يفضي إلى جانب هام تساهم الحكاية في إظهاره هو ذلك الجانب الأخلاقي فقد قدمت الحكايات الشعبية مجموعة من القيم والأخلاق سنتطرق إليها لاحقاً، فالحكاية الشعبية يلجأ فيها الإنسان إلى الأحداث الغرائبية والعجائبية لتحقيق شيء ما يصعب تحقيقه ضمن الحياة الطبيعية المتوفرة، والهروب نحو الخيال ربما يكون أسلوباً للتخلص من الواقع الصعب، فصعوبة تحقيق الأحلام على أرض الواقع تجعل الإنسان منحازاً أكثر نحو التخيل مدركاً سهولة التحقيق بخياله، فالحكايات التي تركها الخيال جاءت معبرة أكثر وتلامس مشاعر الإنسان وعواطفه لأنها بمثابة الحلم الذي يسعى الإنسان إلى تحقيقه ويحاول إيجاده.

---

(١) عز الدين اسماعيل، **القصص الشعبي في السودان**، مرجع سابق، ص٢٣٠.

(٢) انظر ملحق الحكايات، ص١٠٥

ومن هذا نجد حكاية "حميمصية"[١] فتاة ولدت بعد انتظار طويل حيث دعت الأم ربهـا أن يرزقها فتاة حتى ولو كانت بقدر الحمصة وبالفعل رزقت بما كانـت تتمنـاه، فكبـرت الفتـاة وتزوجت من ابن الشيخ ولكنه لم يرها لصغر حجمها، واختفائها بين الأشياء لكن ابـن الـشيخ أصر على رؤيتها، فتظاهر بأنه ميت فبكت حميمصية على وفاته، فسمعها رجل عنده سبع بنات لكنه كان مريضاً ولكنه شفي عند سماعها، عندها أرادت الفتيات مكافأتها، فأعطت كل فتاة شيئاً منها لحميمصية فواحدة أعطتها شعرها وأخرى أعطتها طولها وجمالها وهكذا أصـبحت الفتـاة جميلة، فعادت لزوجها سعيدة بشكلها الجديد.

فنجد هذه الحكاية على درجة من الخيال وهي مؤثرة فقد بدأت بالحلم وانتهت بتحقيق هذا الحلم واكتماله فاللجوء للخيال جاء لتعويض ذلك النقص في ذلك الواقع المريـر فـالمعروف أن الحكاية هي وسيلة للتنفيس عن المشاعر المكبوتة والأحلام المفقودة، لذا استخدمت الحكاية هنـا أسلوب الخيال لتعويض جميع ذلك بأحسن صورة، فالحكاية بحد ذاتها حلم يعوض عـن الفـشل والمعاناة في الواقع الإنساني الصعب والمرير.

وكما ذكرنا سابقاً إن الحديث عن الجانب الإنساني يفضي إلى الحديث عن منظومة القـيم التي تحاول الحكاية الشعبية عرضها، فقد ركزت الحكاية الشعبية على المـضمون الأخلاقـي، وجاء هذا التركيز على هذا الجانب نابعاً من تماسك مجتمعاتنا ومحافظتها على عاداتها وأخلاقها وقيمها والنظام القبلي فيها والتي يخشى انهيارها أمام الانقلاب المدني الذي يهدد بيئتنا الـشعبية يوماً بعد يوم، لذا جاءت الحكايات الشعبية مؤكدة على الأخلاق والعادات وداعية للمحافظة عليها والتماسك بها مهما حصل بالإضافة إلى إبراز العيوب الأخلاقية والتخلص منها والابتعاد عنها.

ومحاولات الحكاية الشعبية في طرح المواضيع الأخلاقية جاءت نتيجة الخوف والخـشية من تنكر الفرد للقيم الأصيلة بسبب تغير الأحوال والظروف المحيطة به، فالشخص الذي يحافظ على أخلاقه ويتصرف تبعاً لما تمليه عليه عاداته وقيمه هو الشخص الأصيل الـذي لا يعـرف الكذب والرياء والبخل والخسة، أما الشخص الذي يحاول تقنص الفرص وجعل مصلحته فـوق مصلحة الآخرين فهو شخص خسيس يعرف الكذب والنفاق والشر وهذا موجود في نفسه وقلبه.

وبالفعل أكدت نبيلة إبراهيم على هذا الموضوع، بأن الظروف والأحوال المحيطة بالإنسان قد تكون هي الدافع وراء ترك القيم والمبادئ الأصيلة "إن الخوف مـن التغيـر المفـاجئ فـي الأحوال الاجتماعية هو الذي دفع الأب في الحكايات أن يسدي لابنه النصيحة قبـل أن يمـوت فيقول "لا تزوج أياً من أختيك برجل كان فقيراً ثم اغتنى فالأفضل أن تزوجها من رجلين كانـا

(١) انظر ملحق الحكايات، ص١١٤

غنيين ثم افتقرا"[١]، فهي تؤكد على وجود صفات أخلاقية كالخسة والوضاعة بين بعض الناس، فهي تؤكد على أن بعض الناس عندما تهبط عليهم ثروة مفاجئة وهذه الثروة لا تؤدي بالضرورة إلى إثراء أخلاقه وقيمه بل إن الإنسان الوضيع مهما اغتنى يبقى وضيعاً، بعكس الإنسان الأصيل الذي مهما فقد من ماله لا يفقد معها أخلاقه وقيمه.

ومن أهم القيم والأخلاق التي عرضتها الحكاية التسامح والعفو والتعاون والصدق والأمانة وأيضاً عرضت تلك الأخلاق المرفوضة لكنها وجدت بسبب الظروف المحيطة والأحوال التـــي يتعرض لها الإنسان بشكل دائم كالطمع والخيانة والكذب والغدر والغش والنفاق.

ففي حكاية "الجرة"[٢] يجد أبو حمد أثناء حفره حفرة لوضع الحطب فيها جرة من الفخـــار مليئة بالذهب والمجوهرات، لكنه لم يعرف ما يفعل بها، فأخذها لصديقه أبو أسعد، فاقترح عليه أن يبيعها له ويعمل بها ويحقق له رأس مال عجيب، وبالفعل انتظر أبو حمد مدة ســـنة كاملـــة، وعندما رجع لصديقه وجد أسواقاً كثيرة مليئة بالقماش والذهب والمجوهرات فظن أنها له بسبب ماله الذي وجده وعندما وصل لصديقه، أنكر أبو أسعد معرفته له فشكا أبو حمـــد مـــصيبته لله وطلب التعويض منه؛ وبالفعل كان الجزاء كبيراً لذلك الصديق الغادر الذي لم يحافظ على الأمانة وخان الصداقة لأجل المال فكانت النهاية النار التي أكلت كل شيء.

فالحكاية هنا تعكس جزاء الإنسان الطمّاع الذي يبيع كل شيء مقابل المال، فقد فضّل المال على الصداقة وكل ما يتعلق بها من صدق وأمانة، فعرضت الحكاية الطمع الشديد عند بعـــض الناس والخيانة ونهاية هذا الشر هو الشر، فالحكاية عندما صدرت عن نفس، كانت هذه الـــنفس تعاني من أزمة أو للتعبير عن أزمات وثغرات تدور حولها، فالتركيز لم يقتصر فقط على إظهار وإبراز العيوب الأخلاقية التي ظهرت في المجتمع ولكنها ايضاً أشارت إلى بعض القيم الإيجابية التي يراها الشعب مؤدية إلى السعادة والحياة الهانئة.

فقد أبرزت الحكاية مجموعة من الصفات الحميدة المعروفة في تاريخ المجتمعات العربية الطويل فهي قيم إنسانية عليا قبل أن تكون صفات عربية، فهي صفات أصيلة تدعو الجماعـــات الشعبية والإنسانية للتمسك بها، ففي حكاية وغزوة الشيخ نواف[٣]، حيث تعكس هـــذه الحكايـــة صفات الشيخ الكريم المسامح صاحب شجاعة ونخوة وشهامة بدويه عريقة، فقد كان هذا الـــشيخ من أكابر شيوخ العشائر وكان له ولد يدعى هذال وابنة تدعى فصايل وهي جميلة جـــداً، وفـــي

---

(١) نبيلة ابراهيم، **قصصنا الشعبي من الرومانسي للواقعية**، مرجع سابق، ص١٧٤.

(٢) انظر ملحق الحكايات، ص١١٧

(٣) انظر ملحق الحكايات، ص١٠٩

إحدى الأيام ذهب الشيخ نواف وابنه للصيد وأثناء ذلك تعرضت القبيلة للغزو من قبل إحدى العشائر المعادية وهي عشيرة الشيخ مصباح، فقاموا بالسلب والنهب وأخذ ابنة الشيخ.

وعندما عاد الشيخ وعرف بما جرى للقبيلة قام بغزو القبيلة المعادية واسترجاع ابنته فصايل وجميع ما سلب منه، وقام أيضاً بأسر الشيخ مصباح، ولكن الشيخ نواف طلب من أبناء العشيرة إكرام الأسير ومعاملته بشكل جيد، وقام الشيخ نواف بعد فترة بإطلاق أسره والصفح عنه، وأخبره بأن العفو دائماً يكون عند المقدرة، فهذه الحكاية تنطوي على مجموعة من القيم كالسلوك الحسن، والتواضع والقناعة والصبر والكرم وإغاثة الملهوف والتسامح والعفو والعدالة والكرم والمروءة والشرف والنجدة والوفاء.

وهكذا فقد جاء تعبير الحكاية عن القيم والأخلاق واسعاً فالحكاية نابعة من الشعب فهي صورة مجتمع توالت عليه أجيال وأجيال، فالأجيال الماضية تسلم الحكاية لأجيال قادمة وهكذا، ومكانة القيم في المجتمع تبرز من خلال الإشارة بمن يتخلق بها، فالإشادة بأخلاق الشيخ نواف هو الذي أبرز تلك القيم ومكانتها العالية.

ثالثاً: الناحية الاقتصادية

في الحكاية الشعبية نستطيع تلمس بعض ملامح الحياة الاقتصادية حيث اكتست بعض من الحكايات الشعبية ألواناً من الأنشطة الاقتصادية التي أتاحتها البيئة لأبنائها، فالحصول على لقمة العيش في بيئة صحراوية أقروية لم يكن بالأمر السهل، فالبيئة الصحراوية فقيرة الموارد شحيحة المياه، قاسية المناخ، فالإنسان في هذه البيئة لم يولد مدللاً بل بدأ حياته في صحراء قاحلة قاسية، تفرض على من يقطنها بذل الجهد والقوة والصبر لأجل العيش، فقد مارس الإنسان في هذه البيئة صوراً واضحة لنشاطه الاقتصادي كالرعي والصيد، وتربية الماشية وأحياناً الزراعة والتجارة.

لذا عالجت عدد من الحكايات الشعبية إحدى مظاهر الحياة الاقتصادية وهي البحث عن الأرض الخيّرة والمراعي الخصبة، فالمعروف أن قبائل البدو وهم البدو الرحل كانوا يعتاشون على الرعي فكانت تلك القبائل ترتحل من مكان لآخر حسب وفرة الماء والعشب فجاءت بعض الحكايات مصوّرة لترحال القبائل وراء الماء والكلأ ومن هذه الحكاية نجد حكاية الغولة وحكاية رحلة حسن[1] حيث تحكي الحكاية قصة قبيلة أصبحت أرضها قاحلة خالية من العشب وموارد المياه، ففكر شيخ القبيلة، بأن يقوم بإرسال أحد أولاده للبحث عن بلاد خضراء ونبع ماء، وبالفعل ذهب أحد أولاده لكنه تعرض للمخاطر فرجع من الخوف، لذا أجبر الشيخ ابنه الثاني على البحث مرة أخرى وبالفعل سارع الابن لتلبية طلب والده، فشد الرحال في رحلة البحث عن الأرض الخضراء، فتعرض لمجموعة من المخاطر، لكنه استطاع أن يجد دياراً مليئة بالعشب والماء، فالابن هنا عرّض نفسه للهلاك للحصول على لقمة العيش وتأمين الحياة الهنيئة لقبيلته وأهله.

فالملاحظ أن الحياة السعيدة والهانئة في الصحراء لا يمكن إدراكها بسهولة، فحياة سكان الصحراء كانت معتمدة على الرعي وتربية المواشي، وهذه الحياة تتطلب الماء والكلأ، لذا لا بد من البحث بين فترة وأخرى عن ذلك.

وكذلك الأمر في حكاية "الغولة"[2]، حيث نجد سالم وزوجته وابنه وابنته يرحلون من مكان لآخر تبعاً للعشب والماء حيث استقروا بعد مشوار شاق ومتعب في أرض خضراء يتوفر فيها الماء والعشب، فمارسوا حياتهم على هذا النحو، وهناك الكثير من الحكايات تؤكد على أن حياة سكان الصحراء قائمة على هذا النحو.

---

(١) انظر ملحق الحكايات، ص١٠٢

(٢) انظر ملحق الحكايات، ص١٣٤

والتجارة من مظاهر الحياة الاقتصادية في الحكاية الشعبية، وهي ما نلمحها في حكاية "الجرة"[١] حيث يقوم أبو حمد بأخذ الجرة التي وجدها لصديقه أبو أسعد لكي يتاجر بما في داخلها ويضع له رأس مال كبير، حيث نلمس في الحكاية حديثاً عن الأسواق المتنوعة كسوق الأقمشة والذهب وأسواق أخرى فهذا مظهر من مظاهر النشاط الاقتصادي في الحكاية الشعبية.

ومن الممارسات الاقتصادية أيضاً الصيد ففي حكاية "نص انصيص"[٢] يمارس "نص نصيص" الصيد حيث للصيد مواسمه ومناطقه وأدواته حيث استخدم الإنسان السهام والرماح والفخاخ والشباك وأيضاً الكلاب المدربة، فقد كان "نص انصيص" يصيد الدجاج كل يوم لإطعام إخوته وقد مارس الإنسان في الصحراء الرعي، فالصحراء لا تعين قاطنيها على مزاولة نشاط اقتصادي سوى الرعي، رعي الإبل والضأن، حيث يتوغلون بقطعانهم في الصحراء متحملين قسوة الصحراء في حرها الحارق وبردها القارس.

وهذا ما صورته بعض الحكايات الشعبية كـ"الشاطر محمد" وحكاية "غزوة نواف" فكلها تؤكد على حياة الرعي والمصاعب التي يواجهونها، فقد عكست الحكايات حياة البادية والرعي والتنقل بحثاً عن المراعي وعلاقة الإنسان بالماشية والمخاطر التي تواجه الرعاة من أجل تأمين الحياة الهانئة لهم ولأفراد عشيرتهم.

---

(١) انظر ملحق الحكايات، ص١١٧

(٢) انظر ملحق الحكايات، ص١٣٨

رابعاً: الناحية السياسية

من المعروف أن الإنسان لا يعيش بمفرده ولا يعيش منعزلاً بمشكلاته الخاصة بل أن مشاكل الحياة وأحداثها التي تجري حوله وفي بيته تشغله أيضاً، وهذا ما جعل الأدب الشعبي يتسم بالصدق والصراحة والحرية في التعبير عن المشكلات، فالحكاية الشعبية تكشف طموح الشعب ورغبته الملحة في العدل وإزالة الظلم، وتحقيق المساواة والعدل ففي حكاية "عقوبة السارق"[١] التي تحكي عن ولد تعلم السرقة منذ صغره إلى أن أصبح شاباً، والأهم أن والدته لم تسأله يوماً عن الأشياء التي كان يحضرها للبيت، ولكن شاءت الأقدار أن يتم القبض عليه، فحكم عليه القاضي بالإعدام، ولكنه أصبح يصرخ بصوتٍ عالٍ "أمّاه" فأشفق عليه القاضي وأخّر الحكم فأحضر أمه، فقال للقاضي: "اقطع لسان أمي لأنها لم تقل لي هذا الفعل حرام"، وتحقق القاضي من الأمر وبالفعل قطع لسانها، فهذه الحكاية تعكس جانباً دينياً يوضح مسألة الحرام والحلال.

وهذه الحكاية تعكس سياسة القاضي المتبعة في حكمه في القضايا حيث يقوم بالتحقق من الأمر ثم يقوم بإصدار الحكم السليم.

وفي حكاية "غزوة نواف"[٢] كان الشيخ بمثابة الحاكم المسؤول عن الناس والمحافظ على رعيته وقبيلته، فكان يدافع عن القبيلة ويعدل بين الناس، فقد استطاع أن يعيد للقبيلة أملاكها وكرامتها وتحقيق النصر لها، بعدما أصابها الحزن والفزع، فقد حقق العدل وأعاد الحق لأصحابه ونشر الأمان بين الناس.

فنظام القبيلة السياسي يعتمد على الشيخ، فهو الحاكم المسؤول الذي يبت في القضاء ويفصل بين المتنازعين ويحقق العدل والمساواة بين الناس. وهناك أيضاً القاضي الذي يأتيه المتخاصمين من قبائل متعددة للفض في مشاكلهم وإحقاقها وتحقيق العدل ونشره في الأنحاء كافة.

وشيوخ العشار بمثابة الحكام المسؤولين عن رعاياهم تشغلهم مشاكلهم وهمومهم، فالشيخ لا يقتصر على حل مشاكله وترك مشاكل الناس، بل يقدم هموم الناس ومشاكلهم واحتياجاتهم على همومه واحتياجاته، فالشيخ نواف مثلاً أرسل أولاده للبحث عن العشب والماء لكي يؤمن الحياة السعيدة لقبيلته.

---

(١) انظر ملحق الحكايات، ص١١١

(٢) انظر ملحق الحكايات، ص١٠٩

وتدور بعض الحكايات حول الغزو والثأر بين القبائل، ففي حكاية "غزوة نواف"(١) تعرض القبيلة للغزو من عشيرة الشيخ مصباح لوجود ثأر بين القبيلتين، حيث سلب الشيخ مصباح الأموال والحلال (الأغنام والإبل)، وأسر ابنته فصايل، فقام الشيخ نواف بتجهيز أفراد قبيلته والسير نحو قبيلة مصباح فقام باسترجاع ما نهبوه من قبيلته وتخليص ابنته من قبضة الشيخ مصباح بالإضافة لأسره للشيخ مصباح، لكن الشيخ نواف بشجاعته ومروءة أخلاقه قام بفك أسره وإطلاق سراحه.

فوجود مثل هذه الظاهرة تدل على النظام السياسي السائد في الحكايات الشعبية وهو أن كل قبيلة تحت قيادة حاكمها وشيخها تقوم باسترجاع الحق الضائع والدفاع عن نفسها وعن حدودها. ففي الحكايات الشعبية تظهر لنا محاور للصراعات كالصراع بين الخير والشر، وهذا يجعلنا نعتبر هذه الحكايات خلاصة لتجارب متعددة مرت بها بعض المجتمعات وقد تقدم لنا حلولاً لمشاكلنا وعلاجات لهفواتنا، فالحكاية الشعبية تحتوي على قواعد أساسية لبناء مجتمعات قوية، إذن يمكن للمجتمعات العصرية أن تستمد حلولاً لمشاكلنا اليومية من هذه الثروة التراثية.

---

(١) انظر ملحق الحكايات، ص١٠٩

خامساً: الناحية الخيالية أو الغرائبية

تتناول الحكاية مجموعة من المعتقدات الغريبة التي تنبع من خيال الراوية ومعتقداته السائدة في بيئته، وأهم هذه المعتقدات "الغول" فهناك العديد من الحكايات التي تناولت شخصية الغول وكذلك "عالم الجن" وقد احتلت هذه الحكايات مكانة مرموقة في جميع المستويات حيث لا تكاد تخلو حكاية شعبية من ذكر الغول ومحاولة تصويره، والملاحظ على هذا الحكايات أنها بالرغم من خيالها الواسع إلا أنها أكثر الحكايات التي تلقى اهتماماً كبيراً من الصغار والكبار، لما فيها من أحداث غريبة تشد الانتباه والسمع، فالغول شخصية أساسية في هذه الحكايات فهو يؤثر بالإيجاب والسلب على الأحداث ويساعد على تطويرها، فالغول وسيلة من الوسائل التي تحرك الأحداث في الحكاية.

وهناك آراء عديدة في الغول حيث يقول "نمر سرحان" أن الشعب يتصورها على هيئة بشرية موحشة فهي تأكل وتتكلم وتحب وتكره ولها وجوه مرعبة وشعر كثيف يكاد يحجب الرؤية وأظافر غاية في الطول وحجماً ضخماً وعيوناً لامعة وقدرة حركية عالية وصوت أجش وذكاءً كبيراً ودهاءً بالغاً ومعرفة غير محدودة [١].

أمّا "عيسى الجراجرة" يؤكد أن للغول مظهرين، غول متوحش شرير مؤذٍ، وغول خيّر يتصرف تصرف الناس العقلاء ويمنح الإنسان الذي يرعى طقوسه وشعائره كل عناية ورعاية، فقد جيء به لتفسير ما عجز الإنسان عن تفسيره ومعرفته[٢]، فهو حسب رأي جراجرة يمثل مرحلة اعتقادية قديمة ذات أصول أسطورية استقرت في اللاوعي العربي بوجه خاص.

ويرى "طه الهباهبه" أنه نوع من الجن يتخذ هيئات منوعة حيث يقال للرجل غول، إذا كان شرهاً نهماً أكولاً، والمرأة غوله إذا كانت شحيحة نهمة أكولة، لذا يقال تغولت المرأة، تشبهت بالغول وغول الطريق وحوشها والغول له نوعان غول الحكاية وغول التجارب الشخصية[٣].

وقد قرأت الكتب عن حوادث حقيقية وجد فيها الغول وتمت مشاهدته بالإضافة لأنني سمعت من أشخاص عن مشاهدتهم للغول فقد روى لي أحد الأشخاص كان يعيش في منطقة "العشة في إربد"[٤] في مزرعة منزوية بعض الشيء، حيث كان يجلس وحده ليلاً، فكان يرى بين الحين والآخر خيال امرأة تلبس لباساً أسوداً وشعرها منكوش، فخرجت إليه وطلبت منه أن يطلق

---

(١) نمر سرحان، **الحكاية الشعبية الفلسطينية**، د.ط، المؤسسة العربية للدراسات، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٤، ص٦٢.

(٢) عيسى حسن الجراجرة، **عشق حتى الموت**، مرجع سابق، ص٣٤.

(٣) طه الهباهبة، **الحكاية الشعبية في محافظة معان**، مرجع سابق، ص١١٧.

(٤) الراوي: سليمان بركات، ٧٠ سنة، المفرق، رباع السرحان، مقابلة شخصية بتاريخ ٢٠٠٧/٢/١٧م.

زوجته، فشعر الرجل بخوف شديد وصرخ بوجهها فقامت بحرقه بالنار التي كانت أمامه وبالفعل شاهدت يديه ورجليه محروقتين، فهذه حكاية حقيقية حصلت لبعض الأشخاص تؤكد حقيقة وجود الغولة.

وفي محافظة المفرق يسود فكر بين الناس بأن الغول موجود فعلاً في الكهف أو المغـارة كما يسمونه، لذا يجب أن لا نتجاهل هذه الحكايات أو نستهين بها لأنها حتى وإن كانـت غيـر حقيقية فهي غريبة مسلية غنية بالتطور والأحداث الممتعة التي لا يستطيع أحد أن لا يسمعها ولا ينجذب إليها.

ويرتبط وجود الغولة في الوسط الشعبي باعتقاد وهو أنه إذا قتل شـخص أحـس النـاس بغولته، حيث تعود بزيارة الأحياء أو تعترض طريقهم، فقد سمعت قديماً من عدة أشخاص عـن امرأة قتلت من قبل إخوانها دفاعاً عن الشرف، وقد كان للمرأة طفل رضيع حيث قتلت عنـدما كانت ترضع طفلها ويقال أن حليبها أصبح يخرج من ثديها بغزارة فسال على الأرض، والمكان الذي سال عليه الدم نمت فيه دالية عنب غزيرة الإنتاج، والأهم في هذه الحكاية هو أن كثيراً من الأشخاص شاهدوا خيال امرأة في ذلك المكان، وسمعوا صوتها يبكي وينوح، والكل أكـد ذلـك الخيال وخاصة ظهوره يوم الخميس من كل أسبوع.

وقد سمعت هذه الحكاية من عدة أشخاص مقربين أنهم شاهدوا الخيال وسمعوا الـصوت، وهناك الكثير من الناس يؤمنون بوجود الغول، وهناك أيضاً آخرين يجزمون أنه لا وجود للخيال وهو مجرد وهم وكذب وهو من صنع الخيال، خيال الخائفين من ظلام الليل وسكونه. وهنا لا نستطيع الترجيح بوجود الغول أو عدم وجوده، لأننا لو أنكرنا وجوده لا نقدر تجاهل الحكايـات الحقيقية التي حصلت بالفعل لبعض الأشخاص رأوا الغول وسمعوه.

ومن الحكايات التي تناولت الغول هي حكاية بعنوان "الغولة"(١) حيث كان هنـاك رجـل يدعى سالم وله زوجة وابن وبنت كانوا يرحلون من مكان لآخر تبعاً للعشب وبعد مشوار طويل استقروا في أرض خضراء يتوفر فيها الماء والعشب، وبعد نزولهم واستقرارهم جـاءت إلـيهم امرأة تدعوهم للعشاء عندها، وهذه تسمى في عادات البدو "عند العرب إنزاله" بمعنى ضيافة إلى النزلاء الجدد، فقبل أبو محمد الدعوة فذهب هو وزوجته لتناول طعام العشاء، وبعـد خـروجهم بعثت معهم المرأة طعاماً للأولاد، وعندما أراد الأولاد إرجاع الأواني للمرأة، نظرت البنت مـن ثقب البيت فرأت المرأة بشكل آخر، فخافت البنت، وصرخت فسألتها المرأة لماذا تصرخ، ولكن الفتاة كانت ذكية فتخلصت من الموقف بسهولة، وعادت هي وأخوها، وأخبرا والديهما بما جرى

---

(١) انظر ملحق الحكايات، ص١٣٤

ولكن والدهما لم يصدق، ولكن الأم تأكدت أن كلام الأبناء صحيح وأرادت التخلص منها فذهبت هي وأولادها إلى الوادي فأشعلت ناراً حتى غطى الدخان المنطقة باكملها فهربت هي وأولادها فجاءت الغولة إلى أبو محمد ومزقت وجهه، وحرقته بالنار وتبعت أثر الأم والأولاد إلى أن وصلت للقبيلة التي يسكنون فيها ولكن فارس القبيلة قتلها وقام برميها للوحوش الضالة.

أما عن حكايات الجن فهي منتشرة بشكل كبير في أوساطنا الشعبية فهناك قصة تحكي أصل الجان هي أن حواء كانت تلد أربعين مولوداً في المرة الواحدة، ولكن لما أنها لم تكن تقدر على العناية بأكثر من عشرين منهم فقد كانت تحتفظ بأحسن عشرين مولوداً منهم وتلقي بالعشرين الآخرين الرديئي النوعية بعيداً، وعندما سألها آدم عن عدد المواليد قالت: عشرين، ولأنه لم يصدقها فقد رجا الله أن يجعل المواليد الذين ترميهم حواء يقيمون تحت الأرض، وينتشرون في الليل عندما ينام الناس وهؤلاء هم الجان[١].

ويقال أنه يجب معاملة الجان باحترام، فعندما يدخل شخصاً ما مكاناً أو كهفاً أو غرفة خالية قديمة يجب أن يقول "دستور" وإذا حمل شخص ناراً أو ماء يجب أن يذكر "اسم الله" حتى لا تسقط النار أو الماء على الجن، وهناك خوف كبير من الجن في الأوساط الشعبية، وربما سبب الخوف هو قلة الإيمان عند بعض الأشخاص وفي الحكايات الشعبية نجد ذلك الخوف أيضاً وقد يظهر الجن بعدة أشكال فنجده في "حكاية الجدي"[٢] أن الجن دخل في الجدي حيث تحكي الحكاية قصة اثنين من قوم اللحاوي مسافرين في الصحراء فوجدوا "جدي" فاقترح أحدهم أن يذبحه ويأكله عند العشاء وبالفعل أخذوه معهم وسافروا وتابعوا المسير أثناء المسير لمع البرق في السماء فنظر أحد الأشخاص للجدي فوجده يضحك فهرب مسرعاً من الخوف وصرخ بصديقه، أن ينظر للجدي، عندما يلمع البرق وبالفعل نظر فوجده يضحك فقال الجدي له: اذبح الناقة، فذبحها وأخذ قلبها وذهب لصديقه وعندما أشعلوا النار تحول القلب لفحمة فوجدوا أنه الجن.

ونجد الجن في بعض الحكايات الشعبية بموقف طريف ففي حكاية "عرموشة وزوجها"[٣] كان هناك شيخ عنده قهوجي فأراد الشيخ أن يزوجه من ابنته عرموشة وبالفعل تزوجها، ولكنه لم يرها إلا ليلة الزفاف، وعندما رآها وجدها مخيفة للغاية، فعاش معها وكان عندما يطلبها طلب تقول له: افعله أنت، فانهزم منها زوجها وأراد التخلص منها، فقال لها: ما رأيك أن نخرج إلى الحج فوافقت، وعندما جاء موسم الحج ذهبا للحج وركبت عرموشة على ظهر الجمل وعندما

---

(١) نمر سرحان، **الحكاية الشعبية الفلسطينية**، مرجع سابق، ص٧١.

(٢) انظر ملحق الحكايات، ص١٣٧

(٣) انظر ملحق الحكايات، ص١٣١

وصلا إلى مكان بعيد في الصحراء كان هناك بئر مهجورة فقال لها: أريد أن أنـزل لأحـضر الماء منه فقالت له أنها تريد هي النزول فربطها بالحبل ونزلت وتركها وتخلص منهـا، فـذهب لوحده إلى الحج، وعندما رجع أقبل على البئر ليتأكد أنها ماتت ولكنه رأى خيالاً أسوداً من بعيد هجم عليه فقال له: أرجوا أن تخلصني من عرموشة فأنا أسكن هنا منذ مئة سنة، ولم يستطع أحد أن يخرجني إلا عرموشة، فركب الجن على ظهر زوج عرموشة وهربا بعيداً.

وهكذا فقد مرت الحكاية بعصور مختلفة فكانت تعكس حيـاة الإنـسان بكافـة جوانبهـا المختلفة، فجاءت الحكايات متكيفة مع تطور مراحل حياة الإنسان وانتقاله مـن زمـن لآخـر فالمجتمع احتفظ بحكايته الشعبية أكثر من احتفاظه بالحكايات الخرافية أو الأساطير، وذلك لأنـه مجتمع محافظ على دينه وتراثه متمسك بعاداته وتقاليده وأعرافه، فالحكاية عندما تروى وتنقـل من جيل لآخر يراعى فيها أن تكون مناسبة ومحافظة على الدين والأخلاق وذلك أيضاً حـسب دور الحكاية ووظيفتها التي سنتعرف عليها لاحقاً.

فالحكايات امتلأت بكثير من الأحداث والموضوعات وهذا دلالة كافية على أن هناك كثيراً من الأشياء حدثت وربما كان بعضها مجرد تعبير نفسي عن الرغبات المكبوتة والآمال المحبطة والميول العدوانية.

المبحث الثاني

دور الحكاية الشعبية

يتساءل المرء بين الحين والآخر لماذا يلجأ الناس للحكاية؟ لماذا نجد المتعة والرغبة في الاستماع إليها؟ لماذا لا نزال نتمسك بها إلى يومنا هذا بالرغم من كل المظاهر المدنية التي توصل الإنسان إليها؟ نحن نلجأ للحكاية للتنفيس عن المكبوتات التي لا نستطيع التصريح بها حتى لأنفسنا أحياناً فهي بمثابة أحلام نهارية أو أحلام اليقظة التي وجدت طريقها من خلال الحكايات التي يجدها كل من الراوي والمستمع حجةً للتنفيس عن المكبوتات فيقول "نمر سرحان": ومع تقدم المدينة نشأت الرقابة وسنت القوانين وازدادت الضوابط الأخلاقية وأصبح الحلم وسيلة للتنفيس عن المكبوتات التي لا يستطيع أن يصرح بها الإنسان حتى لنفسه[١].

ويؤكد عز الدين اسماعيل على أن الحكاية متنفس للضغوط المكبوتة التي تتعارض والإطار الحضاري فالفلكلور يكشف عن محاولات الإنسان الهروب في الخيال الجامح من ظروف بيئته الجغرافية[٢] فالخيال له عدة دلالات أهمها تلك الدلالة النفسية والاجتماعية فلجوء الإنسان له يعني بالدلالة على أهميته الكبيرة ودوره في معالجة كثير من الصعوبات والانفعالات النفسية والعاطفية، لذا فالبحث عن وظيفة الحكاية الشعبية يتشعب شعباً كثيرة ومعقدة فلا يمكن الإحاطة بوظائف الحكاية الشعبية إحاطة شاملة لغناها وتشعب مظاهرها، فهي متعة نادرة لا يتذوقها إلا من شب على سماعها وهي خيال يسمو بالشعور والحواس إلى عوالم تفتح الآفاق، وهي فائدة خلقية ومثل يضرب وهي أسلوب من أساليب التربية والتعليم، كما أنها أيضاً تأريخ لتفكير شعب بأكمله، تأريخ لعاداته وتقاليده، ونظام حياته ومعيشته وللبيئة الاقتصادية والاجتماعية التي يحياها.

وتعرف الوظيفة عدة تعريفات أهمها هو تعريف "مالينوفسكي" وهوبأن الوظيفة تعني دائماً الوفاء بمطلب من المطالب ابتداءً من أبسط أشكال الفعل متمثلاً في عملية إلى الطقوس الدينية التي ترتبط بالمشاركة الجماعية فيها بنظام كامل للعقائد تحدوه ضرورة حضارية هي ا ستشعار الحضرة الإلهية[٣] ويعرفها "راد كليف براون" هي ما يقدمه لون جزئي من ألوان النشاط إلى النشاط الكلي الذي ينتمي إليه[٤].

---

(١) نمر سرحان، **الحكاية الشعبية الفلسطينية**، مرجع سابق، ص٤١.

(٢) عز الدين اسماعيل، **القصصي الشعبي في السودان**، مرجع سابق، ص١٧٢.

(٣) نقلاً عن: عز الدين اسماعيل، **القصص الشعبي في السودان**، مرجع سابق، ص١٧٤.

(٤) المرجع السابق والصفحة

وهكذا يتضح لنا أن الوظيفة تكون فيما يصدر عن النشاط الفردي أو الجماعي من إضافة للحياة الاجتماعية، فوظيفة الحكاية تختلف بالنسبة للمتلقي فهو قد يراها للمتعة فقط وقد يراها مفيدة من ناحية أخرى، والحكاية الشعبية تحقق رغبات الفرد والجماعة لذا فهي صورة للمجتمع وصورة مطامح وقيم وأهداف يسعى المجتمع لتحقيقها.

فوظائف الحكايات الشعبية متنوعة يمازج بعضها البعض ويتداخل بعضها في البعض الآخر أيضاً ويمكن حصر أهم تلك الوظائف فيما يلي:

أولاً: الوظيفة الثقافية والتعليمية:

تعتبر الحكاية الشعبية أقوى وسيلة عند الإنسان يجمع من خلالها حصيلة ثقافية على مر الأجيال واختلاف الثقافات، حيث نجد في الحكاية الشعبية معارف عديدة متنوعة تضم معلومات عن الريح، والمطر والجبال والبحار والأنهار وأسماء الشهور والأيام، كما نجد معارف خاصة بالبشر كحياة البدو الرُّحل وتطور الحياة نحو الاستقرار والتمدن والصناعة ومعلومات عن الرعي والأنعام والفرس والحصاد وتقاليد المجتمعات وآدابهم.

فالحكاية الشعبية تعمد إلى تقديم المادة الثقافية للمتلقين وهي لا تقدمها بطريقة مباشرة ولكنها تفهم من خلال التفسير والتحليل، فهي تعكس تصورات ومعتقدات وتراث وفهم كل هذه الموضوعات في داخل الحكاية قد يتحقق لمتلقٍ دون آخر، فبعضهم يشعر بأهميتها والبعض الآخر لا يشعر بتلك الأهمية وهذا ما يؤكد اختلاف وظيفتها من شخص لآخر.

فالحكاية تساهم في تكوين وتشكيل البنية الفكرية والثقافية للمجتمع ولأبناء المجتمع الذي غالباً ما تعكس واقع هذا المجتمع وطبيعة تفكيره، لذا فهي تعمل على إغناء هذا التفكير وهذه العقلية. فالحكاية تعبر عن وجهة نظر الجماعة التي تصدر عنها الحكايات.

وقد وردت كثير من الحكايات التي قامت بتلك الوظيفة ففي حكاية "أبو الحصين"(١) نجد مسميات بعض أنواع الطيور كطير الحجل وطير العز وطير السحق فكلها معلومات تضيف للقارئ حصيلة ثقافية لا يستهان بأهميتها فالحكاية الشعبية تفي وفاءً كبيراً بحاجة الإنسان للتعبير عن نفسه بحكاية تمثل تجربته ومنحها شكلاً مستقلاً يعادل التجربة ويوازنها ويحمل إمكانات إقناع الآخرين، والتأثير فيهم.

وفي حكايات عدة تعرفنا على حياة البدو الرُّحل وطريقة معيشتهم ففي حكاية "رحلة حسن"(٢) نتعرف على كيفية العيش وتأمين لقمة العيش فقراءة هذه الحكاية تزيد من معرفة المستمع والقارئ على عادات البدو الرُّحل وطريقة عيشهم وأحوال معيشتهم وهناك كثير من

---

(١) انظر ملحق الحكايات، ص١٢٣

(٢) انظر ملحق الحكايات، ص١٢٠

الحكايات تتناول ذلك، بالإضافة لحكايات أضافت معلومات عن عادات وتقاليد كعادة إكرام الضيف وعدم سؤاله عن حاجته لمدة ثلاثة أيام وأعراف عن الثأر والغزو قديماً الذي كان منتشراً بين القبائل ونجد ذلك في "غزوة الشيخ نواف" تلك الحكاية التي تهدف لناحية ثقافية حيث تبين عادات البدو في الثأر وكذلك كيفية الغزو المتواصل بين القبائل والعشائر قديماً.

ولا يمكن تجاهل الحصيلة اللغوية التي تقدمها الحكاية الشعبية ففي ثنايا كثير من الحكايات الشعبية نجد مصطلحات هامة تضيف إلى الكنز اللغوي كثير من الكلمات الجديدة حيث نجد في حكاية "رحلة حسن"[(١)] مصطلحات لا يعرفها ولا يعرف معناها كثير من الناس، فهذه الحكاية لها دور تثقيفي بإضافة مصطلحات جديدة لكل إنسان.

فالحكاية الشعبية تقوم بدور تثقيفي لا يجب الاستهانة به حيث تؤدي وظيفة في طرحها لطابع البيئة الاجتماعية والسياسية والجغرافية حيث تقدم معلوماتٍ متعددةٍ عن الحيوانات والنباتات ومصادر العيش وطرقاً للعيش ومعلومات عن الطعام وطرق تقديمه للضيف ومعلومات عن سلوكيات مختلفة وعادات متنوعة.

وتقوم الحكاية بدور تعليمي إذ أصبحت الحكاية إحدى الوسائل المثلى للتنشئة فهي ذات دور تثقيفي تقوم به يومياً فعندما تجتمع الجدة وتسرد تلك الحكايات مختلفة المواضع فهي هنا وكأنها تقدم معلوماتٍ متنوعة عن أشياء كثيرة، فالحكاية ليست مجرد عنصر جذب وتشويق وإثارة خيال الطفل فحسب، بل هي موسوعة من المعلومات التاريخية والجغرافية المفيدة تربوياً وتعليمياً، فتنشئة الطفل ثقافياً وهو على معرفة بعناصر الإبداع الفني الشعبي يثير وعيه بالطابع المميز لهذا التراث ولهذه الحكاية بين إبداعات شعوب أخرى، وقد يكون هذا الإبداع الفني الأصيل مصدراً أساسياً من مصادر إبداع الطفل في نفسه، وقد يستلهم ذلك في إبداعاته المستقبلية، مما يحقق تواصلاً ثقافياً بين الأجيال.

فتمثل الحكاية الشعبية أداة تعليمية ناجحة، حيث يستحسن الأطفال هذا النوع من الادب الشفوي الذي يسمح لهم بالتعبير عن مشاعرهم بكل حرية ويتيح لهم فرصة اختبار قدراتهم الفكرية وتوظيفها في مواجهة معيقات اجتماعية مختلفة، فالحكاية تعلم ولكن بطريقة غير مباشرة ولكنها مسلية، فالمتعلم الطفل يتمرن من خلال أنشطته المرتكزة على الحكاية الشعبية على تنمية قدراته الفكرية التي تساعده على إثبات اختياراته وأذواقه الفنية والجمالية وقدرته على الإفصاح عنها وصقل مؤهلاته الإبداعية من خلال تأمله الأحداث الواردة في الحكاية، ويتشبع الطفل أيضاً تلك البنية الفنية للحكاية الشعبية فيعود ذكاؤه على تبني تلك الطريقة الفنية أثناء مزاولته للأنشطة الشفوية أو الكتابية.

---

(١) انظر ملحق الحكايات، ص١٢٠

ثانياً: الوظيفة التربوية:

تقوم الحكاية الشعبية بدور تربوي كبير جداً فهي تقدم لنا مجموعة القيم والأخلاق بحيث تشكل منظومة قيم تدفع بالمستمع الالتزام بها، فهي تحدث في المتلقي تأثيراً بعينه يتجه لمرمى سلوكه في الحياة فالحكاية الشعبية تقدم وتضيف الكثير من القيم والمثل في ثناياها ويؤكد ما ذهبنا إليه نمر سرحان حيث تعمل الحكاية على الوعظ فتساعد على غرس الأخلاق الفاضلة كالوفاء والاحترام والعطف وتصور لنا الأشرار بالطريقة التي تدفعنا على كراهية الشر وهي أيضاً تفسر لنا الحياة التي تعيشها بكل ما يكتنفها من مظاهر طبيعية فتعطينا المعلومات عن طبائع الحيوان وصلة بعضها ببعض(١).

فهناك كثير من الحكايات الشعبية التي يقصد بها الوعظ والعبرة لمن اعتبر وأكثر ذلك ما يظهر في الحكايات التي يحدث فيها الصراع العنيف بين الخير والشر أو بين الضعيف وصاحب الحق وبين القوى الباغي مغتصب الحق، ونجد ذلك في عدة حكايات. فحكاية "الجرة"(٢) تهدف إلى دور هام وهو نصرة الحق ومعاقبة الظالم فهي تبين أن الظلم لا يدوم والحق لا يضيع حيث تنتهي الحكاية بعودة الحق لأصحابه وجزاء الظالم الجزاء الصحيح بخسران جميع ما امتلكه بطريقة غير مشروعة فهي تهدف للنصح والإرشاد ودعوة الناس لحفظ الأمانة والبعد عن الخيانة ونقض العهد.

فالحكاية تقدم مجموعة من الأخلاق المنتشرة كالغدر والخيانة والكذب فتلك الأخلاق منتشرة في المجتمع فوضحتها الحكاية لكي تعالج تلك النفوس التي احتوت تلك الأخلاق فنجد أيضاً في حكاية "عقوبة السارق"(٣) معالجة لقضايا مجتمع بأكمله، فالحكاية هنا تستمد وجودها من ظروف البلاد السائدة كالفقر والجهل أحياناً، فالبطل اضطر للسرقة لظروف معينة فالحكاية وضعت أمامنا مجموعة من الأخلاق السائدة وكأنها في النهاية تهدف إلى التخلص من هذه الاخلاق الفاسدة كالخيانة والغدر، فهي تهدف إلى توضيح ذلك النموذج السيء والدعوة إلى الاحتذاء بالنموذج الناجح فهي تقوم بدور تربوي هام، فهي تقدم للأجيال صورة واضحة المعالم عليهم أن يختارو الأنسب والأفضل من تلك الصورة.

فالحكايات التي تهدف للوعظ يتم سرد الأحداث فيها بطريقة تنفر من الشر وتبشر بالخير وتحذر من الخطيئة فهي تضع المستمع للحكاية أمام العبرة التي تظل تتردد أصداؤها في

---

(١) نمر سرحان، **الحكاية الشعبية الفلسطينية**، مرجع سابق، ص٤٣.

(٢) انظر ملحق الحكايات، ص١١٧

(٣) انظر ملحق الحكايات، ص١١١

الذاكرة، مثل ذلك ما نجده في عدة حكايات كحكاية "الشاطر محمد"[(١)] تلك الحكاية التي توصل إلينا أنه لا قيمة للعمر إلا إذا كان هناك ولداً صالحاً يقف إلى جانب والده في أصعب الأوقات وكذلك حكاية "كنز الأرض"[(٢)] التي تبين قيمة الأرض والوفاء لها والتمسك بها فهنا قناعة الأبناء بالأرض يرضي الأب ويريحه فلا قيمة للعمر إلا إذا كان هناك هنيئاً، فالحكايات هنا تبرز بشكل واضح مدرسة تنقل على شفاه الناس الخبرة والحكمة والوعظ.

وفي حكاية "الشيخ الكريم"[(٣)] نجد مجموعة من الأخلاق الكريمة التي تدل على أصالة العرب وعراقة عاداتهم، فالشيخ الكريم لا يترك أفراد قبيلته إلا بعد تفقد أحوالهم ومعرفة حوائجهم، حيث تقدم لنا الحكاية عدة صفات وأخلاق كالكرم والأمانة والتعاون والإيثار والتضحية فالشيخ الكريم لا ينام الليل إلا بعد شعوره بأن الناس مطمئنون لا ينقصهم شيء، فهو يقدم مصلحة اليتامى على راحته ونومه، فهذه الحكاية تبرز قيم ومكارم عربية أصيلة عن الطيب والضيافة والكرم، فهذه دعوة للالتزام بالأخلاق الكريمة.

فعلى ضوء هذا التحليل يتأكد لنا ذلك الدور التربوي الذي تقوم به الحكايات فيكفي منها أنها تقدم الأخلاق الفاضلة والمبادئ الأصيلة لكي تكون مدرسة للأخلاق بالدرجة الأولى.

ثالثاً: الوظيفة النفسية:

إن الحكايات الشعبية بكل ما فيها من أمور خارقة ونهايات سعيدة تعبر عن حلم الإنسانية في حياة أفضل وهي في الواقع حلم يعوض عن فشلها ومعاناتها ففي الحكايةالشعبية يجد الإنسان متنفساً له عن كل أنواع الضغوط النفسية والاجتماعية، حيث تتوارى الأهداف البعيدة المكبوتة في اللاشعور خلف الحكاية، وتبرز تلك المشاعر الدفينة التي عمل التطور الحضاري على تحريمها، ومنع الفرد من مزاولتها حيث يلقي بالمسؤولية الاجتماعية على شخوص الحكاية لكي تحدث في نفس المتلقي التنفيس المطلوب.

ففي حكاية "حمده ومحمد" أو "بقرة اليتامى"[(٤)] نجد ذلك التنفيس عن حاجات نفسية ملحة عميقة تبين شعور هؤلاء اليتامى بالنقص العاطفي وحاجتهم للعناية والحنان والاهتمام فيجدون في البقرة العجيبة كل ما تحتاج إليه أنفسهم، بحيث تقوم تلك البقرة بتوفير ما يحتاجوه من طعام

---

(١) انظر ملحق الحكايات، ص١١٩
(٢) انظر ملحق الحكايات، ص١٠٦
(٣) انظر ملحق الحكايات، ص١١٦
(٤) انظر ملحق الحكايات، ص١٢٧

وحليب وعناية. فهذه الحكاية اعتمدت على الأمور الخارقة العجيبة لتحقيق ذلك المتنفس الداخلي وإخراج اللاشعور النفسي من أعماق الإنسان.

وتتضمن الوظيفة النفسية شعور المتعة التي يستشعرها المستمع للحكاية حيث ترتبط الحكاية الشعبية بوظيفة إمتاعية حيث يجد المتلقي فيها نوعاً من الهروب من ذلك الواقع القاسي، فالحكاية متنفس لكل ما يحيط بالإنسان من مضايقات وآلام وأحزان، فهي –الحكاية– ليست جانباً نفعياً فقط، بل هي جانب إمتاعي يرفه الإنسان ويؤنس لياليه الباردة الجافة عن طريق ابتكار الوسائل السحرية والرمزية وكل هذه الوسائل لكي تسد ذلك العجز الداخلي الموجود في داخل النفوس، ففي حكاية "عرموشة وزوجها"[(١)] نجد ذلك الجانب الإمتاعي فقد اتخذت الحكاية من الجن وسيلة لإدخال السرور في نفوس البشر ولإضافة البهجة والنكتة والإمتاع على أحداث الحكاية وبالفعل حققت الحكاية ذلك الإمتاع، ففي الحكاية يهرب الجن من البئر بعد دخول عرموشة فقد طلب الجن من زوج عرموشة أن يخلصه منها لعدم قدرته على معاشرتها والعيش معها في مكان واحد، فالإمتاع هو الهدف الذي حققته تلك الحكاية، فالحكاية تكشف عن تعاسات الإنسان ومحاولته الهرب للخيال الجامح من الضغوط الواقعة عليه من قبل المجتمع.

وتقوم الحكاية أيضاً بتنمية خيال الأطفال المتلقين والمستمعين فالحكاية تساعد على إغناء مخيلة الطفل، حيث يطلق الطفل العنان للإبداع بواسطة مخيلته، فتساعده الحكاية على ذلك من خلال سردها لبعض الأحداث وطرحها لبعض المشاكل التي تتطلب من الإنسان إيجاد الحلول الناجحة لها، حيث يلعب الخيال في هذه الحالات دور الوسيط بين الواقع والخيال فهي تتغذى عن طريق استقصائها للأحداث المعيشة فتعيد بناء ذلك الواقع وتغنيه باستمرار[(٢)].

يمكن للطفل أن يتحرر ولو بشكل مؤقت من واقعة المعيش وذلك بالدخول داخل شخصيات وأحداث الحكاية، فنحن عندما نروي الحكايات على مسامع أطفالنا، فكأننا نطلق خيالهم، فالحكاية الشعبية مثيرة في كل جوانبها، فمجرد وجود تلك العناصر الخرافية يجعل من الحكاية عنصر جذب وتشويق وإثارة لخيال الطفل.

لذا فالحكاية الشعبية تعكس حاجات الإنسان النفسية والانفعالية فهي تعوض عن إحساسه بالقهر والضعف أمام جبروت الطبيعة والسلطة أياً كان نوعها، فهي تعكس حلم الإنسان البسيط للتسيد والتملك، فالحكاية مفيدة للصحة العقلية والاتزان العاطفي والانتماء لبيئة ما خصوصاً عند الأطفال.

---

(١) انظر ملحق الحكايات، ص١٣١

(٢) الحاج بن مؤمن، **الحكاية الشعبية في التراث المغربي (وفي الحكاية مآرب أخرى)**، د.ط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، ٢٠٠٥م، ص١٤٠.

رابعاً: الوظيفة الاجتماعية:

تصدر الحكاية الشعبية عن وجدان جماعي فهي تحافظ على تراث الجماعة وعلى مزاياها، وأمجادها لذا فهي تهدف لتقديم العادات الاجتماعية التي يريد الراوي غرسها في قلوب المتلقين حول المرأة والزواج والعلاقات بين الأفراد، وحيث تساهم الحكاية في ترسيخ مفاهيم ورموز استطاع الراوي أن يحولها إلى واقع شعبي فاتخذ هذا الواقع مكانة بارزة في حياة الشعب وأصبح مصدر اعتزاز وفخر.

وتلعب الحكاية الشعبية دوراً مهماً في تنمية المجتمع فكونها تقدم نموذجاً وكونها تستهدف الإنسان بالأساس ولكونها تستهدف تغيير المجتمع إلى الأفضل وكذلك تستهدف الفقراء والمحرومين والمستضعفين لذا فهي الأعمق والأفضل، فالحكاية تقوم بدور هام حيث نجد ثناياها تعبيراً عن البنت المضطهدة المغلوبة على أمرها، فتساعدها الأحداث في تغيير أوضاعها وتنقلب ظروفها للأحسن فتصبح ملكة فتساعد أخاها على العيش فتأخذه ليسكن معها ليعيش بأمان وسعادة وهذا ما لمسناه في حكاية الملكة حمده[١] فهذه الحكاية تهدف للتعبير عن الأحوال الاجتماعية الظالمة التي تحكم الإنسان لفترة معينة.

وتهدف الحكاية الشعبية إلى إظهار ذلك الصراع المستمر بين الخير والشر، فهي تهدف إلى تحقيق المبدأ المعروف أن الخير لا بد منتصر في النهاية وربما هذا هو السبب في النهايات السعيدة في كثير من الحكايات كحكاية "غزوة نواف" و"الغولة" و"بنت البيت" و"الجرة" فكلها حكايات صورت ذلك الصراع والنزاع ففي حكاية "بنت البيت"[٢] يتم الصراع بين الفتاة وزوجة أبيها بحيث تكون النتيجة تخلص الأب من ابنته ولكن الخير ينتصر على الشر وتكون النهاية مرضية فالحكاية هنا تهدف لإظهار ذلك الصراع المستمر، فالحكاية تهدف لمحاربة الشر والقضاء عليه، فالبطل في حكاية "الشاطر محمد"[٣] يدخل في صراع مع الغول الذي يمثل الشر هنا ويتغلب على المصاعب وينتصر في النهاية. فالحكاية تهدف لنصرة الخير على الشر.

وتقوم الحكاية بنقد المجتمع الذي قد يكون بصورة بشعة أو بصورة مشرقة فوراء كثير من الحكايات نقد لاذع لبعض العادات والمعتقدات المنتشرة في المجتمع، وبنفس الوقت تقوم الحكاية بدورها الطبيعي بالحفاظ على التراث الشعبي والتقاليد الاجتماعية الفاضلة وضمان الانسجام بين مضامين الحكاية والأنماط الحضارية المعترف بها واستمرارها من جيل لآخر، فالحكاية الشعبية كما يقول "Hurkuftiz" أنها ليست في قوامها الحقيقي مجرد تعبير أدبي لأبناء

---

(١) انظر ملحق الحكايات، ص١١٠

(٢) انظر ملحق الحكايات، ص١٠٥

(٣) انظر ملحق الحكايات، ص١١٩

شعب من الشعوب بل هي شيء يتجاوز ذلك فهي تمثل بأصـــدق معـــاني الكلمـــة خصائـــصهم الاثنوجرافية التي تقدم صورة موسعة لأسلوب حياتهم[١].

وتهدف الحكاية لتحقيق العدالة والتوازن الاجتماعي بين الناس لنشر الطمأنينة في النفوس حيث نجد الخلل الواضح في التركيب الاجتماعي الذي يكون فيه البعض بغاية الثراء وبعـــضهم في غاية الفقر. لذا تحاول الحكاية الشعبية تحقيق ذلك التوازن المفقود وذلك إما أن تجعل الفقير يصبح غنياً بمحض الصدفة أو أن تجعل الغني يتحرك نحو الفقراء ويساعده أو يفقد جميع مـــا يملك ويتحقق ذلك التوازن، أيضاً عن طريق الزواج بين الأغنياء والفقراء، فنجد فـــي حكايـــة "حميمصية"[٢] إبراز الفروق الاجتماعية بين ابنة المرأة العجوز وابن الشيخ ولكن يتحقق الزواج بالرغم من تلك الفروق الاجتماعية والطبقية ولكي يتحقق الزواج تقوم العجوز بالحيلة وبالفعـــل يتم الزواج وتتحقق الصداقة بين الأغنياء والفقراء، فالحكاية تسعى لتحقيق العدالة والتعبير عـــن جوهر التجربة الإنسانية فهي تعبير عن تجربة شائعة شاملة تحمل وجدان الجماعة وتمثل روحها وأحاسيسها وانفعالاتها.

وتهدف الحكاية أيضاً إلى إرساء جسور التواصل المفعمـــة بـــالتفهم واحتـــرام الآخـــر، فالمواضيع التي تزخر بها الحكايات والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها تقرب الـــشعوب، فهـــي تنسج خيوط لإرساء السلم والتسامح.

وهكذا فالحكاية الشعبية لها سمات واضحة المعالم من الناحيـــة الموضـــوعية ومقومـــات وصفات فنية ملفتة للنظر تكاد تتكرر في كل حكاية وهذه السمات جعلتها مرنة متطـــورة قابلـــة للانتشار في كل مكان وزمان بالإضافة لأن وظيفتها فرضت بنية سردية معينة فنجد عبـــارات استهلالية محددة وعبارات ختامية محددة وهذا ما ستوضحه الصفحات القادمة لكي يتبين لنا تلك المقومات والركائز المؤلفة لبنية الحكاية الشعبية كما وردت على ألسنة رواتها وخصائصها كما وصلت إلينا بعد انتقالها من جيل إلى جيل آخر.

---

(١) نقلاً عن: عز الدين اسماعيل، **القصص الشعبي في السودان**، مرجع سابق، ص١٨٥.

(٢) انظر ملحق الحكايات، ص١١٤

الفصل الثالث

البناء الفني للحكايات الشعبية في المفرق

المبحث الأول: الاستهلال ودلالاته

المبحث الثاني: طبيعة الأحداث وبناؤها

المبحث الثالث: طبيعة الشخصية ورسمها

المبحث الرابع: الإطار الزماني والمكاني

المبحث الخامس: لحظة التنوير

المبحث السادس: لغة الحكايات الشعبية

المبحث الأول

الاستهلال ودلالاته

تعتبر الحكاية الشعبية مرآة للمجتمع الذي انبعثت من مخيلته، وترتبط به ارتباطاً عضوياً حيث تستطيع أن تكشف الغطاء عن ذهنيات أفراده وأن تفصح عن ماهية اعتقاداتهم أما طقوس الحكي أو المقدمات، فهي كثيرة ومتنوعة فلكل راوٍ أسلوبه ومقدمته. حيث نجد مقدمات طويلة جداً بقصد الترغيب في الاستماع وفتح الشهية والتزويد والتنميق، حيث تجد هذه المقدمات إقبالاً واهتماماً من قبل الأطفال فيستمتعون بسماعها لدرجة أنها تعلق بذهن الصغار بسرعة كبيرة جداً ويؤكد أحمد العلج على ذلك بقوله: "الحكايات العامية هي التي كان يقصد بها جعل الأطفال يتابعون بشغف وانتباه والجمالية في أسلوب الحكي شيء أساسي حتى لو كانت الشقشقة على حساب المعاني، ثم أن المقدمات بنسقها الكلامي الفضفاض كانت تفتح الشهية للسماع والإصغاء"(١).

والحكايات الشعبية على اختلاف أنواعها، لها في العادة بدايات ونهايات تقليدية يلجأ إليها الراوي حسبما يراه مناسباً لخدمة أغراضه القصصية من مثل لفت نظر المستمعين إلى أنه سيبدأ حديثه حتى يتهيّأ للاستماع إليه في البداية، وحتى يشعرهم بانتهاء الحكاية في النهاية.

وتبدأ عادة رواية الحكاية الشعبية باستهلالات مختلفة من شعب لآخر، تبعاً لتنوع الموروث الثقافي الحضاري، وهذا الاختلاف يمكن أن يكون ضمن منطقة جغرافية واحدة.

وبدايات الحكاية الشعبية كثيرة متنوعة، ومنها "كان يا ما كان يا سامعين الحكي والكلام نحكي ولا إنّام؟" وهناك أيضاً "ما بطيب الحديث إلا بالصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام".

ومن البدايات التقليدية بداية ثابتة محفوظة: "كان يا ما كان يا قديم الزمان نحكي إلا ننام إلا نصلي على محمد بدر التمام كان في قديم الزمان..."، وهناك كان يا ما كان فيما مضى من الزمان، أو في قديم الزمان"، وهناك أيضاً "كان يا ما كان بنحكي، بنحكي وبعد شوي بنّام، ومن البدايات على ذمة الراوي كان...".

وهذه البدايات التقليدية ليست في صلب بناء الحكاية، بدليل إننا نستطيع حذفها بسهولة دون أن تتأثر الحكاية بشيء، وأحياناً يشعر المستمع بالملل الثقيل من كثرة تكرارها، ولكن لا نستطيع تجاهل أهمية وهذه البدايات ودلالاتها، فهي تدخل المستمع في جو الحكاية.

---

(١) أحمد الطيب العلج، **الحكاية الشعبية ودورها في تقويم السلوك**، د.ط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ٢٠٠٥، ص١٦٩.

ويؤكد "Von Derlein" أن هذه العبارات توحي بالعراقة في القدم، وهو المعنى الذي يهدف إليه الرواة في هذه العبارات، ويقصدون أيضاً التشويق لأحداث الحكاية بالرغم من أن هذه العبارات التقليدية تؤدي إلى معنى التجهيل[١].

والملاحظ أحياناً أن هذه العبارات تأتي كشكل فني يتم افتتاح الحكاية من خلاله، ويمر في ذهن المستمع بسرعة دون ترك أثر داخل النفس أحياناً، لكن لا يمكن أن تبدأ الحكاية دون أن تقول كان..، فهي ضرورية بنفس الوقت.

ويؤكد عمر الساريسي أن هذه العبارات لا تفرض احترامها على جميع من يحكي حكاية، فهي لا تحافظ على شكلها التقليدي إلا عند بعض الرواة من الرجال الذين تهمهم الأشكال المحددة في البدايات وفي غيرها. أما النساء فقد يوردنها في بدايات حكاياتهن على الأقل في الأرياف المحيطة بمدينة القدس[٢].

ولهذه البدايات أو الاستهلالات –باعتبارها بدايات تقديمية للحدث، وبوصفها جزءاً عضوياً يعتمد عليه، ويتفاعل معه، والتي يقوم عليها الحدث– دور أساسي في تشكيل النص لارتباطه بعدة وظائف مختلفة ومتآلفة في نفس الوقت، حيث تحفل كل واحدة منها بخصائص معينة تعمل جميعها على تحديد وجهة النص وموقف المتلقي، وبالتالي تحديد عملية التأثير وتبيان هوية المحكي[٣].

وندرك من خلال الاستهلال في الحكايات الشعبية، أن هناك في معظم الأحيان إسقاطاً وعزلاً لعنصر الزمن، وأحياناً إسقاطاً للمكان، وهذا ما توصل إليه عز الدين اسماعيل "وهذا يجعل الحكاية كأنها حدثت في اللازمان أي كأنها بنفس القدر لم تحدث"[٤]. وربما يكون السبب وراء ذلك هو المتغيرات وتقدم الزمان، فلا يبقى من الحكاية إلى مضمونها الذي يشكل بنية الحكاية الشعبية وسر استمراريتها.

فعبارة "كان يا ما كان" التي بدأت بها كثير من الحكايات الشعبية، اشتهرت وأصبحت عنواناً معروفاً، توحي بالزمان والمكان المجهولين لمسرح أحداث الحكاية، وهما ضروريان رغم ما يرد عنهما من غموض، لينفسح الخيال أمام سامع الحكاية فيمر عليه ما يلي من أحداث وشخوص وعقد.

---

(١) فون ديرلاين، **الحكاية الخرافية**، ترجمة نبيلة إبراهيم، مرجع سابق، ص٣٥.

(٢) عمر عبد الرحمن الساريسي، **الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني**، مرجع سابق، ص٢٨٦.

(٣) المصطفى مويقن، **بنية المتخيل في نص ألف ليلة وليلة**، ط١، الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ٢٠٠٥م، ص٢٣١.

(٤) عز الدين اسماعيل، **القصص الشعبي في السودان**، مرجع سابق، ص١٣.

وهذه البراعة الاستهلالية تؤكد الهدف التربوي للحكاية، وغاية منحها بعداً تشويقياً، يـشد السامع إليها، خصوصاً إذا كان طري العود، غضّ الذاكرة، سهل الانصراف عن المحكي.

ويعتبر الاستهلال تكنيك فني للحكاية، كان الراوي أو الجدة يضعونه كمقدمة ساخرة في بداية الحكاية، فقد تكون نقداً لملمح اجتماعي.

ومن خلال هذه العبارات نلحظ عمق الأثر الديني في نفوس النـاس، إن كـانوا رواة أو مستمعين، وذلك عندما يطلب الراوي من المستمعين الصلاة على النبي –عليه السلام– فهنـاك عبارات استهلالية تفتتح بها الحكايات من مثل: قولهم (وحدوا الله) و(صلوا علـى النبـي) و(لا يطيب الحديث إلا بذكر النبي عليه السلام)، فكلها تدل على مسحة دينية، تطبع سلوك المتحدثين بها في أسمارهم وأحاديثهم اليومية التي تجري على الألسنة دونما تكلف وتظاهر.

وبالإضافة إلى الهدف التشويقي الذي تؤديه العبارات، فهذه العبارات تأتي بقـصد جـذب المستمعين وتشويقهم للحكاية، فالمعروف بشكل عام أن من وظائف البدايات في النص الأدبـي هي وظيفة تقنية، ولإثارة اهتمام القارئ وهي الوظيفة الإغرائية، ووظيفة درامية وهي انطـلاق الحكاية بالإضافة للوظيفة الإخبارية والوصول لعالم الخيال.

المبحث الثاني

طبيعة الأحداث وبناؤها

الحدث هو كل ما يؤدي إلى تغيير أمر أو خلق حركة أو إنتاج شـيء، وهـو مجموعـة الأفعال والوقائع مرتبة ترتيباً سببياً، تدور حول موضوع عام، وتصور الشخصية وتكشف عـن أبعادها، وهي تعمل عملاً له معنى، كما تكشف عن صراعها مع الشخصيات الأخرى، فأغلـب كل فعل قصصي هو الصراع الذي قد يكون نضالاً جسدياً بين شخوص متخاصمة أو مجموعات شخوص(١).

ويقدم الراوي لنا معلومات كلية أوجزئية، فالراوي قد يكون كلي العلم أومحدود، عنـدها يعتمد الحدث على حوار الشخصيات والزمان والمكان، وما ينتج عن ذلك من صـراع يطـور الحدث ويعتمد على الحديث الداخلي. ويبدأ الحدث عندما تنشأ رغبة أو حاجة، فتـسعى إحـدى القوى إلى تحقيق هذه الرغبة، فتصطدم بقوة تعارضها وتلاقي قوة تساعدها، فيمكن التوقـع أن يكون للحدث صوراً احتمالية لا حصر لها.

وتتحقق وحدة الحدث عندما يجيب الكاتب عن أربعة أسئلة: كيف وقع الحدث؟ وأين وقـع الحدث؟ ومتى وقع الحدث؟ ولا يشترط في الأحداث أن تكون كبيرة ضخمة، فقد تزيد الأحـداث وتتسع وتتنوع وقد تكون بسيطة للغاية، وبناء الحدث لا يشترط أن يكون بنقل الوقائع والأحداث المستمدة من الحياة، إذ من الممكن أن تكون أحداثاً ممتزجة بالخيال الإبداعي، ولا بد من وضع الحدث في زمان ومكان، ووسط شخوص يؤدي كل منها وظيفته في البنية السردية لبناء الحدث على أفضل صورة.

فالحدث يقوم في أساسه على وجود الفعل ورد الفعل من خلال تفاعلـه وتبادلـه التـأثر والتاثير في توليد المعنى، الذي يمثل البنية للحكاية، وهناك العديد من التقنيات السردية المختلفة التي تجسد الأحداث ويحتاجها الحدث، كالمونولوج الداخلي والمشهد الحواري والقفز والوصف.

ففي كل ما في نسيج الحكاية من لغة ووصف وحوار وسرد، يجب أن يقـوم علىخدمـة الحدث، فيساهم في تصوير الحدث وتطويره، بحيث يصبح كالكائن الحي له شخـصية مـستقلة ويمكن التعرف عليها، فالأوصاف في الحكاية لا تصاغ لمجرد الوصف، بل لأنها تساعد الحدث على التطور لأنها في الواقع جزء من الحدث نفسه.

---

(١) عالية محمود صالح، **البناء السردي في روايات إلياس خوري**، ط١، أزمنـة للنـشر والتوزيـع، عمـان، ٢٠٠٥، ص٢٥٨.

وهناك طرق متعددة أو أساليب معينة في بناء الحدث، فهناك من يلجأ إلى إثبات الـورق من الجذور، بحيث توحي الأحداث بالتفكير والانفعال، التي تمنح المدلول للقارئ، فعندها لا تأتي الأحداث متصلة في سلسلة كل منها يفضي للحدث الذي يليه بيسر وبوتيرة واحدة، وهناك مـن يلجأ للمواقف الموحية بحيث تأتي الأحداث متسلسلة تسلسلاً منطقياً، يحدو بالقارئ فـي النهايـة للاقتناع بالفكرة الرئيسية من خلال الحدث المؤثر والمنطقية الفريدة، وهذا ما نلمسه في كثير من حكاياتنا الشعبية، بحيث تأتي الأحداث متسلسلة بشكل منطقي وتجري وتمـشي لإقنـاع قـارئ الحكاية بالحدث وحدوثه ومنطقيته، ففي قصة "الجرة"(١). بدأت الأحداث بشكل منطقي وتسلسلت إلى أن وصلت لنهاية مقنعة لمنطق القارئ لهذه الحكاية.

وهناك طريقة يتبعها الراوي من أجل عرض الأحداث فيعـرض الأحـداث بدايـة مـن النهاية..، فيعرض خاتمة الحادثة ويصورها، ثم يعود للخلف ليكشف عن الأسباب التسلسلية التي صنعت الحدث شيئاً فشيئاً، حيث تبدأ الحكاية من أول أحداثها ثم تتطور الأحـداث والـشخوص تطوراً أمامياً، متبعة المنهج الزمني. والأحداث في الحكايات كثيرة متنوعة وغنية، والأحداث في الحكاية كانت مرتبطة بنمو الشخصية داخل الحكاية، فالحدث الأول في حكاية "الملكة حمده"(٢)، هو خروجها من بيت أخيها، والحدث الثاني الالتجاء لمكان آخر ثم الزواج من الأمير، والحدث الأخير هو مساعدتها لأخيها وزوجته.

والمعروف أن الحكاية الشعبية لها دور هام في نقد الواقع، وإسقاط أحداث الحكاية علـى واقع الحياة، إذ يقول الراوي من خلالها ما لم يستطيع قوله صراحة، فالحكاية تتميـز بروعـة التلميح لتدين الظلم والقهر والتعسف بطريقة أحياناً ممزوجة بالسخرية اللاذعة، بالإضافة إلـى حكايات تعبر عن أحلام العامة من الناس للوصول لهدف معين.

فالحدث في الحكاية يجب أن تتصل تفاصيله وأجزاؤه بحيث تفضي إلى معنى أو أثر كلي وأن يكون له بداية ووسط ونهاية، فالبداية تمثل الموقف الذي ينشأ عنه عناصر الزمان والمكان والوسط، يتطور من الموقف وفي النهاية تحتوي القوى التي احتواها الموقف، وفيهـا يكتـسب الحدث معناه، وأي حدث لا يمكن أن يخلو من المعنى ولكن المعنى إذا انفصل عـن الحـدث، فتوحي به القصة والحكاية إيحاءً، فيكتمل المعنى باكتمال الحدث.

والملاحظ في أحداث بعض الحكايات مظهراً واضحاً متصلاً بالأحداث، وهو الهروب من الواقع والانتقال بالأبطال إلى بيئات مختلفة، ليمارسوا فيها الحياة بطريقة متحررة، وذلك لإشباع

---

(١) انظر ملحق الحكايات، ص١١٧

(٢) انظر ملحق الحكايات، ص١١٠

الفضول بسلسلة من الأحداث العجيبة المتشابكة، ففي حكاية "الشاطر محمد"[١] الذي سارت به الأحداث وتطورت إلى عالم الغول، وخلص الفتاة من قبضة الغول، وأخذ الأموال الكثيرة الموجودة في الكهف.

وهذه الأحداث لا تخضع للتفسير والتحليل، ولكنها تخضع للقدرية والمصادفة، فالهدف تقديم الغريب في أحداث الحكاية الشعبية، فالحكاية كانت متنوعة في بناء الأحداث وعرضها، فالحكاية تحشد العديد من الشخصيات والأحداث والرموز فيها، عبر تقنيات متعددة في بناء الحدث، كالمشهد الحواري والوصف والقفز والتلخيص، وهذا يبعد الملل عن القارئ ويجعله متيقظاً للأحداث وعناصرها.

والحبكة هي سلسلة من الحوادث يقع التركيز فيها وفي ترتيبها على الأسباب والنتائج، ومعيار الحبكة الممتازة هو وحدتها، ولفهم الحبكة يمكن للقارئ أن يسأل نفسه ما الصراع الذي تدور حوله الحبكة؟ والحبكة حركة حيوية، تحول مجموعة من الأحداث المتفرقة إلى حكاية واحدة متكاملة ضمن إطار حدث رئيسي، وهي لا تتكون من ترتيب الظروف، بل من تقدمها وتراجعها وتطورها وتحولها من حال لحال جديدة[٢].

والحبكة نظام يشد أجزاء الحدث ويتولى تركيبها وترتيبها في بناء متكامل، لذا ترتبط الحبكة بالزمن، فأهمية الحدث الفنية ليست بمضمونه بل بموقعه، فإذا كانت الحبكة سلسلة من أحداث ذات معنى، فإن ما يعطى الحدث معناه هو موقعة داخل السلسلة، وتقسم الحبكة إلى نوعين: بسيطة ومركبة، فالبسيطة مبنية على حكاية واحدة، أما المركبة فتكون مركبة من حكايتين أو أكثر.

والحبكة في الحكايات الشفوية طبيعية بسيطة، وتختلف درجة التوتر الناجم عنها من راوٍ إلى آخر تبعاً لتفاوت الرواة في قدراتهم ومواهبهم الروائية ومستوياتهم الثقافية، فالراوي لا يحفظ نص الحكاية عن ظهر قلب، وإنما يعي أفكارها ووقائعها، فالحكاية عنده عرض عفوي فوري، فالعقدة في حكاياتنا الشعبية بسيطة واضحة، ففي حكاية "الغولة حسنة"[٣] تظهر العقدة أو الحبكة بتعرض أولاد حسن للخطر من قبل الغولة حسنة، وهروبهم وخروج الغولة ورائهم لكن تحل العقدة ويرجع الأولاد للبيت بسلامة وتموت الغولة وينتصر الخير على الشر.

فالحبكات المنتشرة في حوادث الحكايات بسيطة للغاية ظاهرة غير مختفية وغير غامضة، وذلك عند اختفاء الزمن.

---

(١) انظر ملحق الحكايات، ص١١٩

(٢) عالية محمود صالح، **البناء السردي في روايات إلياس خوري**، مرجع سابق، ص٢٧٠.

(٣) انظر ملحق الحكايات، ص١٣٤

المبحث الثالث

طبيعة الشخصيات ورسمها

تعتبر الشخصية أهم مكونات العمل الحكائي لأنها تمثل العنصر الحيوي الذي يضطلع بمختلف الأفعال التي تترابط وتتكامل في مجرى الحكي، لذا فهي تحظى بالأهمية القصوى لدى المهتمين والمشتغلين بالأنواع الحكائية المختلفة، حيث استقطب مفهوم الشخصية الفكر الأدبي وظل المشتغلون به ينظرون للشخصية ومفهومها بحسب المنظورات الثقافية والأخلاقية، ومنهم "بروب" في دراسته للحكاية العجيبة، وأعمال عز الدين بونيت حول الشخصية المسرحية، وسعيد بنكراد حول الشخصية في الرواية لدى حنا مينه[1].

والشخصية هي القوة المولدة للأحداث تؤثر فيها وتتأثر بها، ولا يوجد مبالغة إذا اعتبرنا الشخصية أهم عنصر في البنية الفنية للحكايات، لأن الشخصية شبكة تربط الأشياء بعضها ببعض، والشخصية هي كل مشارك في أحداث الحكاية سلباً أو إيجاباً، فالشخصية عنصر مصنوع تتكون من مجموع الكلام الذي يصنعها، ويصور أفعالها وينقل أفكارها وأقوالها[2].

وتقدم الحكايات الشعبية أنواعاً كثيرة من الشخصيات في غنى وتنوع كبيرين، حيث نجد في الحكايات الشعبية شخصيات متعددة، فنجد شخصية محورية أو شخصيتان، حيث توجد من حولها شخصيات ثانوية كثيرة، وهذه الشخصيات الرئيسية فيها من ناحية وإبراز الشخصيات الرئيسية فيها من ناحية أخرى.

والشخصيات الثانوية ثابتة ومسطحة، وأغلب الشخصيات المحورية نامية ومتطورة، حيث تقدم الحكايات الأم العطوف، وزوجة الأب الظالمة، والأخ الغادر والزوجة اللعوب، والصديق الوفي، كما تقدم الملك الجائر والسلطان العادل، حيث تقدم الحكاية تلك الشخصيات في توازن وانسجام غريبين هو توازن الحياة وانسجامها، وشخصيات الحكايات الشعبية على الأغلب ليست لها أسماء خاصة لكل منها، وإنما يدل عليها بالمهنة أو وصف العمل أو بذكر النسب.

وتقدم الحكايات الشعبية شخصيات غير بشرية كثيرة، ذات دور فريد ومتميز، وتقدم شخصيات أخرى غريبة، كالغول والعفريت والجني وأكثرها يخدم الإنسان ويساعده، ويتم تمثيل

---

(١) نقلاً عن: سعيد يقطين، **قال الراوي، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية**، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٧، ص٩١.

(٢) عالية، محمود صالح، **البناء السردي في روايات إلياس خوري**، مرجع سابق، ص١٢١.

شخصيات الحيوانات في الغالب في قوالب وأشكال ثابتة ومتكـررة، ففـي حكايـة "عرموشـة وزوجها" يخدم الجني الزوج بتخليصه من زوجته لعدم رغبته بها[(١)].

والشخصيات في الحكاية واضحة محددة، وهي على الأغلب شخـصيات نمطيـة تتحـدد بموقعها في الأسرة أو بمكانتها في المجتمع، فالأب والابن والزوج والملك والـوزير والتـاجر والفقير، ففي حكاية "بياض الثلج"[(٢)] كان هناك ملك عنده فتاة وحيدة، تخلـصت منهـا زوجتـه لغيرتها منها، فشخصية الملك في هذه الحكاية شخصية مضطربة غير إيجابية، سلبي في تعامله مع ابنته ورضوخه لإرادة امرأته، والانصياع لأوامرها.

فالحكايات الشعبية تقدم الشخصيات القلقة المضطربة، ولكنها تنتهي إلى الخلاص مما هي فيه والتحول للأفضل، ويقسم فورستر الشخصيات لنوعين شخـصيات مـسطحة وشخـصيات مدورة، والشخصية المسطحة هي التي يمكن وصفها بعبارة قصيرة تشرح دورها في الحوادث، ويتذكرها القارئ بيسر. أما الشخصية المدورة فهي أعقد من المسطحة، ومعيارها أن تقدر على إثارة الانتباه[(٣)]، ومن الأمثلة على الشخصيات المسطحة شخصية فاطمة زوجة محمد في حكاية "اليتامى" أو "حمده ومحمد"[(٤)]، التي شرحت نفسها وشخصيتها من خلال أحداث الحكاية، ومـن الأمثلة على الشخصيات المدورة شخصية محمد في حكاية "الشاطر محمد"[(٥)] تلك الشخصية التي تثير الانتباه من خلال ذكاءه وشجاعته، وإصراره على معرفة السر داخـل الكهـف، وانتهـت الحكاية بتحول الشخصية للأفضل.

وتنقسم الشخصيات الرئيسية إلى شريرة وخيرة، والشخصيات الثانوية قد تخـضع لهـذا التقسيم أيضاً، لأن الشخصية الخيرة في حاجة إلى أعوان يساعدونها على الخيـر، والشخـصية الشريرة في حاجة على أعوان يساعدونها على الشر، والتنوع أكبر فيما يتـصل بالشخـصيات الشريرة التي نجد فيها شخصية العجوز الماكرة الخبيثة، التي تتسلل إلى البيوت لتدبير المكائـد، وهي شخصية تقليدية في الحكاية الشعبية، ففي حكاية "بقرة اليتامى"[(٦)]، رأينا تلـك الشخـصية

---

(١) انظر ملحق الحكايات، ص١٣١

(٢) انظر ملحق الحكايات، ص١٠٢

(٣) نقلاً عن: إبراهيم خليل، **النقد الأدبي الحديث**، ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ٢٠٠٣، ص١٧٣.

(٤) انظر ملحق الحكايات، ص١١٥

(٥) انظر ملحق الحكايات، ص١١٩

(٦) انظر ملحق الحكايات، ص١٢٧

للعجوز التي تثير في عقل زوجة الأب صنع المكائد والتظاهر بالمرض، لكي تتخلص من محمد وحمده اليتامى وبقرتهم الطيبة.

وتظهر الشخصيات في أبعاد متعددة، فهناك البعد الجسمي وذلك يتمثل في صفات الجسم من طول وقصر وبدانة ونحافة وذكر أو أنثى وعيوبها، ففي حكاية "حميمصية"[١] نجد ذلك البعد عندما كانت بقدر حبة الحمص وليست لديها أي مواصفات أنثوية، ولكن تغير الحال للأفضل فأصبحت طويلة وشعرها طويل.

وهناك البعد الاجتماعي ويتمثل في انتماء الشخصية إلى طبقة اجتماعية، وفي نوع العمل الذي يقوم به، وثقافته ونشاطه وكل حياته. والبعد النفسي ويكون في الاستعداد والسلوك من رغبات وآمال وعزيمة وفكر، ومزاج الشخصية من انفعال وهدوء.

ونجد في الحكاية أن الشخصية التي تأتي في المرتبة الأولى، هي شخصية البطل كما نجد في المقابل الشخصية المعادية له، وهي في معظم الحالات شخصية جنية أو إنسية، وقد حفل التاريخ العربي بالحديث عن البطل، باعتباره مخلصاً للأمة، لذا فهي بحاجة لمن يعيد لها اعتبارها، وما دام البطل هو مطمح كل أمة، فقد عمد الخيال العربي -فصيح وعامي- على نسج مجموعة من الحكايات والتصورات حوله.

والغرض من دراسة البطل في أي نص أدبي هو تتبع تطور الوعي الإنساني في تفاعله مع المجتمع، والاهتمام بالبطل يعود للدور الذي يلعبه البطل في مصير الأمة، ودراسة البطل أو مفهوم البطولة هو الوقوف على مختلف مناهج العلوم التي كانت ذات دور فعال في التاريخ لأمة أو لحلقة اجتماعية أو لطائفة.

ويعتبر مفهوم البطل من أعرق المفاهيم الأدبية، فقد شكل أبرز وحدة بانية في الحكايات الشعبية، والبطل لا يعيش منفصلاً عن إحساساتنا فقد يؤثر فينا إذا كان يمثل الخير ويتفانى في طلبه، وهو من منظور اجتماعي إنسان يستحق كل تقدير وكل إكرام لقوة شخصيته وعبقريته وإخلاصه لقضية مقدسة[٢].

والبطولة ظاهرة إنسانية قائمة في كل الحضارات، وهي تجربة تحمل هموم الجماعة وتعبر عن أمانيها بالرغم من كونها غير موضوعية وبعيدة عن المنطق العلمي، إلا أنها تبقى تعبر عن طموحات وتطلعات فئات عريضة من الشرائح الاجتماعية. فالبطل الشعبي يعد رمزاً ينتمي إلى مجموعة من الرموز، تختزنها ذاكرة شعب من الشعوب، والبطل هو جوهر الحكاية،

---

(١) انظر ملحق الحكايات، ص١١٤

(٢) المصطفى مويقن، **بنية المتخيل في نص ألف ليلة وليلة**، مرجع سابق، ص٢٥٠.

فالأحداث تبقى متواصلة ما دام البطل لم يحقق هدفه بعد ولم يصل إلى مبتغاه، أي أن الأحداث تكون من صنع البطل في نضاله لبلوغ الهدف الذي هو أمل من آماله، وفيه تحقيق لسعادته، فالحكاية وجدت من أجل الوصول بالبطل إلى نتيجة معينة تنتهي الحكاية متى تحققت، لذا فالبطل في سبيل تحقيق تلك النتيجة النهائية يدخل تجارب ومغامرات عديدة قد تقل وقد تكثر، والنتيجة إما أن تكون ذات صيغة سلبية أو إيجابية(١). ففي حكاية "غزوة نواف"(٢)، يقوم البطل –وهو الشيخ نواف– بمغامرات وبطولات لتحقيق غايته، وهي استرجاع ابنته وإعادة ما سلبه الغزاة لعشيرته، بالرغم من أن المغامرات المذكورة كانت قليلة لكنها أدت إلى تحقيق الهدف والغاية من المغامرات.

فالحكاية محركها البطل وعلى ذلك فإنه لا بد من استمرار الحكاية فإذا انتهت المرحلة بنتيجة إيجابية فإن ذلك يعني أن البطل قد انتصر مرحلياً أي أنه ظل محافظاً على فاعليته وقدرته على الصراع، وعلى ذلك فإن الحكاية إما أن تنتهي عند هذا الحد وذلك إذا كانت النتيجة المحققة هي الهدف الأخير، وإنما أن تتواصل الحكاية ويدخل البطل بفاعليته مرحلة جديدة وتجربة جديدة لتحقيق هدف جديد أو لمواصلة السير في سبيل تحقيق الهدف النهائي، ومثال ذلك في حكاية "نص انصيص"(٣)، فقد كان السلب طاغياً على بداية الحكاية، والنتائج الأولى حين كان البطل محتقراً من والده الذي فضل أخوته عليه، فيعطيهم السلاح والخيل ولا يعطي نص انصيص شيء، ولكن فاعلية نص انصيص أجبرت الوالد على تفضيله على أبنائه الآخرين، وبعد أن حقق البطل هذا الهدف خاض مغامرات جديدة لإنقاذ أخوته من الغولة.

فالحكاية الشعبية تتأسس حول شخص البطل الشعبي، ومهمة البطل الشعبي هي الكشف عن النجاة، وخدمة الجماعة سواء عن طريق الحيلة أو القوة، وفي طريقه تعترضه صعوبة وتصادفه قوى شريرة وتعينه قوى الخير على تجاوز تلك الصعوبات، فهو شخص واقعي غايته إعادة الاعتبار للطبقة المسحوقة، فحركة البطل الشعبي حركة واقعية مفهومة مرتبطة بقدراته في مواجهة واقعه، ولكنه مضطرب وشبه عدائي.

وبطل الحكاية الشعبية إنسان معرض للنجاح والفشل والحزن والبكاء والفرح والضحك والضعف والانهيار والمقاومة والجلد، فهو الإنسان الذي ترتعد أعضائه حين يواجهه وحش كاسر أو قطاع طرق، وتنفرج أساريره عندما توافيه الحبيبة، فهذا الإنسان بتكوينه النفسي

---

(١) غسان الحسن، **الحكاية الخرافية في ضفتي الأردن**، ط٧، دار الجليل للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٨٨، ص٢٣٢.

(٢) انظر ملحق الحكايات، ص١٠٩

(٣) انظر ملحق الحكايات، ص١٣٨

والعقلي والجسمي، هو ثمرة ظروف بيئة تسودها علاقات اجتماعية واقتصادية وفكرية معينة، والبيئة التي تخرج منها هذا البطل في مجتمعه في الحضر والبادية.

وتقدم الحكايات أبطالاً يمرون بمتاعب وصعوبات من حرمان وظلم وفقر ومرض، مدركين في أغلب الأحيان أسباب بؤسهم وتردي أوضاعهم، فلا ينهزمون بل يبذلون ما يمتلكون من جلد وصبر وجد متواصل، حتى يتمكنوا من اختراق هذه الصعوبات ويخرجون في النهاية فقيراً أصاب غني أو مظلوماً رفع عنه أسباب الظلم، ومريضاً تماثل للشفاء.

وإذا كان البطل ذا أسرة رجلاً كان أو امرأة فالمسؤولية الملقاة على عاتقه تدفعه للكد والبحث المثابر على لقمة العيش، وإذا كان شاباً يافعاً فتدفعه روح الشباب الطموحة الوثابة الرافضة للعوز إلى الأمام، فهو لا يرضى باللقمة الجافة فيركب خيله ويغزو معرضاً حياته للموت، يسافر باحثاً عن مجالات أوسع للعيش، وتتعدد المهمة إلى أوجه أخرى كاسترداد حق مسلوب، أو إزاحة ظلم أو أخذ بثأر، وجلب المهر اللائق بالحبيبة.

فالبطل نتاج الظروف السيئة والشديدة القسوة التي تعيشها الطبقات الفقيرة، فطموحات البطل تشكل انعكاساً صادقاً لأحلام طبقته المسحوقة[١]، فالبطل يبرز الأماني والآمال الفردية والجماعية على شكل أهداف يسهل الوصول إليها في عالم الخيال، حيث يتعسر في الواقع تحقيقها بسهولة، ومن هنا فإن علماء التحليل النفسي يشبهون أحداث الحكاية بما يراه النائمون في الأحلام، أمنيات تتحقق وغايات تصبح في متناول اليد، بل إنهم ليقولون إن البشرية في أول عهدها لهذه الحكايات كانت في طفولتها العقلية تشبه إلى حد كبير خيالات الأطفال، ويستدلون على ذلك بأن الطفل حينما يحاول أن يرسم فإنه يبالغ في رسم حجوم الأشخاص أو يرسمهم بأشكال غير متناسقة، وبأن الأطفال يتعرضون لرؤية الأحلام الليلية أكثر من سواهم[٢].

ويمتلك البطل سمات مستمدة من رومانسية الحكاية الخرافية التي تؤهله لتذليل الصعاب والوصول للهدف، وهو أيضاً يمتلك ملامح وسمات وإمكانات يعجز عن امتلاكها أخوه بطل الحكاية الخرافية، فالبطل في الحكاية الشعبية تنمو شخصيته من الداخل فيشعر بخطر يتهدده، فالحديث عن البطل يتم مباشرة في بداية الحكايةالشعبية، إذ سرعان ما يتربص به أذى أو ظلم أو أي خطر يكدر صفو عيشه، أو يهدد سلامة أحد المقربين إليه. فيسير البطل بمجرد إحساسه لما يحيق به، فيسعى معتمداً على ذاته لأعلى قوة أو أداة سحرية يستعين بها لتنجز بها كل المهام، ويستجمع قواه ويعمل عقله في سبيل التغلب على الشر أو رفع الظلم أو التحرر من العوز.

(١) خليل حسونه، **الفولكلور الفلسطيني دلالات وملامح**، ط١، المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي، ٢٠٠٣، ص٥٤.

(٢) عمر الساريسي، **الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني**، مرجع سابق، ص٢٧١.

والعون الذي يتلقاه البطل في الحكاية الشعبية يختلف عن تلك المساعدة التي تمنح لبطـــل الحكاية الخرافية، وهذا لا يعفيه من مواجهة الحدث والدخول في معتركه، وتـــنجم عـــن هـــذه المواجهة تغيرات كبيرة تطرأ على عالم البطل الخارجي كالذي حدث للبطل محمد فـــي حكايـــة الشاطر محمد(١) حيث دخل في مواجهة أحداث كثيرة نجم عنها تغيرات طرأت على حياته.

والحكاية حين تقدم بطلها وشخوصها فإنها تكتفي بذكر الشخصية وبعض ظروفها اللازمة لسير الحكاية، ولا تميل بشكل كبير لذكر التفاصيل، والصفات الجسدية، بل تتركها أحياناً مجردة هوائية وكأنها إطار يشكله خيال السامع كيفما شاء، وبالطريقة التي تناسبه مـــا يـــضفي علـــى الشخصية أشكالاً مختلفة في العقليات المختلفة، كل شكل يناسبه عقل، فالشخصية فـــي الحكايـــة نمطية تؤدي فكرة عامة.

---

(١) انظر ملحق الحكايات، ص١١٩

المبحث الرابع

الإطار الزماني والمكاني

إن المكان والزمان هما مكونا الفضاء الذي تشكل فيه الوجود كله، فقد بدأت الحياة بمكان متكون داخل زمان قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[(١)].

فالمكان والزمان هما بدء الوجود وبدء الحياة، ولكنهما لم يكونا بدءاً للوجود والحياة، إذا لم يشغلهما الإنسان، فكان وجود الإنسان في هذا الفضاء المكاني والزماني هو بدء الحياة الفعلية، والحياة كما قيل بكل عناصرها ومكوناتها وحوافزها هي الامكنة والناس والزمان[(٢)].

والمكان حاضن للوجود الإنساني والشرط الرئيسي له، وللمكان في حياة البشرية قيمته الكبرى الفاعلة حيث ينتقل الإنسان ضمن دائرة مكانية متنوعة تعطيه فرصاً كثيرة في عملية البناء والظهور، وجاءت مفردة مكان من الجذر الثلاثي (مَكَنَ) لذا عرف مفهوم المكان عدة تعريفات نظراً لأهميته، ومن الذين طرحوا تعريفاتهم ومفاهيمهم تجاه المكان أفلاطون وأرسطو باعتبارهم فلاسفة غربيين، وهناك الفارابي والكندي والرازي باعتبارهم فلاسفة المسلمين.

وأفلاطون عند ما درس المكان راى أنه هو "الحاوي للموجودات المتكاثرة ومحل التغيير والحركة في العالم المحسوس، عالم الظواهر غير الحقيقي"[(٣)] فالمكان عنده غير مستقل عن الأشياء وإنما يتشكل من خلال تلك الأشياء.

أما عن أرسطو فيقول: "أن المكان هو الحاوي الأول وهو ليس جزءاً من الشيء لأنه مساوٍ للشيء المحوي، وفيه الأعلى والأسفل، وهناك المكان الخاص الذي يحويك لا أكثر منك، والمكان المشترك هو الذي يكون حيزاً لجسمين أو أكثر" [(٤)].

---

(١) سورة الأعراف، آية ٥٤.

(٢) نقلاً عن: عبد الحميد المحادين، **جدلية المكان والزمان في الرواية الخليجية**، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠١، ص١٩.

(٣) نقلاً عن: فهد حسين، **المكان في الرواية البحرينية**، ط١، فراديس للنشر والتوزيع، البحرين، ٢٠٠٣، ص٥٤.

(٤) المرجع ذاته، ص٥٥.

وأرسطو بهذا التعريف يؤكد على أن المكان موجود نشغله، ولا ينتقل بانتقالنا وهكذا يتضح أن المكان عن أفلاطون وأرسطو ملتصق بحياة البشرية، فالبشر يدركون المكان إدراكاً مباشراً.

أما عن الفلاسفة المسلمين فقد تعرضوا أيضاً للمكان، فالمكان عند الفارابي هو موجود وبيّن والعلاقة بين المكان والمتمكن هي علاقة إضافة ونسبة، فلا يمكن أن يوجد جسم من دون مكان خاص به(١). وكذلك الكندي يقر بوجود المكان لأنه يحوي الجسم ولا ينتهي المكان من الوجود إذا غادره الجسم الموجود فيه، والمكان عند الرازي ينقسم إلى مكان جزئي مرتبط بإنسان ومكان كلي يجمع أجساماً(٢).

وهكذا أصبحت المفاهيم حول المكان متعددة بحسب الاتجاه الذي يمثله واضع المفهوم، ولكن مهما يكن هذا التعدد فإن المكان واحد، فهو الذي يشغل حيزاً في المساحة وتقاس إن كان المكان مادياً كالبيت والشارع والمدينة وغير ذلك، والمكان في حقيقة الأمر هوية تاريخية فهو القادر على حفظ التاريخ وإظهاره، فهو يعكس الزمن ويخلق المكان أيضاً من قبل ظروف اجتماعية وسياسية كمكان السجن والملاجئ والمخابئ.

وفي عصرنا الحديث اهتم الكتاب بالمكان في الأعمال الأدبية، فأصبحت الأعمال والكتابات تعالج وتطرح قضايا لها علاقة بالمكان، فمن الموضوعات ما هو مرتبط بالمكان الفردي الخاص، ومنها ما يرتبط بالمكان العام ومنها ما يرتبط أيضاً بالمكان الاكثر اتساعاً وشمولاً، كالحديث عن العالم والوطن وغير ذلك.

أما عن المكان في الحكايات الشعبية فهو أساس الحديث هنا، فهو ليس مجرد إطار للأحداث وحيز للشخصيات، وإنما نجده أحياناً عنصر حياً فاعلاً في الأحداث والشخصيات، فللمكان معاني وأهمية واضحة، فقد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وراء الحكاية، فالمكان في حكاية "رحلة حسن"(٣) يحتل الجزء الأهم في الحكاية وهو المغزى من الحكاية، فالمكان الذي تعيش عليه القبيلة أو الديار هي السبب الذي دفع حسن للمغامرة، والبحث عن ديار خضراء، فالمكان هو الهدف والمغزى من الحكاية. ونجد في الحكايات الشعبية أمكنة لفظية متخيلة، ومكان صنعته الحكاية أو أوجدته ظروف الحكاية وأحداثها وشخصياتها، وربما يفسر وجود مكان غير حقيقي هو الحاجة إليه أو منتهى ما يتمناه البطل أو شخصيات الحكايات، ففي

---

(١) نقلاً عن: فهد الحسين، **المكان في الرواية البحرينية**، مرجع سابق، ص٥٧.

(٢) المرجع ذاته، ص٥٧.

(٣) انظر ملحق الحكايات، ص١٢٠

حكاية "بياض الثلج"[١] نجد المكان أو الكوخ الذي يعيش فيه الأقزام هو البيت والحلم للفتاة، وفي حكاية "المكلة حمده"[٢] نجد القصر الكبير الذي عاشت فيه حمده وهو كبير مليء بالخدم وهو كل ما يتمناه الإنسان.

فيمكننا القول أن المكان يؤدي وظائف دلالية ونفسية، يحمل إيحاءات لها ودلالات معينة، فالمكان الخيالي له وظيفة خاصة في بناء عالم الحكاية، ويحمل مدلولات مختلفة ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعناصر الأخرى المكونة للحكاية.

والمكان متنوع في الحكاية، فنجد الصحراء والبيت والقرية والمدينة والبحر، ولكن الأبرز هي الصحراء، فالصحراء مكان ذو خصوصية لا محددة، فقد شكلت اتساعاً وفراغاً لا محدودين، وهذا جعل الصحراء مهمة إلى حد بعيد. وترتبط الصحراء بمفهومي الغزو والغنيمة، وهذا ما نجده في حكاية "غزوة نواف"[٣]، حيث تدور الأحداث وتجري وتتطور داخل الصحراء، وحدوث غزو ومعركة داخل الصحراء من قبل الشيخ نواف.

وتقدم لنا الحكايات إحساساً قوياً بوجود المكان وبصفاته حتى الجغرافية منها، وذلك من خلال دلائل واضحة للمكان والرمال والتلال والوديان والحيوان والأشجار ونتعرف عليها عبر استعراض الحكاية للأحداث التي يمر بها البطل وهو ينطلق للصيد يطارد الغزلان أو يقود أغنامه وإبله وأمكنة أخرى في عالم الجن والفضاء اللامحدود، وعلى الأغلب لا يحدد المكان كما هو الزمان، فالمكان هو بلد من بلاد الله الواسعة وقد يحدد تحديداً عاماً.

فالحكاية الشعبية تشغل حيزاً كبيراً في المكان، فتتغير فيها المواضع وتتبدل العهود ولا تنتهي الحوادث حتى يستقر كل شيء وتتحقق الاحتمالات والتوقعات كافة، وينال كل ذي حق حقه بما يرضي الجميع، ولذلك غالباً ما تكون النهاية هي الموت بعد السعادة والاستقرار، ويتم تجاوز الأبعاد الزمانية والمكانية في سرعة كبيرةمن غير مبالاة بالعقبات والصعاب، فالأيام تمر كالظلال حتى قبل أن تعد.

والأمر مختلف عند "نمر سرحان" فهو يرى: "إن الحكايات الشعبية المدونة قد حددت لنا أماكن الأحداث بوضوح قاطع ولكن الحكايات غير المدونة لم تفعل ذلك أو كان الموقع الجغرافي فيها غامضاً وخرافياً[٤]، ويفترض الباحث أن معظم الحكايات الشعبية تتحدث عن مجال جغرافي

---

(١) انظر ملحق الحكايات، ص١٠٣

(٢) انظر ملحق الحكايات، ص١١١

(٣) انظر ملحق الحكايات، ص١٠٩

(٤) نمر سرحان، **الحكاية الشعبية الفلسطينية**، مرجع سابق، ص٣٥.

يفترض أنه حيث يعيش الراوية أو السامع، إلا أنه قد يمتد هذا المجال إلى أماكن غاية في البعد، بل ليس لها وجود في عالمنا؛ مدينة "الست بدور" وبلاد "الواق واق"[١].

والتأكيد على أن المكان نادراً ما يحظى في الحكاية بأي تحديد واضح وبارز، ولكن الأمر يختلف في حكايات التجارب الشخصية أو تجارب الواقع اليومي، فالمكان والزمان واضح ومحدد، ولذلك لأن الحكايات وقعت بالفعل مع أشخاص بعينهم ضمن فترة زمنية معروفة كحكاية "كنز الأرض"[٢]، التي حدثت مع شخص يدعى "أبو علي" في منطقة الدجنية في محافظة المفرق.

أما عن الإطار الزماني للحكاية الشعبية فإن ما ينطبق على المكان ينطبق على الزمان، فللمكان حضور في ذهن الإنسان فقد يكون واقعياً أو وهمياً ولكن حين يربط المكان بالزمان يصبح له مزايا وسمات ذات دلالات هامة، وهذا ما يؤدي للحكم على أن وجود الزمان يلزم عنه وجود المكان، إذ لا يعقل أحدهما دون الآخر، فإذا كان المكان مفتوحاً كان زمانه دائماً مستمراً، وإذا كان المكان مغلقاً كان زمانه مبهماً، ومع أهمية المكان إلا أنه يبقى والزمان في عالم البشرية نسبيين فلا يبرزان بوضوح إلا بمقدار ما تقتضي الشخصية ذلك البروز فالشخصيات تتأثر بالمكان والزمان، "فالشخصيات موصوفة من خلال حركتها في المكان ومن انعكاس ما يجري على قسماتها والوصف دائماً مسخر لتقديم ملامح المكان ومن يعيشون فيه"[٣].

أما من نوعية الأزمنة التي تنطوي عليها الحكايات الشعبية، فهناك الزمن العادي محدد باليوم وغداً وأمس، وهناك زمن أسطوري هو زمن لا متناه واسع تحوي اللحظة فيه الكثير من الأحداث، زمن خارق لكل الأزمنة هو زمن مطلق يستطيع البطل فيه صنع الكثير من الأشياء، وعلى الأغلب لا يحدد الزمان فهو قديم الزمان وسالف العصر والأوان.

فالحكايات تميل إلى الإيجاز في ذكر زمان الحكاية ومكانها، إذ يذكر أن الحكاية حدثت في زمن ما وفي مكان ما دون ذكر تفصيلات ذلك الزمان أو ذلك المكان، أي دون تحديد لهما مما يضع الحكاية في ظرفين مبهمين كما هي العادة في شتى ألوان الأدب الشعبي، وترد الإشارة إلى زمان الحكاية ومكانها المبهمين في عبارات الافتتاح التقليدية مثل كان يا ما كان وغير ذلك من العبارات التي تعني زماناً ومكاناً دون حدود، وينسحب ذلك على كل زمان ومكان يرد في الحكاية، فإذا أشارت الحكاية إلى زمان تحرك البطل خلال السرد فإنها تقول مثلاً: "في يوم من

---

(١) نمر سرحان، **الحكاية الشعبية الفلسطينية**، مرجع سابق، ص ٣٥.

(٢) انظر ملحق الحكايات، ص١٠٦

(٣) محمد بدوي، **الرواية الجديدة في مصر**، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع، بيروت، ١٩٩٣، ص١٢٤.

الأيام"، وإذا أشارت إلى مكان البطل أثناء السرد، فإنها تستخدم كلمات منكرة نحو: "راح عالبلد" أو "وصلوا"[١].

فالحكاية الشعبية لا تنعزل عن المكان والزمان فهي تظل تجري في جو واقعي إن لم يكن حدث فعلاً فقد يمكن أن يحدث.

---

(١) غسان الحسن، **الحكاية الخرافية في ضفتي الأردن**، مرجع سابق، ص٢٤٦.

المبحث الخامس

لحظة التنوير

لحظة التنوير هي قرار الشخصية النهائي، أو الحل في نهاية الحكاية وهو أسلوب يمتــاز بالتركيز والتكثيف الدلالي دون أن يكون للبعد الكمي فيها كبير شأن، ولحظة التنوير هي الحــل لإشكالية الصراع، ولحظة التنوير هي الإشراق الذهني والسر في إنقاذ الحكاية مــن المباشــرة والشعاراتية.

ونستطيع القول إن لحظة التنوير في الحكاية طبيعية وبسيطة، وتختلف درجة التوتر الناجم عنها من راوٍ لآخر تبعاً لتفاوت الرواة في قدراتهم ومواهبهم القصصية[١].

والحكاية الخيالية تعرض لمجموعة من الأحداث المعقدة التي تحتاج إلى حل، والمعروف أن الخيال الشعبي هو الذي أبدع هذه الحكايات، فالحكايات برمتها من نسيج الخيال البشري.

والحكايات هي كذلك شديدة الشبه بأحلام النوم وأحلام اليقظة، فالمشكلة التي يتعذر حلهــا في واقع الحياة كمشكلة الفقر أو الحرمان الجنسي يجد الخيال البشري لها الحل الوهمي المرتكز على أعمال خارقة تتحقق بوساطة الجن.

فكل حكاية تحمل لحظة تنوير في داخلها وتسعى لأجل تحقيق تلك اللحظة، ووجود مثــل هذه اللحظة داخل الحكايات تبعدها عن السلبية والنقص، فالمطلوب من الحكاية الشعبية كونهــا تعبر عن الشعب أن تعطي حلاً منيراً ساطعاً يهدي القارئ للنقطة التي يهدف للوصول إليها.

فالحكاية الشعبية تحمل هدفاً ومغزى من خلال بنيتها السردية فأهميتها تكمن فــي هــدفها ومغزاها، ولذا فإن الحكاية الشعبية وخاصة التي تقال على لسان الحيوانات، تــستخدم كوســيلة تربوية وتعليمية غير مباشرة للطفل في سن مبكرة، تبدأ من البيت حيث الجدات اللواتي يمــتلكن مخزوناً لا يكاد ينضب من هذه الحكايات فتسرد على الأطفال لتسليتهم، وإذا بها في الوقت نفسه تمده بمجموعة من القيم المستقرة في وعي الجده، التي هي مرجع لوعي عام مستقر في مخيلــة الجماعة التي تعبر الجده عنها من خلال الحكاية الشعبية.

فالحكاية الشعبية ذات فائدة جلى في بابها وتعطي ثمارها المرجوة بشكل يفوق غيرها من الأساليب، وقد حملت الحكايات الشعبية لحظة التنوير التي تنفرج من خلالها الأحــداث ويــصل البطل لمبتغاه ويرتاح القارئ أثناء سماعه الحكاية، فجميع الحكايات حملت تلك اللحظة، لأن كل حكاية تحمل قضية يسعى البطل لحلها والوصول بها إلى نقطة النهاية، فحكاية (الشيخ نواف)[٢]

---

(١) عبد اللطيف البرغوثي، **حكايات جان من بني زيد**، ط١، مطبعة المعارف، القدس، ١٩٧٩، ص٢٢٩.

(٢) انظر ملحق الحكايات، ص١٠٩

جاءت اللحظة فيها عندما حرر ابنته وأعاد الحق لأصحابه ومعاقبة العدو والنيل منه، وهذا ما يكمل الحكاية ويجعلها تامّة عند القارئ، فلو تركت الحكاية دون الوصول لتلك النقطة أصبحت غامضة ناقصة، وهذا ما يقودنا للحديث عن بعض الحكايات التي ترد فيها تلك اللحظة غير مكتملة، أي لا تشبع ميول القارئ أو المستمع، حيث نجد في حكاية (نص انصيص)[١] و(عرموشه وزوجها)[٢] لحظة التنوير غير مكتملة فعندما ترك الزوج عرموشه في البئر وهرب مع الجني، زاد الغموض في نفس المستمع ولم يتوصل لحل نهائي لقضية عرموشه وزوجها وكذلك في حكاية نص انصيص لم يكتمل الصراع بين الغولة ونص انصيص ولم يصل بنا الراوي لحل لتلك الغولة، فلحظة التنوير غير مكتملة عند القارئ أو المستمع.

وهكذا فإن لحظة التنوير تعتمد على الراوي في بساطتها وطبيعتها واكتمالها أو عدمه، فلحظة التنوير في الحكايات الشعبية جاءت بسيطة أحياناً وطبيعية ومكتملة مشبعة لميول المستمع والقارئ، وغير مكتملة أحياناً في بعض الحكايات، إلا أنها تبقى تلك اللحظة الهامة التي تنطوي عليها أهمية الحكاية الشعبية وبروزها واستمرارها في خيال المستمع والقارئ.

---

(١) انظر ملحق الحكايات، ص١٣٨

(٢) انظر ملحق الحكايات، ص١٣١

المبحث السادس

لغة الحكايات الشعبية

اللغة هي وسيلة الأدب، واللفظ هو المعين الذي تنهل منه اللغة مادتها وليس لها غناء عنه فاللفظ من أدوات الأسلوب الأدبي، والأسلوب من العناصر الأدبية كما هي اللغة وسيلة الأدب، واللغة هي فعل فسيولوجي من حيث أنها تدفع عدداً من أعضاء الجسم الإنساني إلى العمل، فهي فعل نفساني من حيث أنها تستلزم نشاطاً إرادياً للعقل، وهي فعل اجتماعي من حيث أنها استجابة لحاجة الاتصال بين البشر[١].

واللغة هي أداة تعبير تتأثر بمضمون الأفكار ولكل لغة جمالها ونواحيها الرائعة، فهنـــاك لغات بسبب التجربة الحياتية للشعب الذي تخدمه وشمول تلك التجربة، ومدى تخمرها اكتـــسبت طعماً خاصاً فأصبح لها طعماً جميلاً، وأصبحت مرنة وذات طاقة غير محدودة على التعبيـــر، ولغتنا العربية هي واحدة من هذه اللغات الغنية الملونة التي تسطتيع أن ترسم لوحة مهما كانـــت معقدة، ولا تقف عاجزة عن وصف أدق اللفتات واللمسات الحياتية والنفسية.

واللغة كائن حي والكائن الحي من طبيعته النمو والتطور ولذلك تطورت اللغة العربيـــة، وساعدها على ذلك تطور الجماعات، كلما تطور سلوكهم نتيجة للثقافات المكتسبة، فاللغة العربية الفصحى ظلت مفاداً للنقاء وملجأً للشعراء الذي يلتمسون اللفظ الفصيح والمعنى الشريف.

واللغة هي انعكاس للضمير البشري، ومجتمعاتنا اليوم نجد فيها طوائف متعددة، وأصحاب حرف شيء كل منهم له لغته الخاصة وأسلوبه الخاص، والمعروف أنه كلما تعقـــدت الـــروابط الاجتماعيـــة، تفرعت اللغة إلى مجموعة من اللغات الخاصة، وكذلك عندما يختلط المجتمع بعناصر أجنبية، وتتغلغل الثقافة الأجنبية بنفس المجتمع تظهر حصيلة كبيرة من المفردات فنجد أنفسنا أمام لغة جديدة.

اختلف الباحثون في فهم مدلول هذه اللغة العامية هل يطلقون عليها اسم اللغة الـــشعبية أو اللغة العامية، وهكذا تنشأ اللغة العاميّة، وينشأ معها الأدب العامي الذي يعبر عن أدق خلجـــات النفس التي تأثرت بالخبرات، وهكذا نشأ الأدب العامي، وانبثق من الوجدان الفطري ليعبر عـــن حياة القطاع الا جتماعي الكبير، وهو ينفذ للأعماق لقوة معانيه وذلك لخروجه مـــن الأعمـــاق، فالأدب العامي استقى مادته من الفصحى الملحونه، أما الأدب الشعبي فهو يتخـــذ مادتـــه مـــن الملحون والدخيل وهي ألفاظ أسلوب الحديث الجاري، فأسلوب الأدب الشعبي هو أسلوب الحديث الجاري، فالأدب الشعبي والعامي كلاهما يعبران عن نفسية المجتمع ونفسية الطبقات المحكومة.

فنقل الأدب الشعبي بهذه اللغة، يؤكد ضرورة تسجيل هذه الروائع نفسها كمـــا هـــي بلهجاتهـــا العامية، فالكلمة العامية لها سحرها وتأثيرها وفعلها الثوري، وهذا يبقى ما دامت هذه الكلمـــة تنـــبض

---

(١) أحمد صادق الجمال، **الأدب العامي في مصر**، د.ط، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦، ص٦٩.

بحرارة الحياة على شفاه الناس، وفي أرواحهم، فها هو توفيق زياد يجمع قصص البطـولات الـشعبية خلال حركات الكفاح ضد المستعمرين، حيث يروي الحكاية بأسلوب قصصي سلس، وينشر القـصيدة كما هي بلهجتها العامية، فهو يدعو إلى نقل الأدب إلى اللغة الفصحى المكتوبة[١].

ويؤكد عيسى جراجرة على ترك هذه الحكايات على حالها تروي شفاهاً من جيل إلى جيل، ففي ذلك نوع من الجمال يشبه جمال الجزيرة البكر المليئة بالأدغال والأسرار التي لا يلذ الإنسان بـالقراءة عن تضاريسها وأرضها، ثم مشاهدتها بقدر ما يلذ باستكشافها بنفسه، واستطلاع أسـرارها وخباياهـا، فترك هذه القصص والحكايات تروى شفاهاً فيه مخاطرة كبرى، وذلك لأن القصص والحكايات بـدأت تتعرض لمخاطر النسيان والضياع والسير نحو الاندثار والانقراض بفعل التكنولوجيا العصرية[٢].

وسيلاحظ القارئ للحكايات أن لغتها تتميز بالبساطة وتشبه لغة التخاطب اليومية، التـي تكـون غايتها نقل الفكرة بأبسط وأسهل السبل ودون التصنع، أو اهتمام بتحسين التراكيب المـستخدمة، أي أن العناية الشعبية موجهة للمحتوى وليس للشكل، ولغة الحكاية تتأثر إلى حد كبير بمستوى ثقافة الـراوي وخبرته وقدراته، وهو مستوى يتأثر بمستوى السامع ذاته، لأن الراوي يحرص على أن تأتي الحكايـة مناسبة للمستمعين، فهو لا يسردها للكبار والصغار بنفس اللغة، كما أنه لا يسردها للكبـار والأميـين والكبار المثقفين بنفس اللغة، فالأسلوب الغالب في الاستعمال هو أسلوب السرد القصصي مع اللجـوء للحوار البسيط بين الحين والآخر، فاللهجة الدارجة لا تراعي قواعد اللغة العربية الفصيحة، فهي تظـل أداة ناجحة في نقل الأفكار وتبادلها، ولغة الحكايات لا تخلو من تعابير جذابـة تلفـت النظـر بقوتهـا الأخاذة، فنجدها مبعثرة هنا وهناك، وكأنما هي حلي يزين بها الراوي جيد حكايته دون تصنع، وكأنمـا هي تراكيب وصيغ تثبت جودتها في الاصطلاح الشعبي، فسارت على اللسان الشعبي عذبـة سلـسة، ووقعت في الأذن الشعبية نغمات حلوة، تيسر نقل الفكرة وتوصلها للقلب بسرعة فائقة، وترسـم فـي الذهن صورة حية للفكرة التي تحملها.

وما يلاحظ على اللغة في الحكاية الشعبية أنها تستخدم ضمير المخاطب لربط السامعين وشـدهم إلى ما يقول الراوي، فنرى في الحكاية الشعبية عبارات مثل (حتى توحدوا الله) فيجيب السامعون بقولهم: (لا إله إلا الله)، وكذلك تختتم الحكاية الشعبية بعبارات ملاطفة للسامعين، فالحكاية تؤدي هـدفها فـي الإمتاع والتعليم بسهولة ويسر وفكاهة أحياناً، وتزخر الحكاية بعبارات لغوية شعبية كثيرة تحمل مضامين ومدلولات معينة، يفهمها الجمهور دون حاجة لشرح وتفسير لأنها من بيئتهم وواقعهم المعيش، فالحكاية الشعبية في محافظة المفرق زاخرة بالتعبيرات الفنية اللغوية الشعبية، ويندر أن تخلو منهاحكاية فهنـاك

---

(١) توفيق زياد، **عن الأب والأدب الشعبي في فلسطين**، د.ط، دار العودة، بيروت، ١٩٧٠، ص١١.

(٢) عيسى جراجرة، **عشق حتى الموت**، مرجع سابق، ص٤٠.

عبارات ذات مدلول اجتماعي أو ديني وتكثر في ثنايا الحكايات ومنها "حبلتي بنت البيت"[١]، أي كانــت السبب في حملها أو جعلتها حاملاً. وهناك تعبير اجتماعي وهو أن الناس يطلقون على زوجاتهم (الأهل) والأهل في التعبير الشعبي زوجة ومن ذلك "عاش حسن هو وأهله مع الغولة"[٢].

ولغة الحكاية متعلقة بثقافة الراوي أو السارد، وما دامت الحكاية شعبية والسارد شــعبياً، فمن الأولى أن تنتقل الحكاية بلغة الحكي الشعبي العضوي، فالحكاية ترسم حالة المجتمع وطريقة تفكيره وفلسفته ونظرته للحياة، وهذا لا يمكن أن يظهر إلا بلغة الحكي وهذا لا يعني أن اللغــة الفصحى عاجزة عن الإفصاح وإنما لخصوصية العبارة الشعبية نلجأ للغة الشعبية أكثر، فإذا ما نقلت هذه العبارة للفصحى فقدت نكهتها وبهاءها، فالكلمة الشعبية لها هويتها الخاصة في الحكاية.

وهذا الأمر ليس دعوة للعامية وإنما هو حفاظ على التراث الشعبي كما هــو بعيــداً عــن التحوير، والحكاية الشعبية جزء من ذلك التراث لذا يمكن أن ننقل الحكاية كما هي مــع شــرح للمفردات الصعبة والاستخدامات الشعبية ليصل المغزى والمعنى للمتلقي، مع تــرك الفرصــة لتذوق النكهة الشعبية، وبالتالي نضع المتلقي في الجو الشعبي، فالحكاية الشعبية تقدم فائدة كبيرة وخاصة للطفل وذلك في توسيع خياله وإدراك بعض الحقائق ببساطة متعمدة، إلا أنها قد تكــون عائقاً لغوياً وذلك لأنها تبنى على اللغة الشعبية الدارجة مما يعزز عنده اللغة العامية، فتتراجــع اللغة الفصيحة ويصعب على الطفل تقبلها، لذا لا بد أن نلجأ لسرد الحكاية الشعبية بلغة مبــسطة بعيدة عن العامية تصل إلى أولى مرتبات الفصحى لتؤدي الغرض منها، وهذا ما اتبعتــه فــي الحكايات التي جمعتها فقد نقلتها للغة المبسطة المحافظة على نكهتها الــشعبية والمفهومــة فــي عباراتها مع ترك بعض الحكايات على حالها لكي يتذوق القارئ طعمها الشعبي النقي العذب.

وقد دعا علي الوردي إلى تجريد لغتنا من الكلمات الغامضة والمترادفات التــي لا فائــدة منها، فهو يؤكد على أنه هناك فرق كبير بين اللغة المبسطة والعامية من الناحيــة الاجتماعيــة، فاللغة العامية لا يفهمها جميع الناطقين بها، أما اللغة الفصيحة المبسطة فهي التي يفهمها جميــع العرب في كل أقطارهم[٣].

---

(١) انظر ملحق الحكايات، ص١٠٥

(٢) انظر ملحق الحكايات، ص١٣٤

(٣) علي الوردي، **أسطورة الأدب الرفيع**، ط٢، دار كوفان، لندن، ١٩٩٤، ص٦٠.

الفصل الرابع

موازنة بين الحكاية الشعبية في المفرق

وبين نصوص حكائية شعبية أخرى

الفصل الرابع

موازنة بين الحكاية الشعبية في المفرق وبين نصوص حكائية شعبية أخرى

تعد الحكاية الشعبية شكلاً أساسياً من أشكال التراث، وركناً مهماً من أركانه فهي تختزن ذاكرة غنية بالأحداث والشخصيات والأحلام، وتعبر في الوقت ذاته عن مصدر هام للمتخيل، فقد شغف الإنسان منذ الأزمنة القديمة بالحكاية وفن الحكي وبرواية الحكاية ونقلها من جيل إلى جيل ومن بقعة إلى بقعة ومن حضارة إلى حضارة ومن ثقافة إلى أخرى.

فقد انتقلت الكثير من الحكايات من لغة إلى أخرى، ومن جيل إلى جيل، وأثناء هذه الرحلات اكتسبت الكثير من الحكايات أشكالاً متعددة تتناسب مع كل بيئة جديدة تنتقل إليها، وقد عنيت أكثر شعوب العالم بتراثها الشعبي وحكاياتها الشعبية، وحفظتها وسجلتها وأقامت عليها دراسات عديدة.

وتعد الحكاية الشعبية من أهم منجزات العرب الفكرية والجمالية، لأنها تدل على قوة التخيل عندهم وعبقريتهم في الحكي والتخريف والتهويم، وربما تعود عبقرية العرب في تطور شهوة الحكي لديهم إلى علاقتهم الخاصة بفلسفة الزمن ومفاهيم الجغرافيا، وهي علاقة تكاد تكون مفتوحة على المطلق، أي أن عبقرية الحكي والحاكي العربيين تعود إلى علاقة الحرية التي يملكها المبدع مع بنية الزمن، ومع جغرافيا الصحراء الممتدة الأطراف، وكذا علاقته بالشفوي الذي يسمح له بالقول المحلق(١).

فالحكاية الشعبية تتخذ مادتها من الواقع النفسي والاجتماعي الذي يعيشه أفراد الجماعة التي تتداولها، والحكاية الشعبية من الأنماط الأكثر مرونة وتنوعاً، أو بالأحرى لعدم استقرار شكلها فهي لا تلتزم بحدود شكلية دقيقة مما جعلها متنوعة مرنة مختلفة أحياناً من منطقة لأخرى لذا سنحاول في هذا الجزء أن نتناول الحكاية من مناطق عربية متعددة ونوازنها بحكاياتنا الشعبية في محافظة المفرق.

فالكلمة عند الشعب العربي تعد ينبوعاً للحضارة سواء كانت قولاً أو إيقاعاً أو رمزاً، وهي مدارس تربي وتعلم وتطلع الأبناء على تآثر الأجداد، تلقنهم تاريخ بلدهم وتغرس في نفوسهم فضائل الشجاعة والكرامة، وتشحذ فطنتهم توقد ذكاءهم، فالحكايات هي جزء من التراث والعادات والتقاليد، لذا سنعرض ميزات حكايات بعض مناطق الشعب العربي وأهميتها عندهم، ونستعرض بعضاً من هذه النصوص المتداولة عربياً وكذلك في بعض مناطق الأردن الأخرى.

---

(١) الحاج الباهي البويني، **مائة ليلة وليلة وحكايات أخرى**، تحقيق: شريبط أحمد شريبط، ط١، المكتبة الوطنية الجزائرية، الحامة، الجزائر، ٢٠٠٥، ص١٠.

فالحكاية الشعبية عند شعوب ليبيا هي نشاط إبداعي وفن شفاهي وتقليد شعبي ممارس، ومتفق عليه فيما يسمى بقعدة الخرّاف أو الخراريف في أجواء عائلية أسرية، وهي جلسات تخضع لقواعد إبلاغية اتصالية بين طرفين[١].

وتقوم الحكاية الشعبية الليبية على حبكة عنصرين متضادين، الخير والشر، الجمال والقبح، الفقر والغنى، والموت والحياة، وتقوم على قوتين متعارضتين، أي ثنائية الشخصية، الكبير والصغير، الضعيف والقوي، الفقير والغني، فالحكاية الليبية تتميز بالخصوصية المحلية، مع وجود الفروق بين بيئة وأخرى.

وفي المملكة المغربية تعتبر الحكاية الشعبية ثروة تراثية قيمة، تمتاز بانتشارها الواسع وانتقالها من جيل لآخر، دون أن تفقد قدرتها على بناء حضارة تلك الأجيال، فهي من أهم الأنماط التعبيرية لكونها تحظى بأكبر عدد من العشاق من مختلف الأعمار، حيث تمتاز الحكاية الشعبية المغربية، بأنها منتوج حضاري عالمي يمد الإنسان بعدة أساليب لفهم أسرار الطبيعة ومظاهرها، وهي متحف حي يضمن الخلود للعادات والتقاليد والطقوس، وهي أسلوب فريد من نوعه في الترفيه داخل مجالس السمر.

وللحكاية الشعبية المغربية طقوس للحكي وقبل الشروع في سرد وقائع الحكايات، ولكل حكاية مقدمة وهي كثيرة ومتنوعة، ويقصد بها للترغيب في الاستماع وفتح الشهية، وهي تتقارب بحد ما مع مقدمات حكاياتنا حيث نذكر منها "كان يا سيدي حتى كان، حتى كان الله في كل مكان.."[٢].

وكانت المقدمات طويلة جداً، فهي أشبه بالديباجات التي تكون للتزيين والتنميق، حتى لو كان ذلك على حساب المعاني، وغالباً ما تنتهي الحكاية الشعبية المغربية بمثل شعبي كالمثل الذي تنتهي به حكاية شعبية مغربية (الصنعة أيلمّا غنات تستر وتزيد في العمر) حيث تتحدث الحكاية عن أمير ماهر في صناعة السجاد، وقع في قبضة أحد المجرمين الذي فضل حياة الأمير ولم ينقذه سلطانه[٣].

يتشابه هذا مع حكاياتنا فهي تهتم بالأمثال وأهميتها داخل الحكاية ومدى الدور الذي يقوم به المثل داخل الحكاية، وهذه الحكايات كثيرة ومتنوعية فالحكاية التي تستخدم المثل تقصد التربية والتوعية وهذا دور إيجابي للحكاية.

---

(١) فاطمة عبد الله غندور، **يا حجاركم يا مجاركم**، ط١، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ٢٠٠٥، ص٦.

(٢) أحمد الطيب العلج، **الحكاية الشعبية ودورها في تقويم السلوك**، مرجع سابق، ص١٦٧.

(٣) المرجع ذاته، ص١٦٩.

وتتميز الحكايات المغربية أيضاً بالجدية، الذي هو الغالب عليها لكنها لا تخلو من الدعابة والتسلية والفكاهة، حيث قدمت الحكايات صوراً من العجائب الباعثة على الضحك، فقد تميزت الحكاية المغربية بغناها وتنوعها وصيغها الواقعية والخيالية بكل عفوية وبساطة.

أما الحكاية الشعبية في الجزائر فهي ذات معنى خاص تتخذ مادتها من الواقع النفسي والاجتماعي، ولا تعنى بالعبارات النمطية التي تسبق الحكي ولا تتقيد بوقت معين تروي فيه، ولا تتطلب جمهوراً كبيراً فيكفي أن يستمع لها شخص واحد في أي زمان ومكان يرويها جميع الناس، وتركز الحكاية الجزائرية على الحدث في حد ذاته، ولا تمثل الشخصية بالنسبة لها إلا أداة يتحقق من خلالها الحدث(١).

فقد تناولت الحكايات السلطة والمال وطبيعة الحكم، واعتنت بدور السحر في تحويل المصير البشري، وتهتم الحكايات بالأخلاق وعلاقة الأفراد داخل المجتمع، وتنتهي بمغزى أخلاقي يقصد به التربية والإرشاد للسلوك القويم الذي تتطلبه حياة الجماعة البشرية، فالحكايات الشعبية في الجزائر جاءت متنوعة بين حكايات اجتماعية ومرحة وحكايات الحيوان، ومن حكايات الحيوان حكاية الذئب والقنفذ حيث لا تبتدئ الحكاية بمقدمة طويلة، وتبدأ بالأحداث مباشرة وهدفها إظهار مكر الذئب بالرغم من مصادقة القنفذ له وإخلاصه له(٢).

أما عن الحكايات الشعبية في السودان، فهي تعد صورة للمجتمع ومقوماته المعنوية وصورة للطموحات والقيم والأهداف التي يسعى لتحقيقها، فهي تهدف لغاية تثقيفية ووظيفة الإمتاع والتسلية وتعكس الحكايات السودانية التصورات والمعتقدات السائدة، بالإضافة إلى كثير من الأساطير، فالحكايات الشعبية السودانية جاءت متنوعة وغنية بالموضوعات، فهي تصور أحلام الفقراء وكسر الحواجز الطبيعية، بالإضافة لأنها تظهر عدالة الطبيعة في تحقيق العدل.

والحكاية السودانية تؤدي وظائف عديدة أهمها المحافظة على الكيان المعنوي للمجتمع، ولا تهتم الحكايات السودانية بشكل كبير بالمقدمات، فتركيزها الأكبر على مضمون الحكاية وهدفها إظهار المعتقدات والأفكار والأساطير الدارجة في المجتمع(٣).

وفي اليمن العربي تنفرد حكايته الشعبية بسمات تميزها عن حكايات الشعب العربي في المناطق الأخرى في بلورتها لطبيعة البيئة الاجتماعية، فهي تتميز بالبساطة والعراقة، وكذلك تبدأ الحكايات باستهلالات كقولهم: "كان في واحد" أو "عاش في قديم الزمان واحد"، وهكذا، حيث

---

(١) عبد الحميد بورايو، **الأدب الشعبي الجزائري**، دار القصبة للنشر، الجزائر، ٢٠٠٧، ص١٨٦.

(٢) المرجع ذاته، ص٢٠٠.

(٣) عز الدين اسماعيل، **القصص الشعبي في السودان**، مرجع سابق، ص١٧١.

يقصد بها جذب المستمعين وتشويقهم للحكاية وتذكيرهم مع كل حدث بالله وبالرسول عليه السلام وآل البيت، وهناك عبارات في وسط الحكاية ونهايتها بالإضافة إلى كلمات السجع، مما يجعل القارئ والمستمع يقفون أمام جمال هذه العبارات كما أن هناك خيال شاطح يسري في بنيتها[١].

وتتميز الحكايات اليمنية بأنها تحمل بعض الوقائع الغريبة، أي أن بعضها بعيدة عن النكهة المحلية بالنسبة للأسماء والعناوين، مثل العنوان في حكاية "بنت الصين الصين"[٢]، وربما يعود السبب هو الهجرات الهندية المتوالية للهند، وهذا الشيء لا نجده في حكاياتنا الشعبية، ونجد العكس في بعض الحكايات حيث تتشابه مع حكايات عربية شعبية مثل حكاية "وريقة حناء"[٣]، التي تقع تحت رحمة زوجة الأب الشريرة التي تكره وريقة الحناء، وتوكلها الأعمال الشاقة ولكنها تهرب وتعيش في قصر وتتزوج الأمير، فهذه الحكاية متشابهة لحد ما في حكاياتنا الشعبية "الملكة حمده"[٤]، والحكايات اليمنية الشعبية لا تدخل في التفاصيل حيث يتم سرد الأحداث بتسلسل سريع للوصول إلى الغاية النهائية من الحكاية، وهذا يترك في الحكاية ثغرات ليغذيها المستمع بخياله.

وهذه هي حكايات اليمن، أما عن حكايات الكويت الشعبية حيث لا تختلف كثيراً عن الحكايات الشعبية العربية في البدء بالصلاة على النبي، ولكن على الأغلب يكون رواة الحكايات الشعبية من النساء أكثر من الرجال خاصة في مجالس السمر للنساء والاطفال، وبعد المقدمة يبدأ الراوي بتقديم أبطال وأحداث حكايته، وتقوم الحكاية الشعبية على بطل واحد رئيسي يتكون حوله أو معه أبطال مساعدون يساعدون في تشكيل شخوص وأحداث الحكاية والأبطال، إما قد يكونون من عالم الإنس أو عالم الجان أو الحيوان فهناك تنوع كبير في الحكايات الشعبية الكويتية على الرغم من ثبات عناصر الحكاية[٥].

ولا تختلف الحكايات في الجمهورية العربية السورية عما هي عليه في الدول الغربية الأخرى، فقد كانت النساء يقمن برواية الحكايات في مجالس السهر وكذلك الرجال، وتنقسم الحكايات في سوريا إلى قسمين: البيئة البدوية والبيئة الحضرية حيث تنماز حكايات كل من القسمين عن القسم الآخر ولكن مجتمع الحكايات لا يقتصر على الطبقات الدنيا بل يشمل طبقات

---

(١) أروى عثمان، **السردية الشعبية اليمنية**، ط١، بيت الموروث الشعبي، صنعاء، اليمن، ٢٠٠٥، ص٤.

(٢) المرجع السابق، ص٦.

(٣) أروى عثمان، **السردية الشعبية اليمنية**، مرجع سابق، ص٧.

(٤) انظر ملحق الحكايات، ص١١٠

(٥) صفوق كمال، **الحكايات الشعبية الكويتية**، ط١، وزارة الإعلام، مركز رعاية الفنون الشعبية، الكويت، ١٩٨٥، ص٣٢٣.

المجتمع العليا كافة، فالحكايات نتاج لعبقرية شعبية مجهولة، والحكايات في سوريا لها طقوس أيضاً فلا يتم روايتها إلا ليلاً، ويبدأ الراوي حكايته بالمسجوعات أو ما يسمونها بـ(البسط) لتبسط أذهان المستمعين، لترقب الحكاية بلهفة وشوق وهو ما يسمونه في المدن السورية دهاليز[(١)].

وتعالج الحكايات في سوريا أخلاق المجتمع وهنا تنشأ الفكرة التربوية الموجهة للأحداث، حيث تسعى في النهائية إلى تحقيق المثل الأعلى الذي يسعى الطفل لتحقيقه، وهناك الكثير من الحكايات التي عالجت أخلاق المجتمع مثل حكاية "نية الملك"، وحكاية "الحماة والكنة"[(٢)]، التي تتشابه في معالجتها للغيرة لعدد من حكاياتنا الشعبية كحكاية "بقرة اليتامى" و"حمدة ومحمد"، وتتميز الحكايات الشعبية السورية أن أبطالها وشخوصها تبدو وكأنها بلا أسماء، وذلك لأنها نماذج متكررة في أكثر الحكايات.

أما عن الحكاية الشعبية الفلسطينية فتستطيع القول أنها تعويض عن عدم مقدرة الإنسان على تحقيق رغبات من الصعب عليه تحقيقها، فالحكاية هنا جاءت تعويضاً عن الجوع وعن العجز أمام المرض العضال، وعن الانسحاق أمام المضطهد، ونجد أيضاً المغزى الأخلاقي والمعنى الفلسفي يبرز ويطفو فوق الأحداث في الحكاية، حتى أن ذلك يظهر من خلال عنوانها، وتتفق جميع الحكايات في نهايتها أن تكون مفرحة بحيث أن البطل في النهاية يحقق أهدافه كافة، ويغلب على الحكايات العنصر الخرافي أو الأسطورة، وذلك للخروج من الواقع.

فالحكاية الشعبية الفلسطينية تتسم بعراقتها، والاستهلال التقليدي (كان يا ما كان)، بالإضافة إلى عبارات الوسط وهي عبارات المودة والمجاملة من الراوي للمستمعين، وعبارات في النهاية تظهر أثر التشرد والنكبة كقولهم "يجمع شملنا في بلادنا"، وتتشابه الحكايات في الضفة الغربية مع حكاياتنا الشعبية حتى في عناوين بعض الحكايات وأحداثها كحكاية "نص انصيص" و"الشاطر محمد" و"الشاطر حسن" و"الحماة والكنة"[(٣)].

حيث نجد العناصر نفسها متكررة هنا وهناك وتشابه في الأبطال والشخصيات الأخرى والأحداث والنهاية المتوقعة، ولا غرابة في هذا التشابه والتكرار لأن التراث واحد واللغة واحدة والقيم والمبادئ واحدة، بالرغم من اختلافات بسيطة تخلقها البيئة والظروف المحيطة، والتشابه أيضاً يكمن داخل بيئتنا الشعبية الأردنية، فالبدايات واحدة مع وجود تأثيرات بيئة معينة ومعتقدات وعادات ميعنة، وكذلك النهايات السعيدة في الغالب حيث تأتي العبارات المتفائلة في نهاية

---

(١) أحمد بسام ساعي، **الحكايات الشعبية في اللاذقية**، مرجع سابق، ص٣٣.

(٢) المرجع السابق، ص١١٩

(٣) جهاد أحمد دكور، **حكايات الجليل**، ط١، لبنان، صور، ٢٠٠٦، ص٦٠٣.

الحكاية، لإعلان نهايتها بالإضافة إلى بساطة الحكايات وأيضاً تأتي تلك العبارات الشعبية التي تختلف من بيئة لأخرى، مثل "الله يمسيكم بالخير"، "توته توته خلصت الحدوته"، وعبارات عدة في ثنايا الحكايات.

وحكاياتنا الشعبية مكشوفة المضمون وذلك من خلال عنوانها ولا يتم تحديد المكان والزمان فيها أي ما يسمى بظاهرة التجهيل والتعميم، والملاحظ في الحكايات الشعبية هنا التركيز الواضح على المرأة والغول في حكايات محافظة معان تركيز واضح على هذين الموضوعين، حيث نجد حكاية "بقرة اليتامى" وهي حكاية منتشرة ومتداولة في محافظة المفرق، ومتشابهتان من حيث الموضوع والأحداث والأبطال بالرغم من أن البداية في محافظة معان جاءت "إنه فيه ولد وبنت يتيمان"(١)، بينما في المفرق تبدأ بالاستهلال التقليدي "كان يا ما كان"، والنهاية واحدة في كلا الحكايتين.

وبنية الحكايات الشعبية في البيئات الأردنية جميعها بسيطة ليس فيها تعقيد، وتتسلسل الأحداث في أسلوبها بنمط واضح ولكل بيئة لها طابعها الخاص بها، فالبيئة في المفرق صحراوية عشائرية لها عادات وتقاليد معينة انعكست على فكرها وحكاياتها وأدبها.

وبساطة الحكايات الشعبية في بيئتنا تتمثل أيضاً في أن الراوي يسعى من خلال حكاياته إلى الوصول إلى الهدف بسرعة وإيجاز دون أن يقيم وزناً للصعوبات التي تكتنف تحقيق الفعل المراد إنجازه، فالبطل في حكاياتنا يجتاز المخاطر والصعوبات بكل بساطة ونجد ذلك في حكايات كثيرة كحكاية "الشاطر محمد"(٢).

وتتشابه الحكايات الشعبية في البيئات الأردنية بأنها تزخر بالعبارات اللغوية الشعبية والأمثال الشعبية والنابعة من الواقع اليومي المعاش، مما جعل للحكايات الشعبية الأردنية مذاق خاصاً مميزاً وما جعلها أيضاً في حركة دائبة مستمرة بين الأفواه والألسنة التي تتناقلها بالرواية في كل وقت وزمان ومكان.

وتتسم الحكايات الشعبية الأردنية بالأسلوب الساخر وإظهار الظلم والقهر، وإثبات أن الأهداف السامية لا تتحقق إلا بالتضحيات الكبيرة والبذل.

فالحكايات المرحة الشعبية في جميع البيئات الأردنية سريعة وبسيطة الحبكة، وأغلب الحكايات في الأردن تدور حول المرأة ومكائدها وحول الغول والضبع.

---

(١) طه الهباهبة، **الحكاية الشعبية في محافظة معان**، مرجع سابق، ص١٩٨.

(٢) انظر ملحق الحكايات الشعبية، ص١١٩

ففي حكاية "بقرة اليتامى" أو كما تدعى في محافظة المفرق "حمده ومحمد" نجـد الحكايـة نفسها متداولة في جميع الأنحاء الأردنية، ففي معان تدعى بقرة اليتامى فلا تختلف عن الحكايـة المتداولة في المفرق فالأحداث نفسها والشخوص هم أنفسهم لا يختلفـون بـأي صـفة،والنهاية متشابهة وكذلك الحبكة واحدة والنهاية متفائلة، كما هو الحال في أغلـب الحكايـات الـشعبية، فالتشابه كبير والاختلاف يكاد يزول بين حكاياتنا الشعبية فكفى بالمشاعر الدينيـة والاجتماعيـة والعربية موحدة للماضي والحاضر والمستقبل في جميع بلادنا العربية.

الخاتمة

في هذه الوقفة الختامية لا بد من القول إن هذه الحكايات الشعبية التي بين أيدينا ليست مجرد حكايات، وإنما هي مدارس تربي الأبناء وتعلمهم وتطلعهم على مآثر الأجداد، وتغرس في نفوسهم فضائل الشجاعة والكرامة، وتشحذ الفطنة وتوقد الذكاء، وتنشئهم على حب البطولة والخير، والوقوف في وجه الشر والتواضع والمروءة ومقاومة المعتدي، وتزرع في النفس حب الأرض، والعمل الشريف وقيم الأمانة والإخلاص والوفاء.

وقد جاءت تلك الحكاية خلاصة عمل ميداني استمر وقتاً لا بأس به جمعت فيها كماً من الحكايات من أفواه المسنين والمسنات وتدوينها ودراستها وتحليلها واستخراج مضامينها ووظائفها المختلفة في مجتمع محافظة المفرق، ولم يخلو الأمر من صعوبات اعترضت العمل والبحث والتدوين من سخرية بعض الناس من ماهية الجمع والبحث، وصعوبة الحصول على رواة ذوي ذاكرة جيدة وصعوبة الوصول إليهم في بعض الأحيان لوجودهم في مناطق بعيدة.

جاءت الحكاية الشعبية في محافظة المفرق متنوعة من حيث الموضوعات والأغراض، لقد جاءت لتلبي حاجات الناس الأساسية، والدليل هو استمرارها إلى يومنا هذا وانتقالها من جيل إلى جيل، وزخرت الحكايات بكثير من الأحداث والموضوعات منها ما حدث بالفعل ومنها ما كان تعبير عن الرغبات المكبوتة والآمال المحبطة والميول العدوانية فالحكاية الشعبية تدور داخل المجتمع بحركة دائرية فتنتقل من الكبار إلى الصغار ومن راوٍ إلى راوٍ آخر ومن مكان إلى مكان.

ولكن كثيراً ترجع الحكاية الشعبية في محافظة المفرق بأصولها كغيرها من الحكايات الشعبية لأساطير معينة، فكثير من الحكايات ارتبطت بأساطير مختلفة كأسطورة الغول. وتحديد الأصول بشكل تام يحتاج إلى جهود علمية وعمل مكثف وواسع.

تنوعت مصادر الحكاية الشعبية، وقد كان الشعب من المصادر الهامة للحكاية الشعبية، فقد أخذت الحكاية من المثقف والمتعلم والأمي والمسن وربة البيت والعجوز، بالإضافة إلى مصادر أخرى هامة.

كشفت الدراسة عن سمات واضحة للحكاية الشعبية، فهذه السمات الفنية تكاد تتكرر في كل حكاية، مما جعلها مرنة متطورة قابلة للانتشار في كل مكان وزمان فقد جاءت الحكاية الشعبية بناءاً فنياً خاصاً ينطوي على جملة من المتغيرات والثوابت فالاستهلال ثابت في جميع الحكايات وله أهمية كبيرة، فهو يدخل المستمع في جو الحكاية، وللحكاية حبكة واضحة تفيض إلى لحظة التنوير المناسبة للحكاية، وتنطوي الحكاية الشعبية على شخصية رئيسية هي البطل الذي يقود

الأحداث لصالحه ولتحقيق هدفه في نهاية الحكاية، ومن المتغيرات التي تنطوي عليها الحكايات هو عنصر الزمان وا لمكان، فتكاد الحكاية تهرب من الزمان والمكان، وهذا لا ينـدرج علـى جميع الحكايات.

تتأثر لغة الحكاية الشعبية بمستوى ثقافة الراوي وخبرته وقدراته، لأن الـراوي يحـرص على أن تأتي الحكاية مناسبة للمستمعين، فأسلوب الحكاية هو أسلوب السرد القصصي مع اللجوء للحوار البسيط بين الحين والآخر، وتسلسل الأحداث في الحكاية الشعبية بخط مستقيم يبتعد عـن التعقيد في الأغلب.

وقد كشفت الدراسة أن الحكاية الشعبية في محافظة المفرق تشترك في بعـض أفكارهـا وأحداثها وأبطالها مع حكايات أخرى في المحافظات الأردنية الأخرى وبعض الأقطار العربية، ولا غرابة في التشابه لأن اللغة واحدة والمبادئ الإسلامية واحدة.

هذه الحكايات الواردة في الملحق ما هي إلا حلقة متواضعة في التراث العربية الـضخم، وما هي إلا زاد بسيط يقدم للباحثن والدارسين في التراث الشعبي.

وأخيراً قد لا تسمو هذه الدراسة عن النقص في مواضع، والتعثر في مواضـع أخـرى، فالدراسات الشعبية تتسم بالمشقة، ولا يعرف ذلك إلا من خاض لجتها، فحسبي بهذه الدراسة لبنة أبنيها في البناء الفولكلوري الأردني، فكل ما آمله أن تكون هذه الدراسة أجابت عن الأسئلة التي تعترض الدارس في مثل هذه الموضوعات، وأن تكون قد أثارت أسئلة أخـرى والله مـن وراء القصد.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

أولاً: المصادر

- **نصوص الحكايات المدروسة**

١- أبو الحصين.

٢- أبو قرن وقرنين.

٣- البخيل.

٤- الحمامة والفخ.

٥- الخاتم.

٦- الجدي.

٧- الجرة.

٨- الراعي والجنية.

٩- الشاطر محمد.

١٠- الشاطر محمد وأخوته الستة.

١١- الشيخ الكريم.

١٢- الغراب وأبو الحصين.

١٣- الغولة حسنه.

١٤- المغربي وابن طلفاح.

١٥- الملكة حمده.

١٦- النصيب.

١٧- بدر البدور.

١٨- بقرة اليتامى.

١٩- بنت البيت.

٢٠- بياض الثلج.

٢١- حمده ومحمد.

٢٢- حميمصية.

٢٣- رحلة حسن.

٢٤- سم سم.

٢٥- شباط والعجوز.

٢٦- عرموشه وزوجها.

٢٧- عقوبة السارق.

٢٨- غزوة نواف.

٢٩- كنز الأرض.

٣٠- ليله مزهزهة.

٣١- مسكه.

٣٢- من عرق الجبين.

٣٣- مي والغولة.

٣٤- نص انصيص.

الكتب:

٣٥- ابن منظور، **لسان العرب**، تحقيق: علي شيري، ج٣، ط١، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٨.

٣٦- أحمد الطيب العلج، **الحكاية الشعبية ودورها في تقويم السلوك**، د.ط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ٢٠٠٥.

٣٧- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**، تحقيق: علي عبد الوافي، ج١، ط٣، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د.ت.

ثانياً: المراجع:

أ- الكتب:

٣٨- إبراهيم خليل، **النقد الأدبي الحديث**، ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ٢٠٠٣.

٣٩- أحمد رشدي صالح، **الأدب الشعبي**، ط٣، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧١.

٤٠- أحمد زياد محبك، **من التراث الشعبي**، ط١، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ٢٠٠٥.

٤١- أحمد صادق، الجمال، **الأدب العامي في مصر**، د.ط، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٦.

٤٢- أروى عثمان، **السردية الشعبية الكويتية**، ط١، بيت الموروث الشعبي، صنعاء، اليمن، ٢٠٠٥.

٤٣- أمل سالم عواودة، محمد عبد الكريم محافظة، **صورة المرأة في الأدب الشعبي الأردني والفلسطيني**، د.ط، ٢٠٠٠.

٤٤- توفيق زياد، **عن الأدب والأدب الشعبي في فلسطين**، د.ط، دار العودة، بيروت، ١٩٧٠.

٤٥- جهاد أحمد دكور، **حكايات الجليل**، ط١، لبنان، صور، ٢٠٠٦.

٤٦- الحاج الباهي البويني، **مائة ليلة وليلة وحكايات أخرى**، تحقيق: شربط أحمد شريبط، ط١، المكتبة الوطنية الجزائرية، الحامه، الجزائر، ٢٠٠٥.

- خليل إبراهيم حسونة:

٤٧- **الفولكلور الفلسطيني، دلالات وملامح**، ط١، المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي، ٢٠٠٣.

٤٨- **المثل الشعبي في ليبيا وفلسطين**، ط١، دار ابن خلدون للنشر والتوزيع، غزة، فلسطين، ٢٠٠٣.

٤٩- داوود سلوم، **أبحاث في التراث الشعبي**، د.ط، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ١٩٨٦.

٥٠- رشدي الأشهب، **الحكايات والأساطير الشعبية في الخليل**، د.ط، جمعية الدراسات العربية، القدس، د.ت.

٥١- سعد العبد الله الصويان، **جمع المأثورات الشفهية**، ط١، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، ١٩٨٥.

٥٢- سعيد يقطين، قال الراوي، **البنيات الحكائية في السيرة الشعبية**، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٧.

٥٣- سلطان طريخم المذهن، **موسوعة محافظة المفرق**، ط١، دائرة المطبوعات والنشر، عمان، ٢٠٠١.

- شوقي عبد الحكيم:

٥٤- **الحكايات الشعبية العربية**، ط١، دار ابن خلدون، بيروت، ١٩٨٠.

٥٥- **موسوعة الفولكلور والأساطير العربية**، د.ط، مطبعة أطلس، القاهرة، د.ت.

٥٦- صفوت كمال، **الحكايات الشعبية الكويتية**، ط١، وزارة الإعلام، مركز رعاية الفنون الشعبية، الكويت، ١٩٨٥.

٥٧- ضياء الكعبي، **السرد العربي القديم**، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥.

٥٨- طه الهباهبة، **الحكاية الشعبية في محافظة معان**، ط١، دار الينابيع للنشر، عمان، ١٩٨٨.

٥٩- عالية محمود صالح، **البناء السردي في روايات الياس خوري**، ط١، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٥.

٦٠- عبد الحميد حواس، **أوراق في الثقافة الشعبية**، ط١، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٣.

٦١- عبد الحميد يورايو، **الأدب الشعبي الجزائري**، دار القصبة للنشر، الجزائر، ٢٠٠٧.

- عبد الحميد يونس:

٦٢- **الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي**، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٥.

٦٣- **دفاع عن الفلكلور**، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣.

٦٤- عبد الرحمن الأبنودي، **السيرة الهلالية**، الكتاب الأول، د.ط، مطابع الأخبار، د.ت.

٦٥- عبد الرحمن سعود مسامح، **ألوان من التراث الشعبي**، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠١.

٦٦- عبد اللطيف البرغوثي، **حكايات جان من بني زيد**، ط١، مطبعة المعارف، القدس، ١٩٧٩.

٦٧- عبد الله محمد المحسن، **تداعي الواقع في الحكايات**، د.ط، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٥.

٦٨- عبد المحادين، **جدلية المكان والزمان في الرواية الخليجية**، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠١.

٦٩- عز الدين إسماعيل، **القصص الشعبي في السودان**، د.ط، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، د.ت.

٧٠- علي الوردي، **أسطورة الأدب الرفيع**، ط٢، دار كوفان، لندن، ١٩٩٤.

٧١- عمر الساريسي، إبراهيم عبد الهادي، **حكايات شعبية من فلسطين والأردن**، د.ط، دار الينابيع للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٢.

٧٢- عوض سعود عوض، **دراسات في الفولكلور الفلسطيني**، د.ط، منظمة التحرير الفلسطينية، دائرة الإعلام والثقافة، د.ت.

٧٣- عيسى جراجرة، **عشق حتى الموت**، د.ط، دائرة الثقافة والفنون، عمان، الأردن، ١٩٨٥.

٧٤- غسان الحسن، **الحكاية الخرافية في ضفتي الأردن**، ط٧، دار الجليل للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٨٨.

٧٥- فاطمة عبد الله غندور، **يا حجاركم يا مجاركم**، ط١، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ٢٠٠٥.

٧٦- فايز علي الغول، **أساطير من بلادي**، د.ط، جمعية عمال المطابع الأردنية التعاونية، عمان، د.ت.

٧٧- فهد حسين، **المكان في الرواية البحرينية**، ط١، فراديس للنشر والتوزيع، البحرين، ٢٠٠٣.

٧٨- محمد بدوي، **الرواية الجديدة في مصر**، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع، بيروت، ١٩٩٣.

٧٩- المصطفى المويقن، **بنية المتخيل في نص ألف ليلة وليلة**، ط١، الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ٢٠٠٥.

- نبيلة إبراهيم:

٨٠- **أشكال التعبير في الأدب الشعبي**، ط٣، مكتبة غريب، الفجالة، د.ت.

٨١- **قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية**، د.ط، مكتبة غريب، الفجالة، د.ت.

٨٢- نمر سرحان، **الحكاية الشعبية الفلسطينية**، د.ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٤.

٨٣- هاني العمد، **الأدب الشعبي في الأردن**، د.ط، لجنة تاريخ الأردن، د.ت.

٨٤- يوسف أمين قصير، **الحكاية والإنسان**، د.ط، وزارة الإعلام العراقية، ١٩٧٠.

ب- الكتب المترجمة:

٨٥- برونو بتلهايم، **التحليل النفسي للحكايات الشعبية**، ترجمة: طلال حرب، دار المروج للطباعة والنشر، ١٩٨٥.

٨٦- فريدرسن فون ديرلاين، **الحكاية الخرافية**، ترجمة: نبيلة إبراهيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٦٥.

ج- الرسائل الجامعية:

٨٧- أحمد بسام ساعي، **الحكاية الشعبية في اللاذقية**، رسالة دكتوراه (منشورة)، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧١.

٨٨- عمر عبد الرحمن الساريسي، **الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني**، رسالة ماجستير (منشورة)، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨١.

ملحق نصوص

الحكايات الشعبية

حكايات الواقع الاجتماعي

(من عرق الجبين)[١]

كان يا ما كان في قديم الزمان رجل ميسور الحال له ولد وحيد وقد بالغت أمه في تدليلـــه والخوف عليه، حتى كبر وأصبح شاباً لا يتقن أي عمل ولا يجيد سوى صرف المال الذي تعطيه إياه أمه من وراء والده، وفي أحد الأيام نادى الوالد ولده وقال: "لقد كبرت وصرت شاباً ويمكنك الاعتماد على نفسك وتحصيل قوتك"، فتفاجئ الولد بكلام أبيه؛ لأنه لا يتقن أي عمل، فطلب منه والده أن يذهب ويعمل ولا يعود إلى ومعه دينارٌ ذهب، فخرج ولحقت به أمه وأعطته مالاً ليعود به لوالده بعد فترة، وبالفعل ذهب وعاد بالمال لوالده وأعطاه المال، فنظر والده إليه ورمى المال بالنار، فقال "ليس هذا هو المال الذي طلبته منك، اذهب وأحضر مالاً"، وبالفعل خرج الولد فـــي اليوم التالي، وقبل أن يخرج أسرعت إليه أمه وأعطته مالاً آخر، فخرج وغاب يـــومين وعـــاد بالمال الذي أعطته إياه أمه، ومرة أخرى ألقى الوالد المال بالنار، ولم يتكلم الوالد، وفـــي اليـــوم التالي خرج الولد دون أن تراه أمه وغاب مدةً طويلةً إلى أن عاد ومعه مالٌ قليلٌ، وأقبل علـــى والده، فنظر الوالد للمال وأراد أن يلقيه بالنار، فأسرع الولد وخاف على المال، وقال: أنه مـــن عرق جبيني فابتسم الأب على لهفة ابنه لماله وعانق ابنه وقال: "الآن أصبحت رجلاً وتـــستطيع الاعتماد على نفسك، لأنك خفت على ثمرة تعبك من الضياع.

---

(١) الراوي: سعد سليمان الناصر، العمر ٨٠ سنة، المكان: الحمراء – المفرق، سجلت بتاريخ: ٢٠٠٧/١٠/١٣، مقابلة شخصية.

(أبو قرن وقرنين)[١]

كان يا ما كان فيه أب وأم ولهم ابنتان، وفي أحد الأيام جـاء البنـت الكبيـرة نـصيبها، فتزوجت وسافرت مع زوجها، وبعد فترة سافر زوجها وعادت البنت لبيت أهلها، وطلبت مـن والدها أن يجعل أختها تذهب معها إلى بيتها حتى عودة زوجها من السفر، ولما رجـع زوجهـا طلبت من اختها أن ترجع لأهلها، فقالت: "كيف أذهب في هذا الليل المظلم؟ أنا خائفة"، فطلبـت من أختها أن تنام عند الجيران فرفضت طلبها، فاضطرت إلى السير ليلاً، وكان الطريق طويلاً جداً وعندما اصبحت في منتصف الطريق سمعت صوتاً فصعدت إلى شجرةٍ عاليةٍ، فرأت حيواناً كبيراً يدعى (أبو قرن وقرنين)، فقال: إني أشم رائحة إنسان، وطلب منها أن تنزل قبل أن يصعد الشجرة، فقالت: سوف أنزل لكن بشرط أن أصيح ثلاث صيحات، واحدة لوالدي والثانية لأمـي والثالثة لأختي، فصاحت وقالت: يا أبي أبو قرن وقرنين أكلني وعندما سمع أبوها صوتها قـال لأمها: هذا صوت بنتنا، فقالت: نام لأنه بنتك عند أختها، ثم صاحت لأمها وقالت: يا أمـي أبـو قرن وقرنين أكلني، فقالت أمها: هذا صوت ابنتي، فقال الأب: نامي لأنه بنتك عند أختهـا، ثـم صاحت لأختها، وقالت: يا أختي أبو قرن وقرنين أكلني، فقالت أختها: هذا صوت أختي، فقـال زوجها: أختك عند أهلها، وبعد ذلك أكلها أبو قرن وقرنين.

وفي الصباح ذهبت الأم إلى البئر لتحضر الماء، وعنـدما وصـلت رأت ثيـاب ابنتهـا وعظامها، فأصبحت تبكي وتصيح بأعلى صوتها على ابنتها، وبعد مدة طويلـة زارت البنـت المتزوجة أهلها بعدما أنجبت ولداً، وعندما وصلت سألت عن أختها فقالت الأم أنها ذهبـت مـع صديقاتها للمزرعة، وسألت عن أبوها، فقالت أنه في العمل، ولكنها كانت تكذب على ابنتها فقـد قتلت الأم زوجها، لأنها عندما قالت هذا صوت ابنتي، قال لها: إنها عند أختها.

فقالت البنت لأمها: سوف أذهب إلى عند أختي في المزرعة، ولكن سأدع ابني عندك يـا أمي، فوافقت الأم، وبعدها قامت بقتل الولد وطبخه، وأحضرت قطة صغيرة وألبـستها ملابـس الولد، وكحلتها ووضعتها في مكانه، وعندما عادت البنت أخبرت الأم أنها لم تجد أختهـا فـي المزرعة، فقالت الأم إنها قد تكون ذهبت مع صديقاتها لمكان آخر، فطلبت البنـت مـن أمهـا طعاماً، فأحضرت الأم الطعام الذي طبخته من لحم ولدها، فتناولت البنت الطعام، وعندما سمعت صوت القطة ظنت أن ابنها جائع فحملته ورأته فإنه قطة، فسألت عن ابنهـا، فقالـت الأم: لقـد ذبحته وأكلتيه أنتي، فصاحب البنت وقالت: لماذا فعلتِ ذلك، فقالت الأم: لأنـك قتلـت أختـك وأبوكِ.

---

(١) الراوي: صيتة محمد النعيمي، العمر ٣٥ سنة، المكان: المنصورة – المفرق، سجلت بتاريخ: ٢٠٠٧/٩/٣، مقابلة شخصية.

(بياض الثلج) [١]

كان يا ما كان في قديم الزمان يوجد ملك وعنده فتاة اسمها بياض الثلج، وكان لهذه الفتاة زوجة أب، وكانت الزوجة تغار من بياض الثلج فأرادت التخلص منها، فأمرت أحد الحراس أن يأخذها إلى مكان بعيد ويقتلها، ولكن الحارس لم ينفذ ما طلبت منه، فوضعها في مكان بعيد وتركها ورجع إلى الملكة، وأخبرها أنه قتلها، وكان عند هذه الملكة مرآة سحرية، فذهبت إليها وسألتها: من هي أجمل امرأة في العالم؟ فقالت: أنتي جميلة ولكن بياض الثلج أجمل فتاة في هذا العالم، فغضبت الملكة وذهبت للحارس، وسألته: ألم تقتل بياض الثلج، فقال لها: لا، فقالت: سوف أقتلها بنفسي، فجعلت نفسها بائعة ملابس وذهبت إليها، فوجدتها في كوخ تسكن فيه مع مجموعة من الأقزام، ولكنهم كانوا في العمل فصاحت الملكة فقالت: أنا بائعة أحزمه، من يشتري أحزمة مني؟ فسمعت بياض الثلج صوتها فنادت عليها وقالت: أنا أشتري تعالي هنا: فأخذت حزاماً وربطته على بطنها، وشدته حتى وقعت على الأرض من الألم، فظنت الملكة أنها ماتت فذهبت مسرعة، ولما وصلت للقصر، سألت المرآة: من هي أجمل فتاة؟، فقالت أنتِ أجمل امرأة، ولكن بياض الثلج هي الأجمل لأنها لم تمت، وعندما جاء الأقزام أنقذوها وطلبوا منها أن لا تفتح الباب لأحد، لكن الملكة أصرت على قتلها ورجعت للغابة، وتظاهرت بأنها بائعة تفاح لكن هذا التفاح كان مسموماً، وعندما سمعت بياض الثلج صوتها خافت ولم تفتح الباب، لكن الملكة أصرت على دق الباب، وقالت: لا تفتحي الباب فقط خذي هذه التفاحة وتذوقيها، وعندما عاد الأقزام وجدوا بياض الثلج مستلقية على الأرض، فظنوا أنها ميتة فأخذوها في تابوت زجاجي لكي يدفنوها، فوجدهم أمير وأخذهم لقصره لكي يعالج بياض الثلج، وبعد أن عادت لصحتها، تزوجها الأمير وعاشت معه ولكن الملكة سألت مرة أخرى المرآة: من هي أجمل فتاة، فقالت المرآة: بياض الثلج هي الأجمل، فوقعت الملكة على الأرض من شدة غيظها وماتت.

---

(١) الراوي: نهلة الجنيدي، العمر ٤٣ سنة، المكان: المنصورة – المفرق، سجلت بتاريخ ٢٠٠٧/٥/٢٣، مقابلة شخصية.

(الخاتم)(١)

كان يا ما كان في قديم الزمان صياد سمك وابنه، وقد اصطاد الأب سمكة كبيرة جداً وعندما وضعها في مكان على الأرض، ذهب ليحضر سكيناً ليقطع السمكة لكن ابنه غفل عنها، فقفزت للبحر، وعندما عاد الصياد سأل ابنه عن السمكة فقال: إنها أصبحت في البحر، فغضب الصياد وقام بضرب ابنه، فحزن الابن لما فعله والده به فذهب في طريقه وترك والده، فرأى قطة تلد فأخذ ما ولدته، ورأى فأراً تلد فأخذ ولدها، ورأى كلبة تلد فأخذ الجرو منها، فكبر الجرو والقطة والفأر، وأصبح يأخذهم معه أينما ذهب، وأثناء سيره وجد فتاة فأعطته خاتماً كهدية، وفي أ؛د المرات قام بالمسح على الخاتم فخرج له مارد وقال له اطلب ما تريد، فطلب طعاماً، ومشى فلقي رؤوساً معلقة فسأل الحارس: لماذا هذه الرؤوس معلقة، فقال الحارس: هناك ملك يسكن في القصر وراء هذا الجبل، وهذا الملك يقطع رأس كل من يقوم بإزاحة الجبل عن القصر ولا يستطيع، وهذا الملك يقول إن الذي يزيح الجبل سيتزوج ابنته، فقال: سأذهب للملك وسأقول له سأزيح الجبل، فذهب ففرح الملك، فقام بإزاحة الجبل عن طريق المارد ففرح الملك و زوجه من ابنته، فسمع ملك البلد المجاورة فجاء للبلد ورأى عجوزاً، وطلب منها أن تذهب لابنة الملك وتقنعها بأنها إذا أخذت الخاتم منه فهو يحبها، فأعطاها الخاتم وأخذته العجوز منها، فأخذه ملك البلاد المجاورة وخرج له المارد فقال للملك: اطلب ما تريد، فطلب أن يرجع الجبل مكانه، فأرجع الجبل لمكانه، فخرج الرجل ومعه القطة والفأر والكلب لكي يرجعوا الخاتم، وعندما وصلوا للملك وجدوه يضع الخاتم في فمه فجاء الفأر ووضع ذيله في أنف الملك فعطس، فخرج الخاتم من فمه وأخذته القطة، فأخرج الرجل المارد وطلب منه أن يزيح الجبل ويكتف الملك ويربطه ويرجع الرجل إلى عروسة.

---

(١) الراوي: أحمد البوادي، العمر ٨٠ سنة، المكان: الزعتري – المفرق، سجلت بتاريخ ٢٠٠٧/٣/٢١، مقابلة شخصية.

(بنت البيت)[1]

كان يا ما كان في قديم الزمان، عجوز يعيش هو وزوجته وابنته، ومرت الأيام وماتت الأم، وعاش العجوز هو وابنته إلى أن فكر بيوم من الأيام بالزواج، فتزوج من امرأة تغار من ابنته وصارت تفكر المرأة كيف تتخلص من البنت، فقامت بطبخ بيض أفعى وبيض حمام، وقالت للبنت المسكينة أن تأكله، فتناولته دون أن تدري بماهية الخدعة التي صنعتها زوجة أبيها، ومرت الأيام والشهور وكبر بطن البنت، واحتارت البنت ماذا تفعل؟ فقالت الزوجة الماكرة لزوجها: انظر إلى ابنتك إنها حامل فبطنها كبير، فراقبها والدها وهي تجلس في الشمس والظل، فراوده الشك، فأصبح يفكر كيف يتخلص منها، فقال لها: يا ابنتي أريد منك أن تجهزي نفسك حتى نزور أخوالك، فجهزت نفسها ورحلت مع والدها، وفي الطرق عند غروب الشمس قال الأب: سنستريح لفترة قصيرة، فنامت البنت من شدة تعبها، وتركها والدها ورجع للبيت، فلما استيقظت البنت لم تجد سوى الشجر والحجر حولها، فصارت تبكي من الخوف فمشت إلى أن وجدت مغارة فنامت فيها، إلى أن ولدت، فأنجبت حمامتين وحية وكبرت الحمامات وصارت تطير، وعند المغرب ترجع للمغارة، وكذلك الحية تبقى نائمة في المغارة، وفي إحدى الأيام طارت الحمامات إلى بيت والد الفتاة، وكانوا ينشرون القمح، فقالت المرأة للحمامات: كِشْ كِشْ، فقالت الحمامات لها: الله يكشك وينشك ياللي حبلتي بنت البيت ببيت أبوها، فسمع والد الفتاة الكلام، فقال: إن الحمام يتكلم، فقالت: لا، فأعادت الحمامات نفس الكلام، فطارت الحمامات ولحقها العجوز حتى وصل للمغارة، فرأى ابنته وصارت تبكي وقصت عليه القصة، فأخذ ابنته ورجع للبيت، وعندما رأتهم المرأة قالت: يا أرض انشقي وابلعيني، حتى انشقت الأرض وبلعتها.

---

(١) الراوي: طريفة بركات الفهيد، العمر ٥٣ سنة، المكان: رباع السرحان – المفرق، سجلت بتاريخ ٢٠٠٧/٣/١٧، مقابلة شخصية.

(كنز الأرض)[١]

كان يا ما كان في قديم الزمان رجل يدعى أبو علي، يعيش في الصحراء هو وزوجته وأولاده الثلاثة علي وأحمد ومحمد، وكان أبو علي يعشق الأرض كثيراً، فكان يزرعها ويأكل من خيراتها، ولكن عندما كبر أولاده أرادوا العيش في المدينة، لكن أبو علي في ذلك الحين أصبح غير قادر على العناية بالأرض لوحده، وعندما سمع كلام أولاده مرض في الفراش، فبعد إصرارهم على ترك الأرض والهجرة للمدينة، طلبهم للحديث، وقال لهم سراً، وهو أنه يوجد في الأرض كنز، ففرح الأبناء، وراحوا يحفرون الأرض بحثاً عن الكنز، فحفروا الأرض كاملة، لكنهم لم يجدوا شيئاً فرجعوا لوالدهم، وأخبروه بما جرى، قال أبو علي: أنتم من أجل المال حفرتم الأرض لذا ازرعوها أفضل لكم، فزرع أبناء أبو علي الأرض، فكبر الزرع، فقال لهم والدهم: اذهبوا لبيع المحصول في المدينة، وبالفعل باعوا المحصول وجنوا المال الكثير، فاقتنع الأبناء بأن الأرض كنز لا يفنى.

---

(١) الراوي: عودة غمار الحوامدة، العمر ٧٢ سنة، المكان: حي المستشفى – المفرق، سجلت بتاريخ ٢٠٠٧/١٠/١، مقابلة شخصية.

(بدر البدور)[١]

كان يا ما كان رجل متزوج من امرأتين، الأولى غالية وله منها ولدان، والأخرى له منها ولدٌ واحد، وكان عند الرجل شجرة تثمر كل سنة ففرض على جميع أولاده أن يحرسوها، فجاء الولد الأول فنام وأكلت الشجرة، وجاء الثاني فنا وأكلت الشجرة، فجاء دور الولد من المرأة الأخرى، فقامت أمه فملأت له قربة ماء، وجعلها فوق رأسه، كل ما أراد النوم أيقظه الماء، وعند آخر نقطة رأى طير فوق رأسه، فقص منه ثلاث ريشات، ووضعها في جيبه وعاد إلى أمه، وقص عليها ما حدث، وعندما وجدت في ثيابه الثلاث ريشات أخذتها لوالده، فقام الأب بجمع أولاده الثلاثة، وأعطى كل واحد منهم ريشة، وطلب منهم أن يبحثوا عن صاحبة الريشات، فذهب الأولاد الثلاث يبحثون عن صاحب الريشات الثلاث، فوجدوا غولاً وأعطوه الثلاث ريشات ليراها ويعرف صاحبها، فقال: اذهبوا لأخي أكبر من بشهر، وافهم مني بدهر، فذهبوا للأخ الكبير، وقال لهم نفس الكلام، فقد كانوا ستة أخوة، وعندما وصلوا للأخ الأكبر منهم جميعاً، قال لهم: أن يذهببوا إلى صاحبهم وهو صاحب بستاخ خرز، وفي البستان افترق الأخوة لكن أحدهم وصل لصاحب البستان وسأله عن صاحبة الريشات، فقال: إنها بدر البدور، وهي وراء سبع بحور وما أحد يصل لبدر البدور إلا بعدما يأخذ عصا الأعمى، فراح الأخ وقطع سبع بحور ولقي الأعمى، وراح لعند بدر البدور ولغى عندها كلبان فرجع وراح لعند صاحب غنم، وطلب منه أن يذبح له نعجه ليضعها في فم الكلبان، فذبحها وقسمها نصفن ووضعها في فم الكلبين، ودخل على بدر البدور ووجدها مربوطة، ففك رباطها وأخذها، وعندما وصل للأعمى قال: هذه بدر البدور، لكن وقعت في البئر فرمى الأعمى نفسه ورائها في البئر، وأخذ السيف والفتاة ورجع للبستان للبحث عن أخويه، فوجد رجلاً يحرث الأرض، فسأله عن أخويه فقال له: أنه مروا من هنا، فسألتهم عن المطر فقالوا: كد وجد يجيك المطر، فطلب من الرجل أن يرجعهم، وبالفعل أرجعهم وعادوا مع بدر البدور لأهلهم.

---

(١) الراوي: فوزية ظاهر النعيمي، العمر ٤٠ سنة، المكان: المنصورة – المفرق، سجلت بتاريخ ٢٠٠٨/٨/٢٧، مقابلة شخصية.

(المغربي وابن طلفاح)[١]

ابن طلفاح[٢] تاجر كان يأتي بالتجارة من الشام للأردن وفي طريقه وهو عائد من الشام للأردن، وجد بجانب الطريق رجلاً مرمياً، وكان هذا الرجل جندياً في جيش تركياً، وكان الجندي جريحاً فحمله معه إلى بيته، وعالجه حتى شفي من جرحه، وبعدما شفي طلب من ابن طلفاح أن يعود لأهله، فكان هذا الرجل من المغرب، فحمله على فرس إلى حيفا في فلسطين، حيث كانت وسائط النقل في ذلك الوقت هي البواخر، وفي الطريق وقبل وصولهم إلى حيفا، كان بحوزة ابن طلفاح بندقية، فأراد أن يستريح فنام ابن طلفاح، وعندما نام قام المغربي بقتله، وعلى حسب اعتقاد أهل المغرب بأن رجلاً إذا قتل رجلاً فإنه سيحمله في الآخرة بعد موته على ظهره طيلة حياته في الآخرة، وهذا جزاء ابن طلفاح للمعروف مع الرجل المغربي.

(١) الراوي: أبو عبد الله سعود إلياسر، العمر ٦٣ سنة، المكان: مغير السرحان – المفرق، سجلت بتاريخ ٢٠٠٧/٣/٤، مقابلة شخصية.

(٢) هذه الحكاية قيلت كقصة لمثل وهو (جزاء المغربي لابن طلفاح).

(غزوة نواف)[1]

كان يا ما كان يا سامعين الحكي والكلام شيخ يدعى الشيخ نواف، يستيقظ بـــاكراً ليتفقــد الغنم والإبل ويطعم الخيل، فهي عزيزة على قلبه وكان يهتم بها أكثر من أولاده، وكان يتفـــاخر بها، وعند الشيخ ابن يدعى هذال وابنة تدعى فصايل، وهي جميلة جداً يتمناها جميع أبناء شيوخ العشائر أن تكون زوجة لهم، وفي أحد الأيام ذهب الشيخ نواف مع ابنه هذال للـــصيد، وعنــد عودتهم إلى مضارب العشيرة كانت هناك مصيبة، فقد تعرضت العشيرة للغزو من قبل عـــشيرة الشيخ مصباح، فقام الأعداء بنهب وسلب الحلال والأموال، وسبي ابنة الشيخ فـــصايل، فجهـــز الشيخ الفرسان وخططوا لغزو العشيرة المعادية، وبالفعل غزا الشيخ نواف العـــشيرة المعاديـــة، واسترجعوا الشيخة فصايل، وإعادة المال والحلال، وقد كان الشيخ سعيداً بنشوة النـــصر وقتـــل العديد من رجال عشيرة مصباح، وعندما وصل الشيخ نواف للقبيلة لم يشاهد ابنه هذال، فغـــاب وعاد للعشيرة مع غياب الشمس ومعه الأسير الشيخ مصباح، فقام بربطه أمام الشيخ نواف، لكن شجاعة وكرم الشيخ نواف لم تسمح له بمعاملة مصباح معاملة سيئة، فأمر بفـــك أســـر الـــشيخ مصباح، وقام بإكرامه والصفح عنه وأعطاه الخيل الأصيلة وقال لـــه: إن العفـــو يكـــون عنـــد المقدرة.

(١) الراوي: نعمة النعيم، العمر ٤٨ سنة، المكان: الرويشد – المفرق، ســـجلت بتـــاريخ ٢٠٠٧/٨/٢٨، مقابلـــة شخصية.

(الملكة حمده)[١]

كان يا ما كان في قديم الزمان عائلة صغيرة تعيش في بيت صغير، وكان الأب أعمى وكانوا فقراء جداً ولهم بنت تدعى حمده، وبعد سنوات من ولادة محمد توفي الوالد وعاشوا سنوات صعبة بعد وفاة والدهم، فأصبح عمر حمده خمسة عشر سنة وعمر محمد عشر سنوات، ومرضت الأم مرضاً شديداً وتوفيت، وحزن عليها حمده ومحمد حزناً شديداً فعاشوا يتيمان، فأصبحت حمده هي المسؤولة عن محمد وعن تربيته، فكانت تحضر له الماء من بئر بعيده، وفي إحدى الأيام كانت تسير من جانب البئر وإذا بحجر صغير يضربها، فتكرر الأمر أكثر من مرة عند ذهابها للبئر. وفي يوم أخذت حمده فأساً لتضرب بها الحجر، وتعرف ما بداخلها وعندما ضربت الحجر وجدت صندوقاً مليئاً بالذهب، فأخذته للبيت وخبأته. وكانت حمده عندما تجلس مع محمد تسأله: لو أعطيك مالاً ماذا ستفعل به؟ يقول: اشتري بيتاً وملابساً، فكانت تقول في نفسها: أنه لم يكبر.

وعندما كبرت حمده وكبر محمد وأصبح رجلاً، سألته نفس السؤال فقال: سأتزوج واشتري بيتاً لأعيش فيه، واستغرب محمد من سؤالها المتكرر فسألها: هل معك مالاً فقالت: نعم وأعطته المال، وتزوج محمد من امرأة ذات أخلاق سيئة، فكانت لا تطيق اخته حمده، فطلبت منه أن يتخلص منها وبالفعل أخذها للغابة وتركها لوحدها، فسارت حمده في الغابة فوجدت قصراً، فتزوجها صاحب القصر وأصبحت هي الملكة فيه، ولكن حمده كانت طيبة، فأرادت رؤية أخيها، فلم تراه منذ سنين وعندما سألت عنه وجدته فقير الحال هو وزوجته، ومرت الأيام وسكن محمد بجانب القصر، وأراد العمل بداخله، فقابل اخته لكنه لم يعرفها، فقالت له: أنا اختك حمده ففرح بها كثيراً، فطلبت منه أن يتخلص من زوجته ذات الأخلاق السيئة، وبالفعل تخلص منها ولكنه سألها: كيف سأعرف أنكِ حمده أختي الحقيقية، فقالت: أنه يوجد تحت رقبتك حرق، وبالفعل فرح محمد من عودة أخته وعاش معها بأمان في القصر.

---

(١) الراوي: حميدان الحماد، العمر ٧٥ سنة، المكان: فاع – المفرق، سجلت بتاريخ ٢٠٠٧/٢/٢٣، مقابلة شخصية.

(حكاية عقوبة السارق) [١]

في يوم من الأيام كان يعيش ابن مع أمه في إحدى القرى، وكان الولد لم يتجاوز السابعة من عمره، وكل يوم يذهب ليلعب مع أصدقائه، وعندما يعود للبيت كل يوم يحمل معه بيضة من عند الجيران ويعطيها لأمه، وهي لا تسأله من أين أتى بها؟ وكان كل يوم على هذه الحالة وعندما كبر أصبح يسرق أشياء أكبر من البيضة وأمه أيضاً لا تسأله من أين جاء بها؟ وبقي على هذه الحال حتى أصبح شاباً في السادسة عشر من عمره.

وفي إحدى الأيام دخل على بيت جيرانه وسرق من البيت أشياء ثمينة، مثل ذهب وأجهزة كهربائية، وفي إحدى المرات أمسكته الشرطة فحزنت أمه كثيراً وأصبحت تبكي وتصيح، وتطلب العون من جيرانها وحكم عليه القاضي بعد التحقيق بالإعدام حتى الموت، وقبل إعدامه أصبح ينادي بأعلى صوته "أماه.. أماه"، فأشفق عليه القاضي فأخر الحكم، وبعث بطلب أمه، فأصبح الولد يصيح ويبكي، ويقول كل السبب من أمي واستغرب ودهش القاضي من كلامه، وأصبح يصرخ ويقول: أيها القاضي أقطع لسان أمي، لأنها لم تقل لي هذا الفعل حرام، وبدأت بسرقة بيضة وأصبحت السرقة تكبر لأشياء أكبر من البيضة، فتحقق القاضي من الأم وتأكد أنها كانت لا تسأله ابنها عن الأشياء التي يحضرها ولدها للبيت، فحكم عليها القاضي بقطع لسانها، فهذه عقوبة السارق وعقوبة من يشجعه على السرقة.

(١) الراوي: هزاع قطيفان الخريشا، العمر ٤٧ سنة، المكان: حي الزهور – المفرق، سجلت بتاريخ ٢٠٠٨/٤/٢٤، مقابلة شخصية.

(النصيب) [١]

كان يا ما كان في قديم الزمان ولد اسمه "محمد" وأخته "حمده" ماتت أمهما فعاشوا عند امرأة أبواهم، وكانت امرأة أبوهم تشتكي منهم وتقول: ولادك يا زلمة يضربوني، ويقول: باكر يكبرون ونفتك[٢] منهم، وقالت: أنا معد بي أضبهم[٣] ومعد أتحملهم، قال لها: باكر نرحل، وقالت: أبداً ما عاد أتحملهم، قال: يا بنت الحلال ولادي صغيرين وين أروح بيهم، قالت: ودك تخليهم على المراح[٤] وخليلهم عربود بالنار[٥] وميه، وخلالهم عربود ومية ورحل وخلاهم.

لما قعدم[٦] الصبح، قال محمد: يا الله يا حمده نمشي، ومشي هو وياها لما تعبم ولقم قصر وسكنوا بالقصر، ولقوا القصر مليان بكل شي وعاشم به وكبرم، وقالت حمده: والله يا محمد ودي أجوزك، وجوزته بس ما شافت مرته، وعمرت تحت الأرض، وكان محمد كل ليلة يزور حمده، وحبلت مرته وجابت بنت، وقالت مرته: غير أشوف وين يروح كل ليلة، وعرفت أنه يروح عند بنت، قالت: هذه أكيد مرته، فراحت وقتلت بنته وحطتها على باب أخته.

والفجر وانه مرته تصيح: وين بنتي؟ وصارت تركض وتدور هي وجوزها، ولقوا البنت على باب غرفة أخته، فقال محمد: انتي قتلتي بنتي، لكن حلفت أنها ما شافتها ولا صابتها، وقام بقطع إيديها وحطها بشوال، وكب الشوال ببستان بعيد، ولما إجا صاحب البستان لقي البستان مثمر بكل نوع من أنواع الثمر، ولقي شوال وفتحه لما شافه يتحرك، فتح الشوال وأنه فيه بنت، قاللها: بنت من يا مخلوقة، قامت ومسكت إيديه وانهن طيبات، وقاللها: تكونين لي أخت ولا زوجة، قالت: زوجة، وتزوجها وعاشت معه بأمان.

وطارت من عبي لعبك

---

(١) الراوي: ليلى حمد ظاهر النعيمي، العمر ٤٠ سنة، المكان: الرويشد – المفرق، سجلت بتاريخ ٢٠٠٧/٩/١٦، مقابلة شخصية.

(٢) نفتك: نتخلصمنهم.

(٣) أضبهم: لا أستطيع العناية بهم.

(٤) المراح: تدعهم في الصحراء.

(٥) عربود بالنار: طعام يطبخ على النار.

(٦) قعدم: استيقظوا.

(البخيل) [١]

بيوم من الأيام كان فيه زلمة عنده حريم اثنين وحدة كبيرة ووحدة صغيرة، وكانوا عايشين ببلاد ما حدا بيها عشان ما حدا يجيهم ولا يزورهم من بخله، لكن هو كان عنده حـــلال يغطـــي عين الشمس، ما تآكله النيران، ويوم قالت زوجته الصغيرة للكبيرة: أنا أتوحم على لحم ونفـــسي أبو فلان يذبح لي خروف ناكل منه، لأنه ذبحنا الجوع، وراحت عليه وصارن يترجنه ويقولن: يا أبو فلان ودنا لحم، اذبح لنا خروف، وقال: أنا لا يمكن أذبح إلكن من غنمي بعدين يقل، وظلن يترجنه وقال: أنا من حلالي ما رح أذبح ودي أروح عالشام، وبأول محل للحم وقف وســـاعر[٢] الأثمان وشاف فشة خربانة واشتراها بدرهم واحد، ورجع لبلاده على حمارته ولما وصل بنص الطريق، وتجي عليه حية وتلتف وراه وتحت رجليه، وهاي الحية كان وراها حنيش كبير فنزل عن حمارته وذبح الحنيش، وقالت له الحية: أنا أشكرك وعشان هيك تعال وراي وين مـــا أروح تروح، فوتته على زخروبة[٣] معتمة وعميقة، وبس نزلوا شافوا شي ما ينوصف، شـــاف نـــاس عايشين يحلبون وياكلون من حلاله، اللي يغطي عين الشمس، فقالته له: هذول الناس أسياد مالك وانت بس حارس عليه، لا تاكل ولا تشرب منه، عيش زي الناس، وطلع وراح على أهله وصار يذبح وياكل هو وعياله ويطعم الناس، وتعلم درس من الحية اللي هيه مش حيه وانها بنت حلوة كثير.

---

(١) الراوي: فيضة حسيان منصور، العمر ٥٤ سنة، المكـــان: حـــي الـــضباط – المفـــرق، ســـجلت بتـــاريخ ٢٠٠٧/١٠/١٥، مقابلة شخصية.

(٢) ساعر: عرف الأسعار، وسأل عن الثمن.

(٣) زخروبة: ممر صغير ضيق.

(حميميصة)[١]

كان يا ما كان فيه ختياره ما تخلف، وكانت تعثر[٢] القمحات، وقالت هالختيارة: يا ربـــي تطعمني بنت لو أنها قد الحمصة تقمز بسط[٣] هالقمحات، ورزقها ربنا بنت قد الحمصة، وقالت يا يمة حطيني بمكان ما حدا يشوفني منه، وكان كل يوم ولد الشيخ يمر من قدام الـــدار وتقولـــه حميمصية: فوت يا هلا يا هلا، وهو ما كان يفوت لأنه ما يدري من اللي يقوله فوت. ويوم من الأيام تجي الختيارة وتحط الورد والعطر بقدر، ولما أجا ولد الشيخ تكبه[٤] عليه، وقالت له: يا ويلي هذا عطر حمده انكب عليك.

ويوم من الأيام أجا عليها ولد الشيخ وقال للختيارة: أنا جاي أخطب بنتك حمــده، قالــت: طيب روح سوي عرس واذبح، وقالتله: بس أنا بوديها على الدار لحالي، وقال ولد الشيخ: طيب، ويوم ودتها على دار العريس وقالت أمها: وين أحطك؟ قالت حميميصة: بالطاقة[٥]، ولمـــا أجـــا العريس على الدار قالتله: يا هلا يا هلا، وصار يقول: وين العروس؟ و قال: ودي أسوي عليها حيلة، وراح على الراعي واشترى خروف وذبح الخروف، ودهن الفرس بالدم وأطلقهـــا علـــى داره، ولما وصلت صارت أهل الدار يصيحوا: ولد الشيخ مات، وصارت حميميـــصة تـــصيح وتقول: مالك ثوب تقطعيه ولا شعر تمزعيه، وسمعها عجوز كان مـــريض وضـــحك، وكـــان مريض لكنه طاب لما سمعها، وسمعن بناته وفرحن بأبوهن وراحن عليها، اللي أعطتها شعرها واللي أعطتها طولها واللي أعطتها جمالها، حتى صارت حميميصة بنت بوصف كامل، وراحت على أمها وإجا عليها ولد الشيخ، وقال وين حمده؟ فقالتله: إذا بدك حمده لازم تـــسويلها فـــاردة جديدة وتاخذها لدارك.

---

(١) الراوي: خضرة محمد بركات، العمر ٤٥ سنة، المكان: قصور الحلابـــات – المفـــرق، ســـجلت بتـــاريخ ٢٠٠٧/١١/٢٥، مقابلة شخصية.

(٢) تنشر: تنشر القمح في الشمس.

(٣) بسط: وسط.

(٤) تكبه: ترميه عليه.

(٥) الطاقة: شباك صغير.

(حمده ومحمد) [١]

كان يا ما كان في وحدة اسمها حمده ولها أخو اسمه محمد وهم يتمان وضعيفان، وفيه يوم من الأيام راحت حمده تحطب ولقت تحت صخرة خزنة ذهب، دملتها وراحت على أخوها وقالتله: يا خوي محمد لو أنه نلاقي خزنة ذهب شو نسوي؟ قال: يا أختي نشتري حلو وناكله، وقالت: أخوي لسه صغير، وخلتها لما أخوها كبر، ورجعت عليه بعد سنتين ثلاث وسألته: يا أخوي لو نلاقي خزنة ذهب شو نسوي؟ قالها: يا خيتي نشتري بيت شعر وبعارين[٢] وحلال.

وصارت تقول أخوي كبر، وخلت لما الناس نامت وخذت أخوها بالليل على محل الصخرة وفرجته الخزنة، وكان فيه بجنب الخزنة مغارة، وقاللها يا أختي تقعيدن بالمغارة لما أرجع، ودي أروح أشتري بيت شعر علشان نظل نرحل مع العشاير، وراح أخوها وقعد شهور وهو لسه ما رجع، وزهقت حمده وهي بالمغارة وسمعت صوت بنات يسولفن[٣] برة وراحت عندهن وظلت معاهن وشافها ولد شيخ القبيلة وسألها: انتي من وين؟ وقالت: من العشيرة هذه وما صدقها وقال: ودي أراقبها وأشوف من وين هي، وظل يراقبها وشافها لما فاتت المغارة، وفات وراها واغتصبها وأعطاها خاتم مكتوب عليه اسمها وخيزرانة، وراح بعيد، وحملت وجابت ولد ولما جاها أخوها محمد ما شاف الولد وقاللها: جهزي أغراضك ودنا نرحل، واحتارت وين تروح بالولد، وحطته بمكان بالمغارة، وطلعت ومشوا شوي وقالت لأخوها: بدي أرجع أجيب غرض نسيته، وظلت كل شوي ترجع، وشك أخوها ورجع وراها وشاف الولد، وقالت لأخوها: أنا بوجهك يا أخوي هذا الشي صار غصبن عني، واتفق هو وياها أنهم يعملوا خطة، هي أنه كلما ينزلوا عند عشيرة، يعزمهم وتشوف ولد الشيخ إذا كان معهم، ويوم من الأيام نزلوا عند عشيرة، وعزم العشيرة وشافت ولد الشيخ وعرفته، وقالت لأخوها عنه، وبالليل راح محمد على أخت الشيخ على المحرم[٤] وشافته الخدامه وقالت لولد الشيخ عنه، وقام وجمع أهل العشيرة وقامت حمده ولبست ولدها الخاتم ومسكته الخيزرانه، وصار يقول: أبو بدا وخالي ثنا، وعرف ولد الشيخ أنه ولده، وطلب من محمد أنه يساوي فيه اللي وده ياه، وسامحه محمد وتجوز أخت ولد الشيخ وحمد ابن الشيخ.

---

(١) الراوي: حمد صالح إلياسر، العمر ٦٦ سنة، المكان: مغير السرحان – المفرق، سجلت بتاريخ ٢٠٠٧/٩/٣، مقابلة شخصية.

(٢) بعارين: جمال.

(٣) يسولفن: يتحدث في الخارج.

(٤) المحرم: قسم في بيت الشعر مخص صللنساء.

(حكاية الشيخ الكريم) [١]

كان يا ما كان شيخ قال ودي أروح اليوم أعس[٢] البلاد اللي بيها الربيع، ويوم أنـــه راح ضم عليه الليل[٣] ونام عند راعي قبر بالليل، وسمع صوت صاحب القبر يعن وقال لـــه: لـــيش تعن؟ قال: لأنه باكر تيجي حية وتقرص الشيخ اللي ينام عند القبر، وثاني يوم رحـــل وجـــاب ذبيحة وذبحها عند راعي القبر وعزم عليها كل العرب، وبعد ما تعشوا وراحوا، جابـــت أمـــه العشاء بصينية نحاس حتى يتعشى، وحكالها: يا يمه عشيتي اليتمان؟ قالت: لا، قال: يا يمـــة أن محرم علي الأكل وخذي الأكل لليتمان، وراحت وودت العشاء لليتمان وجابت صينية النحـــاس وحطتها عند رأسه وهو نايم، وجت الحية بالليل تريد تقرصه، وكل ما تريـــد تقرصـــه تردهـــا الصينية عنه، وكانت الحية كبيرة جداً وضربت الحية حالها بالصينية، وانفجـــرت لأنـــه أطعـــم اليتمان بالصينية ولما صحى من النوم شافها وغطاها بشرشف[٤]، وراح وذبح ناقـــة لوجـــه الله وعزم العرب، ولما تغدت الناس قام وفرجاهم الحية، وحكى لهم اللي صار وقال هذه الـــصينية صدت الحية لأني أطعمت اليتمان وهذه الناقة نذر علي.

---

(١) الراوي: بندر حسن الرويلي، العمر ٦٠ سنة، المكان: المنصورة – المفرق، سجلت بتـــاريخ ٢٠٠٧/٩/١٦، مقابلة شخصية.

(٢) أعس: أتفقد الأراضي.

(٣) ضم عليه الليل: أتى الليل عليه.

(٤) شرشف: غطاء.

(الجرة) [1]

كان على دور الأجداد القدماء رجل يدعى أبو حمد يرعى الغنم وكان القطس بارداً جـداً، وأراد أبو حمد أن يشعل ناراً لكي يقي نفسه البرد القارس فقام بحفر حفرة صغيرة لكي يـضع الحطب فيها، وعندما أوشك على النهاية من الحفر فقام بفتح الجرة فوجد فيهـا مجموعـة مـن الذهب بأنواع مختلفة، فقال أبو حمد: ماذا أفعل بها أنا لا أعرف إلى أين أذهـب بهـا، فتـذكر صديق له تاجر في السوق، يدعى أبو أسعد، وهي كنية له لأنه لا يوجد له أولاد، فـذهب إليـه وشرح له قصته، فقال له أبو أسعد: الحل عندي، دعني أرى ما بها وعندما رأى ما بها انـدهش واستغرب من هذه المناظر الجميلة، وقام أبو أسعد فينظر مرة للجرة ومرة لأبو حمد، فقال وهو يضحك: أنا أبيعها لك وأعمل لك رأس مال لا يوصف، فقال أبو حمد والسرور والدهـشة فـي وجهه: متى يا أبو أسعد؟ قال: السنة القادمة بعون الله تأتي إلي وترى رأس المال بعينيك، مرت سنة وكان أبو حمد ينتظر هذا الوقت، وهو مشتاق لمعرفة ماذا فعل صديقه أبو أسعد، فذهب إلى دكانه ولكنه لم يرى دكان بل رأى أسواقاً جميلة لا توصف، سوق للقماش الفاخر وسوق للذهب وأسواق أخرى كثيرة، فرح أبو حمد: هذه الأسواق هي رأس المالي التي وعدتني بها، فـضحك أبو أسعد وقال: أي رأس مال هذا الذي تتحدث عنه، قال أبو حمد: الجرة التي أعطيتك إياهـا، قال: أي جرة أنا لا أعرفك ولا أعرف ما الذي تتحدث عنه!؟ اذهب من هنـا وإلا طلبـت لـك الشرطة، فقال أبو حمد، حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا رجل، مرت الشهور والأيام، وبقدرة الله تعالى أحرقت النار كل الأسواق، ولم تدع شيئاً فخسر أبو أسعد كل شيء حتى الـصداقة التـي كانت بينه وبين أبو حمد، فالحرام لا يدوم ولكن الله كريم فقد أعطى الله أبو حمـد مـن الأولاد عشرة ومن البنات سبعة، ومن الغنم والمواشي عدداً لا يوصف وبقيت النعمة والرزق على أبو حمد.

---

(١) الراوي: قاسم عواد الغياث، العمر ٥٥ سنة، المكان: منشية الغياث – المفرق، سجلت بتاريخ ٢٠٠٨/٤/١٥، مقابلة شخصية.

حكايات الشطار

(حكاية الشاطر محمد)[١]

كان هناك في إحدى الصحاري رجل متزوج من امرأتين، واحدة غالية والأخرى ليست غالية، أي لا يحبها ولا يغليها في قلبه، وكان له من الأولاد ثلاثة أبناء ومن الثانية ولداً واحداً، وكان الرجل من مربي الأغنام، وفي إحدى السنين كان كل يوم تختفي واحدة من الأغنام، فذهب الرجل إلى أبناء زوجته العزيزة على قلبه، فقال للكبير منهم سوف تنام عند الأغنام، وفي الصباح فقدت واحدة من الأغنام، فذهب الأب إلى الأخ الأصغر فقال له نفس الكلام، فذهب ونام عند الأغنام وغلبه النعاس فنام، وحصل له ما حصل لأخيه، فذهب إلى الأخ الأصغر منه فنام أيضاً، وغلبه النعاس وفي الصباح أتى إليه والده، فقال له ما حصل فذهب الأب إلى ابنه من الزوجة الأخرى، فقال له القصة بكاملها فقال ولده محمد: سأذهب للأغنام وأسهر هناك، فذهب الولد إلى أمه فقص عليها الحكاية فصنعت له الأم قربة من الماء، وثقبت القربة بواسطة إبرة فقالت لابنها إذا غلبك النعاس نام تحت تلك القربة، فسوف تنقط عليك نقطاً من الماء وتصحو، فنام محمد تحت اسفل القربة فينام ثم يصحو ويتفقد الأغنام، وفي إحدى المرات شاهد محمد حيوان كبير يتجه نحو الأغنام، وظل يراقبه حتى أخذ إحدى الأغنام، فذهب وسار محمد وراءه حتى دخل كهفاً كبيراً، فدخل محمد الكهف فشاهد داخل الكهف أموالاً كثيرة، فظل يسير داخل الكهف حتى وجد فتاة جميلة، فقالت: هذا الحيوان أكل كل أهلي وأبقاني أنا، لأقوم بخدمته فاتفق محمد والفتاة على قتل الحيوان، وعندما عاد الحيوان ونام، قام محمد بقتل الحيوان بسيفه، فعاد هو والفتاة لأهله ومعه المال الكثير، وعندما وصل لأهله تزوج الفتاة وأنجبت له أولاداً كثيرين وأصبحت أمه هي الزوجة العزيزة على قلب والده.

---

(١) الراوي: حابس غمار الحوامدة، العمر ٤٠ سنة، المكان: طيبة اسم – المفرق، سجلت بتاريخ: ٢٠٠٨/٦/٨، مقابلة شخصية.

(رحلة حسن) [١]

كان يا ما كان في قديم الزمان شيخ قبيلة امحلت الديار في قبيلته، فقام بإرسال أحد أبنائه لأحد البلاد للبحث عن الربيع، فوصل الابن للديار فوجد فيها الربيع والماء، وقد كان ابنه هـذا من زوجته الغالية على قلبه، لكن عندما نزل عن الذلول[٢]، ليأكل طعامه، رأى أفعـى تطيـر، فنزلت عنده، لكن من شدة خوفه رجع لأهله مرعوباً وخائفاً، فقال لوالده: إن تلك الديار صحراء ولا يوجد بها شيء فقام الشيخ بإرسال ابنه من زوجته الأخرى، وهي زوجته البايرة[٣] فركـب الابن على فرسه وسار للبلاد التي ذهب إليها أخوه، وعندما وصل للديار نزل عن الذلول وأشعل النار، وإذ بنفس الأفعى الطائرة تنزل عنده، فتناول سيفه وقتل الأفعى وقام بـالنظر لـلأرض، فرآها مليئة بالعشب والماء، وعندما جاء الليل نام الابن وعندها سمع صوتاً يأتي من قبر، فسمع حديثاً يجري بين اثنين متجاورين في القبر، فقد قال أحدهم: سينزل هنا مجموعة مـن النـاس وسيقرص حسن الذي قتل الأفعى الطائرة، وفي اليوم الثاني قام حسن بتعبئة الخـرج بالعـشب الأخضر من الأرض، ورجع لوالده وقال له: إن الأرض مليئة بالعشب وهي من خيرة الـبلاد، فسر الشيخ بولده وجعله ولي عهده من بعده، وطلب الشيخ من العشيرة أن تجهز نفسها للرحيل، ولما نزلت العشيرة في الأرض قام الشيخ بذبح الذبائح ودعوة عشيرته للعشاء، وقد قـام حـسن بإرسال العشاء للعائلات الفقيرة ورجع ومعه الصينية التي أخذ بها الطعام، وعندما نام وضـعها عند رأسه ومن شدة التعب نام وجاءت إليه الأفعى لكي تقرصه لكن الصينية حالت دون وصولها إليه، فضربت الحية رأسها بالصينية وماتت، وفي الصباح رأى حسن الصينية والأفعى فتـذكر الحديث الذي جرى بين صاحبي القبرين، فقص القصة لأمه وفرحت بنجاة حسن وقـد أصـبح لحسن سمعة طيبة في قبيلته.

---

(١) الراوي: ارحيل الزبون، العمر ٧٢ سنة، المكان: رحاب – المفرق، سجلت بتاريخ ٢٠٠٧/١٢/١٤، مقابلـة شخصية.

(٢) الذلول: الجمل أو الناقة.

(٣) البايرة: ليس لها قيمة ولا اعتبار عند زوجها.

(الشاطر محمد واخوته الستة) (١)

كان يا ما كان في قديم الزمان رجل متزوج امرأتين واحدة ولدت ستة أولاد وكـان هـي المعززة المكرمة، والثانية ولدت ولد واحد اسمه محمد، وكانت مهجورة من قبل زوجها، وقـد اشترى الرجل لأولاده الستة خيولاً، أما محمد فلم يكن لديه إلا حماراً يذهب به للرعي، ومـرت الأيام وطلب الوالد من جميع أبنائه أن يبحثوا عن أراضي خضراء للرعي، فـذهبوا جمـيعهم للبحث واستمروا في الانتقال من مكان لآخر، إلى أن رأوا رجلاً فقال لهم: إنه هناك منطقة فيها المرعى والعشب، لكن فيها أفعى ضخمة، فذهبوا لتلك المنطقة، وعندما وصلوا واستراحوا فـي تلك المنطقة، سمع أحدهم صوتاً يشبه فحيح الأفعى، وبالفعل كانت هي الأفعى وعنـدوما رآهـا الأولاد الستة خافوا، فهربوا باستثناء محمد فهو لم يخف وأسرع وقطع رأسها، وقد كـان لهـا رؤوساً ثلاثة، فقطع الثاني والثالث، وأخذها وعاد لأهله، وأثناء سيره الطويل رأى بيتاً، وكانـت فيه فتاة فتحدث معها، وكانت خائفة وحذرته بأن زوجها الغول سيأكله إذا رآه، فقامت وخبأتـه، فقدم الغول ولكنه أحس بوجود إنسان وأسرع محمد وقطع رأسه ومات، وأخـذ الفتـاة والمـال والحلال وعاد إلى أهله، ورحل مع أهله لتلك المراعي الخضراء وعاش بـسعادة وهنـاء مـع زوجته وأهله.

وطار الطير ويمسيكوا بالخير

---

(١) الراوي: خليف محمود حميد شتيوي، العمر ٦٤ سـنة، المكـان: الحـرش – المفـرق، سـجلت بتـاريخ ٢٠٠٧/٨/١٧، مقابلة شخصية.

حكايات الحيوان

(أبو الحصين) [١]

في يوم من الأيام جاع أبو الحصين (الثعلب)، فلم يجد ما يأكل ففكر كثيراً، وهو معروف بالمكر والخداع، ففكر أن يأكل طير الحجل والمريعي (طير العز) وطير السحق، فخطرت في باله فكرة وهي أن يجعل نفسه شيخاً يريد الحج، فقام بعمل مسبحة من مادة الحولازان، ووضعها في رقبته، وأصبح يسبح فيها فمر في طريقه على طير السحق، فقال له: أنا تبت عن أكل الطيور، فلم يصدقه في البداية، ولكنه كرر أنه تاب إلى الله وأنه ينوي الحج ويريد منه أن يرافقه، فصدقه طير السحق ورافقه ومروا في الطريق على طير العز، فتعجب هذا الطير الصغير مرافقة طير السحق إلى أبو الحصين، فقال لهم: أين تذهبون فقال الثعلب: إلى الحج فهل ترافقنا فأنا تبت عن أكل الطيور، فقال المريعي (طير العز): أخاف أن تأكلنا فأنت عدونا، فقال طير السحق: إنه تاب، فدار بينهما حديث طويل، فأقنعه طير السحق بمرافقتهم إلى الحج، فرافقهم المريعي إلى الحج، فذهب إلى طير الحجل وعندما رآهم، تعجب، وقال: كيف يجتمع المريعي مع السحق وأبو الحصين؟ فهل تغير الكون؟! فتحدثوا معه وكان الثعلب أثناء ذلك يقوم بالتسبيح فوافق طير الحجل على مرافقتهم في السفر، فمشى الثعلب في الأمام وهم خلفه وهو يقوم بالتسبيح لله أثناء السير.

وبعد مسافة طويلة قال أبو الحصين: لقد تعبنا من السير نريد أن نستريح، ونريد مكان نستريح فيه بعيداً عن الصقر وكلب السلق، لأنه طير الصقر يأكلكم وكلب السلق يأكلني، وهو بهذا يريد أن ينفذ خطته لأكلهم، فوافقوا على الاستراحة، فاستراحوا في مكان هادئ، فخرج أبو الحصين إلى الخلاء وعاد مسرعاً وقال: لقد جاء راعي ومعه كلب سلق وطير الصقر، فالزموا الهدوء، وبدأ بتنفيذ خطته، وأنقض على طير الحجل وقال: أتيت مزعج الناس بصوتك وأكله، وانقض على طير السحق وقال: أتيت مزعج الأطفال بالليل وأكله، وانقض على المريعي وقال: أتيت مخوف الكبير والصغير، فقال المريعي: أسألك سؤال؟! كيف تسبح ربك؟ ففتح الثعلب فمه وقال: سبحان الله، وفي هذه الأثناء هرب المريعي وانطلق، وحاول الثعلب إمساكه لكنه لم يقدر، وقال: عتقتك إلى وجه الله، وقال ذلك لأنه لم يقدر على أكله.

---

(١) الراوي: مفلح فلاح التميمي، العمر ٦٢ سنة، المكان: حي الضباط – المفرق، سجلت بتاريخ ٢٠٠٧/٨/١٧، مقابلة شخصية.

(الغراب وأبو الحصين) [١]

كان يا ما كان غراب وأبو الحصين (وهو الثعلب)، أصدقاء فقام الغـــراب ودعـــى أبـــو الحصين (الثعلب)، وطبخ له طعاماً مكوناً من طحين وماء، ووضع الطعام للغراب على شـــجرة شوك، وقام أبو الحصين وأكل من الطعام فتجرح لسانه، فرد أبو الحصين الدعوة للغراب وطبخ نفس الطعام ووضعه على حجر، ودعى إليه الغراب، فعندما أكل الغراب الطعام تكسّر منقاره.

(١) الراوي: سلامة البدارين، العمر ٥٦ سنة، المكان: ثغرة الجب – المفرق، سجلت بتـــاريخ ٢٠٠٧/١٠/٢٧، مقابلة شخصية.

(مسكه)[١]

كان يا ما كان في إحدى الغابات الكبيرة كان هناك غزال جميل ملون بالحمرة المــشربة بالبياض، وشيئاً من السواد وكان اسمها مسكة، وقد ولدت مسكة صــغيران جمــيلان فأســمت أحدهما قرنزح والآخر برنزح، وكانت تعيش مع صغارها في بيت صغير، وقد كانــت تخــرج لأكل العشب لترضع صغارها فكانت تخاف على صغارها من الثعلب الماكر فتنبه الصغار أن لا يفتحا الباب إلا إليها، فكانت تقول عندما تأتي البيت: يا قرنزح يا برنزح في قروني عشب وفي ثديي حليب، افتح الباب وانزح، وقد كان الثعلب الماكر يستمع لكلامها كل يوم تخرج فيه وتعود، فقام الثعلب الماكر وسرق طحيناً ووضعه على قدميه، وجاء على بيت مسكة فأخذ يقلد صــوت الأم، فيقول في صوت ناعم: يا قرنزح يا برنزح في قروني عشب وفي ثديي حليب افتح البــاب وانزح، ففتح الصغيران الباب ودخل الثعلب وأكلهما، وعندما عادت مسكة وجدت الثعلب قد أكل صغارها، فهجمت عليه وضربته بقرونها على بطنه، فوقع قتيلاً وبقيت فترة طويلة حزينة على صغارها.

---

(١) الراوي: فاطمة بركات الفهيد، العمر ٥٢ سنة، المكان: الضاحية – المفرق، سجلت بتاريخ ٢٠٠٧/١٢/٢٠، مقابلة شخصية.

(الحمامة والفخ) [(١)]

كان يا ما كان في قديم الزمان حمامتان تعيشان في عشهما الصغير على أغصان أحد الأشجار الكبيرة، فوضعت الحمامة البيض واحتضنتهما حتى أفرخا، وقد كانت الأم تحضر لهما الطعام، وتحافظ على صغارها يوماً بعد يوم حتى كبر الفرخان ونبت ريشهما، فبدأت الحمامة تعلمهما الطيران بمساعدة والدهما بالقرب من العش فأصبح الصغيران يطيران لوحدهما، وفي أحد الأيام قالت إحدى الحمامات لأمها: نحن الآن نستطيع الطيران وحدنا لكي نحضر الطعام فوافقت الأم، وحذرتهم من الفخاخ التي ينصبها الصيادين وشرحت الأم شكل الفخ للصغار، وقالت: يجب أن تعودوا للعش قبل الغروب، وفي أحد الحقول رأت إحدى الحمامات قمحاً كثيراً موضوعاً على الأرض، فقالت: أخشى أن يكون فخاً كالذي حذرتنا منه أمنا فلا يجب أن نقترب من الفخ، ففكرت أحد الحمامات وأحضرت عوداً طويلاً من القش بمنقارها وأخذت تلمس حبات القمح بطرف العود، وبنفس الوقت أحضرت الحمامة الأخرى حصاة صغيرة وأسقطتها على القمع، وفجأة شاهدتا الفخ يطبق على طرف العود، فقالتا: لقد أخفى الصياد الفخ تحت حبات القمح والحمد لله لقد نجونا من الفخ، وفرحت الأم بنجاتهما من هذا الفخ لحسن ذكائهما.

---

(١) الراوي: مرزوق محمد الخالدي، العمر ٥٩ سنة، المكان: الحمراء – المفرق، سجلت بتاريخ ٢٠٠٧/٤/٢٧، مقابلة شخصية.

(بقرة اليتامى) [1]

كان يا ما كان في أحد الأيام يتيمان هما محمد وحمده أخوان وأبوهم متزوجه من امــرأة قاسية القلب ولما توفيت أم محمد وحمده، أوصت أنه تنقطع إيدها اليمنى وتنلف بشاشة وتنضرب بها صباحاً ومساءاً أجناب[2] محمد وحمده، ومشت الوصية وتزوج الأب وطلب من زوجته أنها تضربهم، وكانت كل ما تضربهم يزيد وزنهم أكثر وأكثر وعيالها[3] يخفون أكثر وأكثر، فقالت: شو السر بنصاح اليتامى؟! ففكت الشاشة فلقيت إيد أمهم وعرفت السر فرمت اليد، وكانت تفكر أنه هذا هو السر، لكن السر هو البقرة اللي عندهم بالمغارة، ولكنها عرفت السر اللي بالمغــارة، وعرفت أنهم يأكلون من سمن وحليب البقرة، وتحمل وتتوحم على البقرة، لكن اليتــامى قــالوا للبقرة: يا بقرتنا أنمسكي ولا تنقطعين، وانقطعي ولا تنكالين، وظل أبوهم يضربهم لما ماتوا.

(١) الراوي: حمد بركات الفهيد، العمر ٤٣ سـنة، المكــان: ربــاع الــسرحان – المفــرق، ســجلت بتــاريخ ٢٠٠٧/٤/١٢، مقابلة شخصية.

(٢) أجناب: أطراف.

(٣) عيالها: أولادها.

الحكايات المرحة

(سم سم) [1]

كان يا ما كان يا سامعين الحكي والكلام امرأة مرضت فطلبت من زوجها أن يذهب ويبحث لها عن دواء، وهذا الدواء اسمه سم وطلبت منه أن يكرر اسم الدواء لأنه معروف بالنسيان، فذهب الرجل المسكين وكان يمشي ويقول سم سم، حتى لا ينسى اسم الدواء، فمر برجل يأكل طعامه، فمر الرجل من جانبه وقال: سم سم، فظن الرجل أنه يقول له هذا الكلام، فقام الرجل وضرب ذلك الرجل المسكين فقال له: فماذا أقول؟ فقالت له: قل صحة وعافية، فمضى الرجل وهو يكرر: صحة وعافية صحة وعافية، إلى أن مر بكلب يسرق خبزاً من المخبز ويأكل، وكان صاحب المخبز يلاحقه، فسمع الرجل المسكين يقول: صحة وعافية، فتضايق الخباز وأقبل عليه وضربه فقال الرجل المسكين: فماذا أقول؟ فقال الخباز: قل أخس كلب، فمشى الرجل المسكين وهو يردد: اخس كلب، فمر بأسكافي يصلح أحذية ويمسك المسامير بفمه، فمر الرجل المسكين بجانبه وهو يقول: يقول: أخس كلب فسمعه الأسكافي فغضب فقام بضربه، وقال الرجل: فماذا أقول: فقال الأسكافي: تكبر وتتدور، فمضى الرجل المسكين وهو يردد الكلام نفسه إلى أن مر بطبيب يعالج ثعلبه في رأس رجل آخر، فسمعه الطبيب وهو يقول: تكبر وتتدور، فغضب وضربه، فقال الرجل المسكين: فماذا أقول؟ فقال: قل يا رب تكش وتقل، فسمعه المزارع وظن أنه يدعو عليه، فأقبل عليه وضربه فمضى الرجل ولم يفتح فمه طول طريقه.

---

(١) الراوي: نصرة البري، العمر ٦٤ سنة، المكان: المنصورة – المفرق، سجلت بتاريخ ٢٠٠٧/٢/١٧، مقابلة شخصية.

(شباط والعجوز) [١]

كان يا ما كان في قديم الزمان عجوز عندها ناقة وكلبة وعدل من الطحين، إجـا كـانون أول وكانون ثاني وشباط، والدنيا لسة دافية، قالت العجوز: إجا شباط وراح شـباط وضـربناه بالمخباط، وناقتي عدله وكلبتي دبره، وعديلتي مليانه فقام شباط زعلان، وحزن حزنـاً شـديداً وقال: آذار يا ابن عمي ثلاثة منك، وأربعة مني، خلي العجوز تحن وتبكي.

وإجا مطر شديد وماتت الناقة، وماتت الكلبة، والطحينات ذابن بالمي وماتت العجوز مـن القهر على رزقها. وعشان هيك سموه شباط "أبو العجايز".

---

(١) الراوي: نزلة إلياسر، العمر ٧١ سنة، المكان: مغير السرحان – المفرق، سجلت بتاريخ ٢٠٠٧/٣/١، مقابلة شخصية.

(عرموشة وزوجها) [١]

كان يا ما كان يا قديم الزمان نحكي إلا ننام إلا نصلي على محمد بدر التمام، كان في قديم الزمان شيخ عنده قهوجي، وعلى قد ما انبسط الشيخ من القهوجي قرر أن يزوجه من ابنته عرموشة، فكتب القهوجي كتابه على البنت لكنه لم يراها إلا ليلة العرس، فطلب القهوجي من العروس أن ترفع عن وجهها ليلة الزواج حتى يراها، فلم ترفع العروس الغطاء عن وجهها فرفعه، حتى رأى أن شكلها مرعب ومخيف فلها نابان وعيون كعيون الجن، فعاش معها وكان كل ما يريد منها شيئاً، تقول له: قم أنت، وإذا قال لها: أقعدي، تقوله له: أقعد أنت، وإذا قال لها: كلي طعامك، تقول له: كل أنت، فطفش منها زوجها، فقال لها: ما رأيك ياعرموشة نذهب للحج، فقالت: نعم نذهب، فجاء موسم الحج وذهبا للحج فوضع عرموشة على ظهل الجمل ومشيا، وفي مكان بعيد أشبه بالصحراء أخذها إلى هناك فكان هناك بئر، فقال لها: سوف أنزل لأحضر ماء للشرب، فقالت عرموشة: لا أنا سأنزل، فربطها بالحبل وأنزلها بالبئر وتخلص منها، وذهب وتركها وانطلق للحج، وعندما رجع من الحج، أقبل على البئر حتى يطمئن قلبه أنه تخلص منها، لكنه رأى من بعيد خيالاً أسوداً على البئر، فوجد جناً يهجم عليه، وقال له: أنا في وجهك تخلصني من عرموشة، أنا أسكن البئر منذ مئة سنة ولم يستطع أحد أن يخرجني من البئر إلا عرموشة. فركب الجن على ظهر زوج عرموشة وهربا بعيداً.

---

(١) الراوي: سليمان العيسى، العمر، ٦٩ سنة، المكان: الدفيانة – المفرق، سجلت بتاريخ ٢٠٠٧/٣/١٥، مقابلة شخصية.

(ليلة مزهزهة) [(١)]

كان يا ما كان في ما مضى من الزمان صديقان فكرا في البحث عن الـذهب واسـتعانوا بخبير أو شيخ مختص بهذه الأمور، فانتظرا حتى حل الليل واشتدت الظلمة، وقد نبههم الشيخ أن المكان قد يكون محروساً بالجن فاستعدا وحضرا العدة، وأخذهم الحماس والحلم بالمال، فعنـدما اقتربوا من المكان، وبدأوا بالحفر، مع بداية الحفر خرج دخانٌ من الحفرة، ومن هـذا الـدخان خرج رجلاً أشبه بالوحش، فقال لهم: إذا أردتم الحصول على الكنز والمال لا بـد أن تجتـازوا ثلاث مراحل، ومن شدة طمعهم لم يفكروا بالنتائج فوافقوا على المراحل الثلاث أثناء الحفر، وفي المرحلة الأولى أثناء الحفر ظهر غول واشتد خوف الرجل ففتح عيونه، وإذا فالغول مجرد خيال مر بسرعة، وفي المرحلة الثانية ظهرت أفعى كبيرة لها بداية وليس لها نهايـة، فلـم يـستطيع الرجل فتح عينيه إلى أن سمع صوت ضحك المارد أو الوحش، فقال: بقيت واحدة، فحفر وبـدأ بالمرحلة الثالثة فخرج له رجل أسمر عيونه حمراء لامعة وأسنان كبيرة مليئة بالدماء ويحمـل سيف، وصار يركض وراء الرجل يريد قطع رأسه، فوقع الرجل على ظهره، وأصبح يزحـف ويصرخ، والرجل يركض وراءه، وهو يزحف ويبكي، وأثناء ذلك كان هنـاك شـخص يـوقظ الرجل من نومه في غرفته هو وأخوه، فقد كان يحركه لكي يقوم من نومه، فكان يقول: لا أريد مالاً، فكان هذا كابوساً مزعجاً تيقن منه لأنه نام مبكراً.

---

(١) الراوي: إبراهيم منزل شديفات، العمر ٣٥ سنة، المكان: منشية بني حـسن – المفـرق، سـجلت بتـاريخ ٢٠٠٧/١٠/١٥، مقابلة شخصية.

حكايات الخوارق (الغول)

(الغولة حسنة) [١]

كان يا ما كان في قديم الزمان عيلة صغيرة اسمها عيلة أبو حسن وكانوا عايشين في منطقة صحراوية هو وزوجته وابنته وفي أحد المرات نشف الغدير اللي يشربوا منه، فذهب أبو حسن وابنه يبحثون عن غدير ثاني وبعدوا عن الدار مسافة كبيرة، وظلوا أيام، وفي الطريق مرض أبو حسن، وما قدر حسن يسوي شيء، وبعد فترة مات أبو حسن، وظل حسن يمشي ويبحث عن طريق الرجعة للدار، لكن حسن كان صغير وظل يمشي حتى لقي رجلاً مسافراً فأخذه معه لداره، وسأل حسن عن مكان داره، لكن حسن لا يعرف الطريق فعاش مع الرجل وكبر وتزوج من وحده اسمها حمده، وأنجب منها ثلاث بنات، ومرت الأيام ومرت بلاده بالقحط، وراح حسن وعيلته يبحثوا عن منطقة أحسن فرحلوا حتى وصلوا لمنطقة مليانه خضار وعشب ومية وشجر، فيها بيت كبير، وراح حسن يتعرف على سكان البيت، لكن حسن ما كان يعرف أنه الغولة هي اللي كانت ساكنة هناك، وراح حسن عليها ورحبت الغولة فيه أحسن ترحيب، وصارت تسأله وتستدرجه حتى عرفت منه كل شيء، وفكرت بعقلها وقالتي: خليني أضحك عليه وأقوله أني أنا أخته حسنة وبعد ما يعيش عندي هو وبناته آكلهم واحد واحد، وصارت الغولة تبكي فقال لها حسن: ليش تبكي، وقالت: ما انت عارفني يا أخوي أنا أختك حسنة، المسكين حسن صدقها وأخذها بالأحضان، وصار يقولها: كيف حالك يا أختي، وصار يسألها وهي تجاوب والمسكين مصدق كلامها، وقرر حسن يجي ويعيش معها هو وأهله وعاش حسن معها وبناته وزوجته وظلت الغولة تقدم لهم الطعام، وتسمنهم، ومرة طبخت الأم وبعثت مع بنتها إلى عمتها طعام، وراحت البنت وشافت أنه في غرفة بجنب غرفة عمتها دائماً مسكرة، وراحت البنت وفتحت الباب وشافت ناس معلقين من رؤوسهم فخافت وسكرت الباب بسرعة، ووقع الصحن منها وسمعتها الغولة وقالت: إيش فيه؟! فقالت: ولا شي بس وقعت ووقع الصحن مني وراحت البنت بسرعة لأمها، ولما حل الليل قالت لأمها كل شيء رأته، ولما سمعت الأم هذا الكلام قالت: نهرب بسرعة قبل ما تأكلنا الغولة، وقالت لزوجها حسن كل شيء لكنه لم يصدقها، وقالت أنها رح تهرب هي وبناتها، فقال: أنا رح أظل مع أختي، وبالفعل هربت الأم مع بناتها وظل حسن لوحده. وفي الصباح راح حسن لأخته وحكى لها عن زوجته وبناتها ولما عرفت الغولة راحت تركض وتبحث عنهن لكنها ما شافت أي شي، ورجعت لدارها وشافها حسن وهي راجعة نافشة شعرها وأينابها طالعة والدم يسيل من فمها، وصارت تبحث عنه وهو تحت القدر، وفجأة عطس حسن وسمعته الغولة وكشفت القدر وأنه حسن تحت القدر، فضحكت

---

(١) الراوي: عزوة عايد الأدغم، العمر ٦٧ سنة، المكان: حي الضباط – المفرق، سجلت بتاريخ ٢٠٠٧/٤/٧، مقابلة شخصية.

الغولة وقال لها: لا تاكليني!! قالت: الحق عليك ليش ما هربت مع زوجتــك وبناتــك، وصـــار يبكي، قالت: من وين آكلك؟؟! قال: من رجليني لأني ما رحت مع بناتي وبعدين، قالت: من وين آكلك؟ قال: مع آذاني لأني ما سمعت كلام مرتي وهربت معها، وبعدين أكلته ومـــا خلـــت ولا عظمة منه.

(الراعي والجنية) [١]

في يوم من الأيام كان فيه راعي يسرح، وإلا أنه شايف حنيش يلاحق حية حتى أجت الحية لعند الراعي وقالت: أنا بوجهك يا ابن الأجاويد، فرفع الراعي العصا وصار يركض وراء الحنيش حتى راح وابتعد، والتفت الراعي صوب الحية وقالها ما انتي بحية وبلمح البصر صارت الحية جنية، وسألها: ليش الحنيش يطاردك فقالت: هذا أخوي ويريد يقتلني لأني ما اتجوزت رفيقه، وأعطت الحية الراعي ثلاث شعرات من شعر رأسها وقالت: لما تحتاج لمساعدة بس حط الشعرات بالنار وأكون عندك على الفور، واختفت الجنية، وعاد الراعي لبيته وصار يفكر بالجنية لأنها كانت مزيونة[٢] وما قدر الراعي ينام وظل ثلاث أيام على هذه الحالة، وبثالث ليلة وبآخر الليل حط وحدة من الشعرات بالنار فظهرت الجنية، وقالت: اطلب وأنا أساعدك، وقال: أريد الزواج منك، وقالت: أنا موافقة بس أبوي وأمي ما رح يوافقوا لكن تعال معي، وفجأة انشقت الأرض وكان هناك درج ونزلوا الدرج حتى شاف مجموعة من الجن وسلم عليهم، فعرفته علىأمها وأبوها فطلب منهم أنهم يوافقوا على الزواج، فقال الأب: أنا موافق لكن بشروط، فقال الراعي: أنا موافق على الشروط مهما كانت، فقال أبو الجنية: بالحزن تضحك وبالفرح تبكي وإن نظرت للجنية من غير لا تحكي تختفي وما رح ترجعلك، فوافق الراعي، وكان طاير من شدة الفرح وبعد سنة من الزواج، خلفت الجنية ولد لكن دفنته بالأرض، والراعي ما قدر يتكلم حتى ما تختفي، والسنة اللي بعدها دفنت الثاني وفي السنة الثالثة دفنت الثالث، والراعي ما قدر يتكلم، وفي يوم من الأيام جاء على القبيلة غزو فدافع أخو الراعي عن القبيلة، لكنه مات ووصل خبره لأخيه، صار يبكي، لكن الجنية صارت تضحك بصوت عالٍ، فسمعها الجميع، لكن الراعي ما أعجبه الكلام، ونظر إليها نظرة حتى اختفت، وبعد يومين حن الراعي لزوجته الجنية، وراح لعند أهلها، وقال: أريد أشوفها، لكنهم لم يردوا عليه، وقالوا: انت خالفت الشروط، فقال: أريد أولادي الثلاث، فقالوا: نعطيك إياهم لكن وانت ذاهب، رحت تسمع أصوات لكن لا تنظر وراك لأنه رح تفقد أولادك إن نظرت وراك، فأخذ أولاده، وهو ما شي سمع صوت فنظر وراه ففقد ولده الكبير، ومرة أخرى سمع صوت فنظر وفقد ولد الثاني، وفي المرة الثالثة سمع صوت يقول: اذبحوه.. واقتلوه واقطعوا رقبته، لكن الراعي من شدة الخوف لم ينظر للخلف، وقال: ما رح أشوف حتى ما أفقد ولدي، فمشى وسلم ولده الصغير من الموت.

---

(١) الراوي: خالد السخني، العمر ٦٣ سنة، المكان: الحي الجنوبي – المفرق، سجلت بتاريخ ٢٠٠٧/١٠/٣، مقابلة شخصية.

(٢) مزيونة: جميلة جداً.

(الجدي)[١]

كان يا ما كان في قديم الزمان اثنين من الشرارات[٢] من قوم اللحـــاوي مـــسافرين فـــي الصحراء، وإلا أنه جدي، فقال: الله جاب هذا الجدي نذبحه ونتعشى عليه، مسكوه ووضعوه في الخرج[٣] وسافروا وتابعوا مسيرهم، ولما جاء الليل نظر واحد منهم للبرق اللي يلمع وكان ينظر للجدي، وإلا أنه يضحك مع لمعة البرق فخاف وهرب وترك صاحبه، فأصبح صاحبه يناديـــه، فقال له صاحبه الهارب: إذا لمع البرق انظر للجدي، ويوم نظر للجدي وإلا أنه يضحك، فقـــال الجدي: انحر الذلول[٤]، فنحر الذلول، وسطح جوفه وأخذ قلب الذلول والتحق بصاحبه، وقـــال: أحضرت القلب حتى نأكله وسافروا مسافة طويلة، وتوقفوا لإشعال النار، وعندما أخرجوا القلب تحول لفحمة، وإنه الجن فهرب، ولحقه الرجلان وأخذوا القلب منه.

---

(١) الراوي: عبد الله سعود الغياث، العمر ٤٥ سنة، المكان: الرويشد – المفرق، سجلت بتاريخ ٢٠٠٧/١٢/١٢، مقابلة شخصية.

(٢) الثرارات: أحد قبائل البدو القاطنين في منطقة الرقبان.

(٣) الخرج: ما يوضع على ظهر الدابة وهو مصنوع من الجلد.

(٤) انحر الذلول: اذبح الجمل.

(نص انصيص) [١]

كان يا ما كان في قديم الزمان عائلة مكونة من أب وله عدة أولاد، وأحد هــؤلاء الأولاد يدعى نص انصيص، وكان هو وأخوته يذهبون للصيد، لكن أخوته كانوا يأخذون الصيد منــه، ويذهبون به للبيت، وفي إحدى المرات قال والده: إذا لم تأت بالصيد فلن تنام في البيت، فلم ينام الليل وهو يفكر من أين يأتي بالصيد فذهب منذ الفجر فسمع أن هناك غولة في الكهف في الغابة، وعندها الكثير من الدجاج الذي تهتم به وتطعمه الحبوب، فذهب نص انصيص للكهف وانتظــر حتى الليل لكي تنام الغولة ويأخذ دجاجها الذي تهتم به وتطعمه الحبوب، فذهب نص انــصيص للكهف وانتظر حتى الليل لكي تنام الغولة ويأخذ دجاجها، فنامت الغولة، لكن كان هناك حــارس مستيقظ، فدخل نص انصيص إلى الداخل فرآه الحارس فقال: نص انصيص في الخــم[٢] يآكــل ويلم، ولم تصدق الغولة الحارس أن نص انصيص صغير جداً، فأخذ كل الدجاج وذهب للبيت.

بعدها أتت الغولة إلى القرية وتظاهرت بأنها بائعة طعام فذهبت إلى بيت نص انــصيص، فقام نص انصيص هو واخوته بإشعال النار فقال لها: هل تقدرين على شواء الطعام، فقالت: نعم فوقعت في النار وقالت: سوف أنتقم منك يا نص انصيص.

---

(١) الراوي: خالد أحمد أبو هزاع، العمر ٤٣ سنة، المكان: الخالدية – المفرق، سجلت بتاريخ ٢٠٠٦/١٢/٢٠، مقابلة شخصية.

(٢) الخم: قن الدجاج.

(مي والغولة) (١)

كان يا ما كان وما بطيب الكلام إلا بالصلاة على النبي رجل عنده بنت جميلة جداً توفيت والدتها فتزوج من امرأة أنجبت لها بنتاً، فكانت المرأة تفرق بين ابنتها وبنت زوجها مي، فقررت تزويج مي من رجل كبير بالسن، فأقنعت زوجها بالرجل، فلما عرفت مي قررت ترك البيت، وعند الليل حملت أغراضها وهربت وأسرعت بالركض حتى وصلت لبيت بعيد لا أحد فيه، فقامت بالدخول فقررت تنظيفه، وبعدما أكملت التنظيف، قامت بصنع الطعام لأنها كانت جائعة جداً، وبعد ذلك سمعت صوتاً، فاختبأت فرأت مجموعة من الرجال الأقزام، ولكن استغربوا من نظافة البيت فظهرت مي واستغربوا من وجودها، وانفتنوا من جمالها وسألوها عن سبب وجودها هنا، فقصت عليهم القصة بكاملها، فاقنعوها بأن تبقى معهم في البيت، وفي إحدى الأيام نفذ الكبريت من البيت فاضطرت للخروج، وبقيت تمشي حتى رأت ناراً عندها امرأة، فطلبت من المرأة المساعدة فأعطتها المرأة كيساً مليئاً بالكبريت، وهو مثقوب من الأسفل، فشكل المرأة كان غريباً فهي لم تكن من البشر، فراقبت مي وهي تمشي وعادت مي للبيت لكن الكبريت كان يسقط من ورائها طوال طريقها للبيت، فعاد الأقزام للبيت وسألوها عن حالها بعدما تبين خوفها من المرأة، وفي اليوم التالي جاءت المرأة الغريبة على البيت، فخافت منها مي وصاحت بصوت عالي تنادي على الأقزام وهي تنادي وخائفة لم ترى أن الغولة وضعت لها عظمة سامة في المخدة التي تجلس عليها كالعادة، وعندما جاء الأقزام رأوا الغولة وقتلوها، وعندما جلست مي على المخدة دخلت العظمة في رجلها، فقام الأقزام بإحضار الحكيم لكي يعالجها، فعالجها ثم أحبها وطلبها للزواج، فعاشت معه سعيدة بسبات وخلفوا صبيان وبنات.

---

(١) الراوي: نسرين عايد التبيني، العمر ٣٣ سنة، المكان: حي الحسين – المفرق، سجلت بتاريخ ٢٠٠٧/٣/٢٠، مقابلة شخصية.

ABSTRACT

This study first discussed the term folk tale, through heritage and folklore, and pointed out the difference between it and other folklore literature, to point out its essence and importance.

This study pointed out the sources and origins of the folk tale, the people. That includes men and women, educated and illiterate, the old man and housewife. Then heritage books, i.e., one thousand one nights, *seerat bani Helal*, and *Zeer Salem*. The study pointed out some of folk tale origins, i.e., legends, and discussed some opinions of these legends, which were slightly different about their origins. The researcher concluded the right opinion, and that deciding the true origin requires intensive work, enormous efforts, and a wide field.

The study pointed out types of folk tales, and classifications according the basis of the subject, and classified it in Mafraq governorate into social fact and sly tales.

It also discussed subjects of the folk tale through various aspects, i.e., social, humanitarian, moral, economic, political, fictitious, and fantasy. Through that, the study pointed out the folk tale's role in culture, education, psychological and social aspects.

Chapter three discussed the artistic structure of the folk tale in Mafraq, and pointed out the artistic aspects, i.e., inception, indications, events, character's nature, time and place frame, alighting moment, and folk tale language. This elucidation was through folk tale's texts included in the study.

The study balanced between the folk tale in Mafraq, and other folk tale texts, and concluded to similarities and dissimilarities between these texts. The study pointed out that all folk tales in the Jordanian

environments are simple, with serial incidents in a clear mode; as similarity is obvious and dissimilarity quite vanishes.

The study included an annex with folk tale texts in Mafraq, with simple Arabic language that includes some folk utterance that preserves the popularity and impulse of the folk tale, with some tales, as is, by the narrators with its simple popular expression.